

تاريخ بني زيان
ملوك تلمسان

مقتطف من

نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان
لمحمد بن عبد الله التنسي

حققه وعلق عليه

محمود آغا بوعياد

ENAG
EDITIONS

01 02 35/ 11
الإيداع القانوني : 2011 - 2131
ردمك : 6-084-00-9931-978

تاريخ بني زيان
ملوك تلمسان

مقتطف من

نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان

لمحمد بن عبد الله التّنسي

حققه وعلق عليه

محمود آغا بوعياد

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة
بمناسبة
تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011

موفم للنشر

التقديـــم

ان تاريخ دولة بني زيان أو بني عبد الواد كما يسمون أيضا، يعتمد على ثلاثة مصادر أساسية : الأول ((بغية الرواد فى ذكر الملوك من بني عبد الواد)) والثاني ((كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)) لأخيه عبد الرحمن والثالث ((نظم الدر لأبي زكرياء إبن خلدون والعقيان فى بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ..)) لمحمد التنسي. واذا قدر للأثرين الأولين أن ينشرا فيستفيد المؤرخون من محتواهما، فإن النص الثالث بقي مغمورا في خبايا المكتبات إلى يومنا هذا.

ومع أن اسم الحافظ التنسي قد ورد في أكثر من كتاب تراجم، ومع أن اسمه جار على ألسنة المثقفين إلى يومنا، فان حياته وآثاره لم تلق عناية من مؤرخي المغرب الأوسط والدارسين للتراث الأدبي لهذا الجزء من الوطن العربي، والتنسي معروف عند الباحثين بالترجمة القصيرة التي خصصت له في كتب التراجم القديمة والتي جاءت كلها حافلة بتبجيله، وبالإعجاب بغزارة علمه وبمكانته المرموقة بين معاصريه، وعرف كذلك عند المؤرخين الذين يعرفون اللغة الفرنسية، عن طريق القسم التاريخي من كتاب ((نظم الدر)) وهو الذي قمنا بتحقيقه. ولقد نقله إلى اللغة الفرنسية في أواسط القرن الماضي القسيس الفرنسي بارجيس، أما مؤلفاته الأخرى فإن بعضها في حكم المفقود وبعضها بقي مخطوطا لم يحظ باهتمام الباحثين.

وقد أقدمنا على دراسة حياة هذا الأديب والمؤرخ وفي الوقت نفسه الفقيه والمحدث لنخرج إلى الوجود قسم من تراثه إيقانا منا بإن هذا الكتاب أثر نفيس من تراثنا العربي الإسلامي سيسهم وضعه بين أيدي الباحثين في جلاء فترة هامة من تاريخ المغرب الأوسط اصطلح على تسميتها بالعصر الوسيط، كما سيساعد على اكتشاف إنتاج علم من أعلام هذه البلاد.

ويتألف هذا البحث من قسمين:

— القسم الأول خاص ((بالتنسي وآثاره)) : وقد أوردنا فيه كما تمكنا من الحصول عليه من معلومات عن المؤلف استخرجناها من المصادر المختلفة،

ثم استعرضنا مؤلفاته ، فحللناها وقومناها مركزين اهتمامنا على أهم كتبه « نظم الدر والعقيان فى بيان شرف بني زيان » وخاصة الباب السابع منه والمتعلق بتاريخ الدولة الزيانية ، وهو محور هذا الكتاب .

أما القسم الثاني فيحوي النص المحقق لهذا الباب السابع ، وقد اعتمدنا على عدة نسخ كما قابلنا النص بما سبقه من كتب تناولت الموضوع نفسه .

وقد وقع اختيارنا عليه ، فأقدمنا على تحقيقه لينشر منفردا لأنه أهم قسم من الكتاب ولأن ما سبقه فى الأبواب الستة الأولى من تاريخ وعلى الخصوص ما يتعلق ببني هاشم ، ومنهم علي بن أبي طالب وابناؤه ، وتاريخ الأدارسة الذين جعل التنسي بني عبد الواد من سلالتهم ، لم يأت بجديد يستحق ما يتطلب من جهود لاخراج نصه ومقابلته بأمثاله من كتب التاريخ . وهذا الباب السابع من ناحية أخرى وحدة متكاملة الأطراف يتيسر فصلها عن باقي الكتاب وعما سبقه من تاريخ وتلاه من أبواب فى الأدب والملح والنوادر .

وقد ارفقنا النص المحقق ببعض التوضيحات من جداول وخرائط وصور ومخططات وكشافات .

وقبل الختام نود ان نوجه شكرنا للمحافظ العام للخزانة العامة بالرباط فى المغرب الاقصى الذى مكننا من الحصول على ميكرو فلمات لبعض النسخ من المخطوط وللقيمين بتلك الخزانة الذين استقبلونا دائما بحفاوة واكرام كلما زرنا مؤسستهم العامرة من أجل البحث . جازى الله الجميع .

وفى النهاية نتمنى ان نكون قد وفقنا حقا الى رفع الحجاب عن الحافظ التنسى ، وهو كما قلنا علم من اشهر اعلامنا ، والى ازاله الحواجز التى كانت تحول بين المؤرخين وغيرهم من الباحثين وبين هذا الأثر القيم الذي ينشر لاول مرة .

الجزائر 30 مارس 1975

القسم الأول

محمد التنسي

حياته و آثاره

الباب الاول

حياة التنسي

1 ـ مولده ونسبه ووفاته :

رغم أن محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي المعروف بالحافظ التنسي قد اشتهر اسمه فى القديم والحديث ، وتردد ذكره فى كتب المتأخرين مثل « نفح الطيب » ، « وأزهار الرياض » لأحمد المقري ، وأن ترجمته قد وردت فى كتب التراجم مثل « نيل الابتهاج » لأحمد بابا ، « والبستان » لابن مريم ، « وتعريف الخلف برجال السلف » للحفناوي ، فاننا لا نعلم الا النزر اليسير عن حياته .

ان من الراجح أنه ولد بمدينة تنس (1) (*) مع أنه لا تتوفر لدينا نصوص تقطع بذلك ، واعتمدنا لاثبات مكان الولادة على اسمه أولا ،

---

1 ـ أنظر عن « تنس » : الكنشاف باسماء الأمكنة والانهار فى آخر هذا الكتاب . ولم يكن مؤلف « نظم الدر والعقيان » أول عالم أنجبته مدينة تنس ، فممن حل بتلمسان نقط من علماء تنس نذكر على سبيل المثال ابراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي، وقد انتهت اليه رئاسة التدريس والفنون فى أقطار المغرب كلها « حسبما ذكر ابن مريم ، « البستان » ، ص 66) . وقد استقر بتلمسان فى عهد يغمراسن أي فى النصف الاول من القرن السابع ، وممن اشتهر من علماء تنس فى أواخر القرن السابع وبداية القرن الثامن أبو الحسن بن يخلف التنسي وقد حظى بمنزلة كبرى عند السلطان أبي يعقوب المريني وكان « فقيه حضرته ، راجع ابن مريم » (« البستان » ، ص 132 ») ، وان وجود هذه السلسلة من العلماء وقد عاصر أولهم بداية الدولة الزيانية ، وآخرهم وهو صاحبنا محمد بن عبد الله التنسي قد عاش قرب أفول نجمها ، لدليل على استمرار النشاط العلمي بمدينة تنس طيلة قرون عديدة .

وعن معنى هذه العلامة (*) أنظر فيما يلي : « منهج التحقيق » فى الباب الاول من القسم الثاني .

وان كان هذا لا يكفي دائما • فان أفراد أسرة المقري على سبيل المثال ، قد احتفظوا باسمهم جيلا بعد جيل ، مع أن أحد أجدادهم هو الذي نسب الى مقرة ، بعد هجرته الى تلمسان واستقراره بها واستمر أبناؤه وأحفاده من بعده ينسبون الى قرية مقرة (2) •

ودليلنا الثاني لترجيح مكان ولادة الحافظ التنسي هو نصان لأحمد المقري ، قال فى الأول منهما : « حافظ عصره سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ثم التلمساني (3) فان حرف « ثم » يمكننا من التأكيد أن صاحبنا من مواليد تنس » •

أما النص الثاني فهو أكثر جلاء اذ ذكر فيه المقري بوضوح أن التنسي من نزلاء تلمسان • قال : « الامام الحافظ عبد الله التنسي نزيل تلمسان » (4) ومادمنا نتكلم عن نسبة المؤلف ، فلننبه الى أن المقري قد انفرد بالقول ان محمد التنسي أموي (5) ولم يذكر هذه النسبة غيره من المؤرخين والكتاب ومؤلفي كتب التراجم الذين رجعنا الى كتبهم •

وقد عثرنا على نص للمؤلف نفسه ، يؤكد لنا أن التنسي كان يتسمى فعلا بالأموي ويوجد هذا النص المكتوب بخط المؤلف ، وقد ذكر فيه اسمه الكامل ، وذلك فى نهاية السفر الثامن من كتاب « فتح الباري فى شرح صحيح البخاري » ، تصنيف ابن حجر العسقلاني ، ففي آخر هذا السفر يقول التنسي : « ••• نسخ جميع الديوان المذكور لنفسه

---

2 ـ مقرة : قرية بنواحي مسيلة بشرق الجزائر الحالية • راجع عن هذه القضية نفح الطيب ، ج 5 ، ص 204 ـ 205 •

3 ـ نفح الطيب ، ج 2 ، ص 574 • وقد ورد اسم التنسي على هذا النحو فى الكتاب نفسه مرة فى ج 3 ، ص 113 ، ومرة فى ج 6 ، ص 513 •

4 ـ « نفح الطيب » ، ج 6 ص 195 • وننبه الى أن المقري قال هنا : عبد الله التنسي ، ولا ندري من قصد بعبد الله بالتحقيق • فهل قصد ولد صاحب « نظم الدر » وكان من رواة الحديث أيضا ، ان المقري قصد الوالد اذ وصفه بالامام الحافظ ، وقد قرن دائما اسم صاحب « نظم الدر والعقيان » بهذه الصفة كما سنرى ، أما ابنه فلم يبلغ هذه الشهرة •

5 ـ قال المقري « نفح الطيب » ، ج 2 ص 574 • « محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ثم التلمساني الاموي » ، ولم ترد هذه النسبة فى غير هذ االنص •

بخطه العبد الفقير الى ربه تعالى محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الأموي ثم التنسي نفعه الله به ••• » وهكذا لم يبق لنا شك فى أن مؤلف « نظم الدر » قد سمى بالأموي ثم التنسي غير أن هذا الاكتشاف لا يبين لنا أيضا أصل التسمية بالأموي •

أما تاريخ ولادة المؤلف ، فان الغموض الذي يحيط به أشمل وأكثر كثافة ، من الغموض المحيط بالنسبة ، اذا لم نجد أي نص نعتمد عليه ، فنذكر تاريخا ونقطع به قطعا • وهكذا لا يبقى الا التخمين والاستنتاج لنتوصل الى ترجيح تاريخ ولادته •

اننا نعلم بالتحقيق أن التنسي قد توفي سنة 899 هـ / 1494 م • وقد صرح بذلك أحمد بابا فقال : « فى « وفيات » الونشريسي توفي الفقيه الحافظ التاريخي الأديب الشاعر أبو عبد الله التنسي فى جمادي الأولى سنة تسع وتسعين وثمانمائة » (7) ، كما أننا نعلم على وجه التحقيق أن بعض الشيوخ الذين أخذ عنهم صاحب « نظم الدر » قد توفوا فى العقد الخامس من القرن التاسع ، ومنهم ابن مرزوق الحفيد الذي لقي ربه سنة 842 هـ / 1438 — 1439 م (8) ومحمد بن النجار التلمساني المتوفي سنة 846 هـ / 1442—1443م (9) • وبما أنه من المتأكد أن التنسي قد تتلمذ لهؤلاء الشيوخ وهو شاب ناشيء على عادة طلبة العلم الذين كانوا لا يقدمون على الأخذ على أمثال هذين العالمين ، الا بعد حفظ « القرآن » واتقان بعض المتون ودراسة بعض العلوم الأساسية (10) ، نستنتج أن صاحبنا قد توفي عن سن متأخرة • فاذا

6 — ان هذه النسخة الخطية للكتاب — فتح الباري — محفوظة بمكتبة جامعة القرويين بفاس ، ولم نتوصل الى الحصول على صورة من خاتمة هذا المجلد ، فنحصل هكذا على وثيقة تنقل خط التنسي غير أن خير الدين الزركلي قد نقل هذه الصورة فى المستدرك الثاني لكتاب « الأعلام » ، صورة رقم 1647 مدرجة مع صورة أخرى فيما بين ص 208 و ص 209 ، فاعتمدنا عليها .

7 — « النيل » ، ص 354 .

8 — « البستان » ، ص 208 .

9 — « البستان » ، ص 222 .

10 — بقيت هذه الطريقة معمولا بها فى بعض الجامعات الاسلامية التقليدية والمعاهد والزوايا الى عصرنا .

كانت سنه عندما كان تلميذا لهما ولأمثالهما ، تتراوح بين 15 و 20 سنة ذلك في العقد الرابع من القرن التاسع نستنتج أنه ولد حوالي سنة 820 هـ / 1417 م ويؤكد نتيجة استدلالنا هذا ، كلام للسخاوي في ترجمته للتنسي حيث قال : « بلغني في سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بأنه حي مقيم بتلمسان جاز الستين » (11) .

كما أننا لا نعرف مكان ولادته على وجه التحقيق ، ولا تاريخها ولا سنه يوم توفي ، فنحن لا نعرف أيضا كثيرا عن باقي حياته . ومما لاشك فيه أنه اشتغل بالتعليم والافتاء كباقي العلماء في تلك العصور . فأما التعليم فيدلنا على ذلك عدد تلامذته وسنذكر بعضهم فيما بعد ، وقد قال أحدهم وهو محمد بن العباس الصغير : « لازمت مجلس الفقيه العالم الشهير سيدي التنسي عشرة أعوام » (12) أما الافتاء فتثبت وقوعه قبل كل شيء ، قضية يهود توات الآتية الذكر ، في الفصل الخاص بآثار التنسي ، كما يثبته عدد الفتاوي التي نقلها الونشريسي في المعيار (13) » ، غير أننا نجهل ما اذا كان مؤلف « نظم الدر » قد تولى منصب افتاء أو منصب خطابة في مسجد على غرار أفراد أسرة ابن مرزوق وأسرة العقباني الذين ولاهم الملوك من بني زيان وبني مرين ، مثل هذه المناصب كما أننا نجهل تمام الجهل طبيعة العلاقة التي كانت تربطه بمعاصره الملك محمد المتوكل وبالقصر الملكي ، مع أنه ذكر في مقدمة كتاب « نظم الدر » ، أنه أقدم على تأليف هذا « التصنيف الملوكي » لأن نعماء هذا السلطان قد توالت عليه ، عسى أن يقوم ببعض واجب حقه عليه حسب تعبيره . فما كانت طبيعة هذه النعم التي غمرته ، والحلل التي ألبسه اياها ؟ اننا لا نعلم شيئا . فمن الممكن أن السلطان قد أنعم عليه دون أن يكون من خدام المملكة أو المقربين

---

11 ـ « الضوء اللامع » ج 8 ، ص 120 .

12 ـ « البستان » ، ص . 263 . وابن العباس من تلاميذ التنسي كما سنرى بعد قليل .

13 ـ أحمد الونشريسي المتوفي سنة 14 و هـ / 1508 م . من أجل العلماء الذين أنجبهم المغرب الاوسط في القرن التاسع . واشتهر بكتابه الضخم « كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عما تضمنه فتاوي علماء افريقية والاندلس والمغرب » . وقد طبع طبعا حجريا في فاس بالمغرب الاقصى سنة 1315 هـ / في 12 مجلدا .

من البلاط ، أو قضى له حاجة فعزم على أن يجمع له « تصنيفا ملوكيا أدبيا ••• لبيان شرفه فى الحديث والقديم ••• » (14) ، وزيادة على « نظم الدر » ، فقد عزم التنسي على تصنيف كتاب يذكر فيه سجايا هذا السلطان ، كما سنرى ذلك فى الفصل الخاص بآثار المؤلف ، وهكذا نرى أننا لم نعثر سواء فى مقدمة الكتاب أو خاتمته ، على خبر يرشدنا الى نوع العلاقة بين محمد التنسي وولي نعمته السلطان محمد المتوكل •

وبقي لنا أن نتكلم عن مكان وفاة التنسي • فان كان الونشريسي قد ذكر تاريخ وفاة صاحب « نظم الدر » بالتدقيق وهو مصدرنا الوحيد لمعرفة ذلك التاريخ ، وقد نقل عنه أحمد بابا وابن مريم ، فانه لم يذكر أين توفى • فمن الممكن أن يكون ذلك بتلمسان اذ لم يذكر المترجمون له أنه غادر عاصمة بني زيان ، غير أننا نستغرب اختفاء اسمه فى مجتمع عني بضرائح الأولياء وعلماء الدين عناية فائقة كالمجتمع التلمساني الذي أحاطها بالأسوار أو شيد عليها القباب ، ولم يبلغ بعضهم أحيانا مكانة الحافظ التنسي ، هذا وان ورود ترجمته « بالبستان فى ذكر الأولياء بتلمسان » (15) ، ليس بدليل على وفاته بتلمسان خلافا لما قد يتبادر الى الذهن ، اذ أن ابن مريم قد ترجم فى كتابه للعلماء الذين أنجبتهم عاصمة بني زيان ، وكذلك لمن استقر بها منهم ، ولمن قضى منهم بها شطرا من حياته فقط ، كترجمته للعالم الرياضي القلصادي (16) ، ووقع له أن ترجم لمن لم يحل لا بتلمسان ولا بالمغرب كترجمته لخليل بن اسحاق صاحب « المختصر » المشهور فى الفقه المالكي (17) •

وهكذا نلاحظ أن حياة التنسي تكاد تكون مجهولة ، اذ لم يصلنا من أخبارها الا النزر اليسير •

---

14 ـ انظر فى النص المحقق المقدمة التي استهل بها التنسي كتابه •

15 ـ « البستان » ، ص 248 ـ 249 •

16 ـ « البستان » ، ص 141 ـ 143 • وعلي بن محمد بن علي القرشي البسطي الشهير بالقلصادي من أنبغ علماء القرن التاسع وعلى الخصوص فى الرياضيات قضى شطرا من حياته فى تلمسان حيث أخذ عن علمائها وتوفى سنة 891 هـ / 1486 م •

17 ـ « البستان » ، ص 96 ـ 100 •

2 ـ شيوخه وتكوينه وتلاميذه :

أ ـ شيـــوخه

ذكر أحمد بابا بعض العلماء الذين أخذ عنهم التنسي وهم : أبو الفضل ابن مرزوق ، وقاسم العقباني وأبو الفضل محمد بن الامام ، والامام الأصولي محمد النجار، والولي ابراهيم التازي، والامام ابن العباس(18) أما الآخرون فقد استخرجنا أسماءهم من تراجم أصحابها اذ كثيرا مـا يذكر المترجمون شيوخ المترجم لهم وتلاميذهم• وبما أننا لا نجد معلومات عن العلوم التي أخذها التنسي عن شيوخه ، فاننا سنلجأ مرة أخـرى للاستنتاج حتى نلم بها ، وذلك من خلال العلوم التي كان يدرسها بعض أشياخ التنسي ، والتصانيف التي خلفوها ، وكذلك من الدروس التي ألقاها هو بدوره على تلاميذه ، ونأمل بهذه الطريقة الاقتراب من الحقيقة ، فنتوصل لا على وجه اليقين وانما على الترجيح ، الى معرفة العلوم التي أخذها التنسي عن الشيوخ الذين جاء ذكرهم فى كتب التراجم المختلفة ونذكر فيما يلي أهم أولئك الشيوخ واختصاصاتهم ان كان لهم اختصاص ، وما خلفوا من آثار • (19)

ـ محمد بن مرزوق الحفيد (20) :

ففيه ، أصولي ، مفسر ، محدث ، مجود ، لغوي ، عروضي • وقد بلغ المكانة القصوى فى علوم الشريعة ، كما كان أيضا من المتصوفين ، ومن جملة العلوم أو الكتب التي قال تلميذه أبو الفرج بن أبي يحيى الشريف التلمساني ، أنه قرأها عليه : التفسير وصحيح البخاري وصحيح مسلم ، وسنن الترمذي ، وأبي داود ، و « الموطأ سماعا وتفقها ، والعمدة من الحديث » (21) وكتاب سيبويه ، وألفية ابن مالك ، والمغني لابن هشام ،

---

18 ـ « النيل » ، ص 353 •

19 ـ رتبناهم حسب تواريخ وفياتهم •

20 ـ مر انه توفى سنة 842 هـ / 1442 ـ 1443 م • راجع ترجمته فى « البستان » ص 201 ـ 214 •

21 ـ راجع « البستان » ، ص 205 •

أما فى الفقه فقد ذكر انه قرأ عليه كتب الفقهاء المالكية المتداولة حينذاك بالمغرب ، كمؤلفات ابن الحاجب ، والجلاب وابن رشد ، وابن أبي زيد القيرواني ، وخليل بن اسحاق ، وبعض كتب الشافعية كالشيرازي والغزالي ، وبعض كتب الحنفية والحنابلة أيضا • كما ذكر عدة كتب فى أصول الفقه وقرأ عليه أيضا قصيدة الشاطبي فى القراءات ، وكتبا أخرى فى البيان « كالتلخيص » ، ولعله « تلخيص المفتاح فى المعاني والبيان » للقزويني • وفى التصوف كتاب « الاحياء » للغزالي وقد جاء ذكر هذه الكتب والعلوم فى كلام لأبي الفرج الشريف التلمساني نقله ابن مريم فى ترجمة ابن مرزوق الحفيد (22) •

ـ أحمد بن زاغو التلمساني (23) :

وصفه القلصادي « بأعلم الناس فى وقته بالتفسير وأفصحهم ، فاق نظراءه وأقرانه فى دلائل السبل والمسالك ، الى سبق فى الحديث والأصول والمنطق ، وقدم راسخة فى التصوف مع الذوق السليم والفهم المستقيم (24) • ودرس القلصادي على ابن زاغو كما أخذ عنه أيضا يحيى المازوني (25) ، والحافظ التنسي ، وابن زكري (26) ، فقال العالم الرياضي عن هذه الفترة من حياته : « ولزمته مع الجماعة فى المدرسة اليعقوبية (27) للتفسير، والحديث ، والفقه شتاء ، والأصول ، والعربية ، والبيان ، والحساب ، والفرائض ، والهندسة صيفا ، وفى الخميس والجمعة

---

22 ـ « البستان » ، ص 204 ـ 206 .

23 ـ المتوفى سنة 845 هـ / 1441 م . راجع ترجمته فى « البستان » ، ص 41 ـ 43 .

24 ـ « البستان » ، ص 42 .

25 ـ يحيى المازوني المتوفى سنة 883 هـ / 1478 م . راجع ترجمته فى « النيل » ، ص 393 .

26 ـ أحمد بن زكري المتوفي سنة 900 هـ / 1494 م .

27 ـ المدرسة التي شيدها سنة 763 هـ / 1362 م أبو حمو موسى الثاني بتلمسان ، ودفن فيها والده أبا يعقوب « أنظر ما قال التنسي عنها فى النص المحقق » (ورقة 167) ، ونذكر باننا فضلنا عند الاحالة الى النص المحقق فى آخر هذا الكتاب ، ذكر المخطوط الاصلي (أ) الذي اعتمدناه فى التحقيق لان ذكر صفحات النص المطبوع يستلزم انتظار الانتهاء من الطباعة . وراجع أيضا وصفها فى مخطوط « زهر البستان » (ورقة 84 و).

28 ـ « البستان » ، ص 43 .

التصوف وتصحيح تآليفه » (28) • وقد خلف ابن زاغو عددا من التآليف فى الفقه والفرائض وكذلك فى التفسير، منها « مقدمة فى التفسير » و « تفسير الفاتحة » الذي قال عنه أحمد بابا : هو « فى غاية الحسن كثير الفوائد » (29) •

ـ محمد بن ابراهيم بن الامام (30) :

قال عنه صاحب «البستان» : « وقال الشيخ أبو العباس الونشريسي : ••• ولأبي الفضل بن الامام قدم راسخة فى البيان ، والتصوف ، والأدبيات والشعر ، والطب » (31) وقد نقل له الونشريسي عدة فتاوي من فتاويه ، وله أيضا أبحاث فى التفسير •

ـ محمد بن النجار التلمساني (32) :

وهو فقيه وأصولي وقد أخذ عنه العالم الرياضي القلصادي ، وقال عنه : « كانت له مشاركة فى العلوم العقلية والنقلية » (33) ، وذكر علوما كثيرة ومتنوعة قرأها عليه كالتفسير والأصول والمنطق والبيان وغيرها •

ـ قاسم بن سعيد العقباني (34) :

قال عنه أحمد بابا : « حصل العلوم حتى بلغ درجة الاجتهاد » (35) وقال تلميذه القلصادي : « انه انفرد بفني المعقول والمنقول » ، وذكر من العلوم التي قرأها عليه : الفقه والأصول ، والفرائض ثم ختم كلامه بقوله : « وحضرته فى كتب متعددة فى علوم شتى » (36) •

---

29 ـ « النيل » ، ص 63 •

30 ـ المتوفى سنة 846 هـ 1442 م ، راجع ترجمته فى « البستان / ، ص 220 ـ 221 •

31 ـ « البستان » ، ص 221 •

32 ـ مر انه توفى سنة 846 / 1442 ـ 1443 م • راجع ترجمته فى « البستان » ص 221 ـ 222 •

33 ـ « البستان » ، ص 221 •

34 ـ المتوفى سنة 854 هـ / 1451 م ، راجع ترجمته فى « النيل » ، ص 216 ـ 217 ، وفى « البستان » ، ص 145 ـ 146 •

35 ـ « النيل » ، ص 216 •

36 ـ « البستان » ، ص 217 •

ـ **الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان (37) :**

من العلوم التي كان يتقنها هذا العالم الذي اتصف بالزهد والتصوف ، حسبما ذكر ابن مريم فى ترجمته : الحديث وعلم الفرائض ، والحساب ، وعلم الفقه : كان يدرس الرسالة لابن أبي زيد ، والمدونة لسحنون ، ومختصر ابن الحاجب (38) .

ـ **محمد بن العباس التلمساني (39) :**

قال ابن مريم ان له من التآليف : « شرح لاميــة الأفعــال » (في الصرف) ، « وشرح جمل الخونجي » (فى المنطق) ، « والعروة الوثقى فى تنزيه الأنبياء عن فرية الالقاء » ، وله عدة فتــاوى نقل المازوني والونشريسي « جملة منها » (40) .

ب ـ تــلاميـــذه :

أما تلاميذه (41) فقد ذكر أصحاب التراجم عددا منهم ، وقد نبغ بعضهم ونــالوا شهرة كأحمد البرنسي الشهير بزروق (42) ، وأحمد بن داود الأندلسي (43) ، ومحمد بن صعد (44) ، وبلقاسم الزاوي (45)

37 ـ راجع ترجمته فى « البستان » ، ص 74 ـ ، وانظر ما قال عنه التنسي فى . نظم الدر « المحقق (ورقة 212 من المخطوط) .

38 ـ « البستان » ، ص 87 .

39 ـ المتوفي سنة 871 هـ / 1461 ـ 62 م . راجع ترجمته فى « البستان » ، ص 223 ـ 224 .

40 ـ « البستان » ، ص 87 .

41 ـ رتبناهم حسب تواريخ وفياتهم أيضا .

42 ـ المتوفي سنة 889 هـ / 1484 م . وله تاليف كثيرة فى الفقه والحديث ، والعقائد والتصوف ، راجع ترجمته فى « البستان » ، ص 45 ـ 50 .

43 ـ فقيه وكاتب ، ارتحل برفقة أبيه على القلصادي المتقدم الذكر من غرناطة الى تلمسان بعد سنة 890 هـ / 1485 م . وأخذ عن شيوخها ، ثم ارتحل الى بلاد المشرق ، ولا نعرف تاريخ وفاته . راجع ترجمته فى « النيل » ، ص 77 .

44 ـ المتوفي فى سنة 901 هـ / 1496 م ، له : « النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب » وروضة النسرين فى مناقب الأربعة المتأخرين « وهم الهواري ، وابراهيم التازي ، والحسن بن مخلوف ، وأحمد بن الحسن الغماري » ، راجع ترجمته فى « البستان » ص 251 ـ 252 .

45 ـ فقيه توفي سنة 922 هـ / 1516 م ، راجع ترجمته فى « النيل » ، ص 85 . وقد قال انه من أكابر أصحاب السنوسي ، وكذلك فى « البستان » ، ص 71 .

ومحمد بن العباس الصغير (46) ، غير أننا لم نتوصل الى استخراج معلومات كثيرة من تراجمهم عن العلوم التي نقلوها من شيخهم الحافظ التنسي ونستثني قولا لمحمد بن العباس الصغير ذكر فيه بعض ما أخذ عن أستاذه . وقد استشهدنا ببعض هذا الكلام فيما سبق لاثبات مزاولة التنسي التدريس ، قال ابن العباس « لازمت مجلس الفقيه العالم الشهير سيدي التنسي عشرة أعوام وحضرت اقراءه تفسيرا وحديثا وفقها وعربية وغيرها » (47) .

ج ـ ثقافتــه :

واذا قمنا باحصاء العلوم والفنون التي درسها شيوخ التنسي أو درسها هو نفسه فيما بعد ، توصلنا الى أنه كان فى امكان التنسي أن يأخذ كل العلوم التي كانت متداولة فى زمانه فى جامعات العالم الاسلامي ، وهي العلوم التي كان يدرسها أشياخه ونرجح أنه أخذ عنهم أكثرها ، واذا كانت الدلائل تنقصنا لاثبات تعلم بعضها ، فان علمه الواسع وشهرته ، وسعة اطلاعه التي أبداها فى فتاويه وفى « نظم الدر والعقيان » ، تدعونا للاعتقاد بأنه أخذ أكبر قسط من كل هذه العلوم التي كانت متداولة فى عاصمة بني زيان ، وقد ورد ذكر أكثرها فى كلامنا السابق عن أشياخ الحافظ التنسي . ومما يستوقف النظر أن علم الكلام لم يذكر من بين العلوم التي أخذها التنسي أو طلبة جيله عن أولئك الأشياخ ، كذلك لم يذكر المترجمون لأشياخه أنهم علموا الطب مع أن تلمسان كانت مشهورة بأطبائها (48) ، كما أننا نشك فى ميل

46 ـ فقيه ومتصوف مر ذكره ، توفي سنة 1011 هـ / 1602 ـ 1603 م . راجع ترجمته فى « البستان » ، ص . 263 ، وقد قال عنه ابن مريم فى هذه الترجمة : « انه قدم فى المنقول والمعقول » .

47 ـ « النيل » ، ص 354 .

48 ـ ويثبت لنا ذلك كون العالم المصري عبد الباسط بن خليل الذي زار تلمسان فى حياة التنسي قد قصد عاصمة بني زيان للاخذ عن أطبائها . راجع مقالنا « رحالة مصري يزور الجزائر فى القرن التاسع » فى الأصالة ، عدد 25 سنة 1975 ، ص 124 ـ 135 . ومما قاله عبد الباسط بصدد حديثه عمن لقى من العلماء فى تلمسان : « ولقينا بها جماعة أخرى من الفضلاء والأدباء والاطباء منهم محمد بن علي بن فنوش أحد أطباء تلمسان فى المزاولة والدراسة وسمعت من فوائدهم ، وحضرت دروس بعضهم ، ونقلت عنهم أشياء وأجازوني .. » (الروض الباسم ، ص 44) .

مؤلف « نظم الدر » الى التصوف اذ أن المترجمين لم يشيروا الى هذا الميل ، خلافا لما فعلوا فى تراجم أكثر أشياخه وتلاميذه • وهذا مع أنه كان تلميذ لابراهيم التازي أحد الصوفية المشهورين فى عصره (49) •

واذا كان معاصروه والمترجمون له قد وصفوه بحفظ الحديث ، وأخبروا عن تبحره فى الفقه ، فانهم حرصوا كل الحرص على اظهار علمه وميله الى التاريخ والأدب مع أن الاهتمام بالأدب كان قليلا في ذلك العصر الذي تغلب الدين على كل مرافق الحياة فيه ، فسمى الونشريسي فى وفياته مؤلف « نظم الدر » : الفقيه الحافظ ، التاريخي ، الأديب ، الشاعر ، (50) •

وهكذا يظهر فى وضوح أن معاصريه قد لاحظوا الى جانب المامه الواسع بالحديث والفقه ، اختصاصه فى التاريخ وميله الى الأدب منظومه ومنثوره ، واننا لا نتوقع هذا التكوين الأدبي عند شخص قد قضى حياته فى وسط غلبت المسحة الدينية على ثقافته • واذا كان التنسي قد أخذ النحو والصرف ودرس العربية على أشياخه فما كانت وسائله للحصول على هذه الثقافة الأدبية ؟ اننا نرجح أن هذا الميل الى الأدب كان ظاهرة لم تنقطع بتلمسان على مر العصور ، وتستشهد على ذلك بوجود كتب غلبت عليها المسحة الأدبية فى القرن الذي سبق عصر التنسي « كبغية الرواد فى ذكر الملوك من بني عبد الواد » ليحيى ابن خلدون (51) وقد جاء زاخرا بالأدب منظومه ومنثوره وفى القرن الذي تلاه « كنفح الطيب » لأحمد المقري (52) •

---

49 – توفي التازي سنة 866 هـ / 1462 م ، راجع ترجمته فى « البستان » ، ص 58 – 63 •

50 – « النيل » ، ص 354 •

51 – توفى يحيى بن خلدون سنة 780 هـ / 1378 – 79 م •

52 – توفى أحمد المقري سنة 1041 هـ / 1632 م •

3 ـ منزلته بين معاصريه :

مما لاشك فيه أن محمد التنسي قد احتل منزلة مرموقة بين معاصريه، مع أن أكثرهم قد بلغ مرتبة عليا فى العلم والتعليم ، والافتاء كما رأينا وأن ما يسترعي الانتباه فى هذا الصدد هو الألقاب والنعوت التي أطلقها معاصروه ، ومن تبعهم من العلماء والمترجمين • فبالاضافة الى الاطراء الشائع فى أكثر كتب التراجم القديمة ، خص التنسي دون أكثر معاصريه ببعض النعوت • فأول ما يستوقف نظرنا هو أننا نجد اسمه مقرونا في أكثر الأحيان بكلمة الحافظ •

ومع أن الكلمة كانت مخصصة للعلماء الذين كانوا يحفظون الحديث النبوي (53) ويتقنون علومه ، فانها لم تطلق على عدد كبير منهم فى أي عصر من عصور الحضارة الاسلامية • وان نعت أحدهم بالحافظ فـان الكلمة لم تقرن فى أكثر الأحيان باسمه (54) ولم يكن هذا النعت الوحيد الذي خص به التنسي • واذا رجعنا الى ترجمته المدرجة « بنيل الابتهاج » (55) ، نلاحظ أن أحمد بابا خصه بنعوت أخرى • فاذا نعت بالفقيه الجليل كما نعت غيره بالحجة ، أو المحقق ، أو العارف ، أو النحرير ، أو الحبر وهكذا ، فاننا نلاحظ أنه نعت التنسي على وجه الخصوص بالأديب المطلع (56) • ولم يصف أحمد بابا أصحاب التراجم بهذه الصفة الا نادرا • وهذا يدل على تأثير « نظم الدر » وباقي مؤلفات التنسي فى نفوس الناس • أما ابن داود الأندلسي المتقدم الذكر ، وكان من تلاميذ التنسي ، فقد وصفه « ببقية الحفاظ وقدوة الأدباء » وقد وأرد أحمد بابا هذا الوصف فى ترجمة التنسي • ويؤكد

---

53 ـ قال السيوطي عن الحافظ (« المزهر » ، ج 2 ، ص 312) : « فاذا بلغ راوي الشعر الرتبة المطلوبة ، صار يدعى الحافظ ، كما ان من بلغ الرتبة العليا من الحديث يسمى الحافظ » . ويقول عبد العزيز بنعبد الله (« معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى » ، ص 7) : « وهي ألقاب التعديل لا الحفظ » .

54 ـ ممن اشتهر بالشرق الاسلامي باقتران اسمه كلمة حافظ : ابن حجر العسقلاني والسخاوي .

55 ـ ص 53 / 3 ـ 345 .

56 ـ « النيل » ، ص 353 .

كلام آخر لابن داود هذا نقله أيضا أحمد بابا يقول فيه ان التنسي قد امتاز في عصره ، بالعلم والأدب ولم يقل بالصلاح أو بالزهد • قال أحمد بابا : « لقد ذكر عن الشيخ أحمد بن داود الأندلسي انه سئل حين خرج من تلمسان عن علمائها فقال : « العلم مع التنسي ، والصلاح مع السنوسي » (57) ، والرئاسة مع ابن زكري (58) • أما الونشريسي فقد وصفه كما رأينا في الفصل الخاص بتكوين المؤلف « بالفقيه الحافظ ، التاريخي ، الأديب ، الشاعر » (59) • كما أطراه معاصره السنوسي اطراء كبيرا لما اطلع على جوابه في قضية توات الآتية الذكر في الفصل الخاص بآثار المؤلف (60) •

وعندما نعود الى هذا الموضوع سنرى أيضا ان العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي توجه الى أكبر علماء عصره يستفتيهم في قضية يهود توات ويلتمس منهم تأييد موقفه في القضية • ويدل توجه المغيلي الى عالم تلمسان التنسي انه كان يعتبره من أجل علماء عصره وأكبرهم منزلة •

أما المقري الذي نعته « بشيخ شيوخ شيوخنا » (61) فقد سماه « حافظ عصره » (62) وذكره في سلسلة الرواة الذين أخذ عن طريقهم الحديث النبوي الشريف قال في اجازة نظمها بدمشق لعالم يدعى يحي المحاسني (63) •

وقد أخـذت جامـع البخـاري ومسلـم عن حائـز الفخـار
عـمي سعيد وهو عمـن يـدعى بالتنسي قد أفـاد الجمعـا (64)
عن حافظ الغرب الرضى أبيه (65) عـن ابن مرزوق عـن النبيه (66)

57 ـ يعني : محمد بن يوسف السنوسي من أكابر علماء عصره في المغرب والمتوفي سنة 895 هـ / 1490 م • راجع ترجمته في « البستان » ، ص • 237 ـ 248 •
58 ـ مر ذكره • أنظر تعليقنا رقم (26) •
59 ـ « النيل » ، ص 354 •
60 ـ « النيل » ، ص 356 •
61 ـ « نفح الطيب » ، ج 3 ، ص 113 و ج 6 ، ص 513 •
62 ـ « نفح الطيب » ، ج 2 ، ص 574 •
63 ـ المتوفى سنة 1053 هـ / 1643 م •
64 ـ يعني : ابن الحافظ التنسي •
65 ـ أي الحافظ التنسي مؤلف « النظم » •
66 ـ « نفح الطيب » ، ج 2 ص 438 •

الباب الثاني

آثار التنسي

مؤلفاته :

ذكر المترجمون لمحمد التنسي التآليف التالية (1) .

1 ـ « نظم الدر والعقيان فى بيان شرف بني زيان » .

2 ـ « الطراز فى شرح ضبط الخراز » .

3 ـ « راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح ، وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح » .

4 ـ « الجواب المطول فى قضية يهود توات » .

ان هذه الكتب ان لم تكن موجودة فى عصرنا ، فقد وجدت فى يوم من الأيام . ولدينا الأدلة الكافية لاثبات ذلك ، وسنعرض هذه الدلائل عندما نقوم بالتحدث عن هذه الكتب واحدا بعد الآخر .

وقد ذكر المترجمون للتنسي مؤلفات أخرى لا نعلم على وجه التحقيق اذا كان المؤلف قد كتبها فعلا . وان كانت وجدت فى السابق فانها اليوم مفقودة . وهذه الكتب هي :

1 ـ ذكرنا هذه المؤلفات على الترتيب الذي سلكه احمد بابا فى ترجمته للتنسي (« النيل » ، ص 353 ـ 354) غير اننا فصلنا بين الكتب التي تأكدنا من أن التنسي قد صنفها والكتب التي لم نتأكد من انه قد ألفها حقيقة .

1 ــ كتاب فى اسلام أبي طالب ٠

وقد انفــرد السخاوي بذكره فقال ٠ « وقيل انه صنف فى اســلام أبي طالب جزءا كما هو مذهب بعض الرافضة » (2) ٠

2 ــ كتاب فى السلطان محمد المتوكل ، وقد أخبر عنه التنسي نفسه فى ثنايا « نظم الدر » ٠ فقال : « لو اشتغلنا بذكر مناقبه ، وبيان ما خصه الله به من صفات الحمد ، وخصال المجد ، وشرح قضاياه ووقائعه ، لطال الكتاب ، وخرجنا من الحد الذي رسمناه ، ولعل الله ينفس فى العمر ، فنصنف كتابا مفردا فيما يختص به أعلى الله مقامه ، نستوفي فيه جميع ذلك » (3) ٠

اننا لم نعثر على أثر لهذا الكتاب فى المؤلفات الكثيرة فى التاريخ والأدب وفى التراجم التي ألفت بعد التنسي ٠ وهذا يدعونا الى الاعتقــاد أن التنسي لم يؤلف هذا الكتاب كما كان ينوي ٠

3 ــ « فهرسة » ٠ وقد ذكرها عبد الحي الكتاني ، فقال ٠ « واه فهرسة نرويها بأسانيدنا الى أبي العباس المقري (4) ، وسعيد قدورة (5) كلاهما عن عم الأول سعيد المقري التلمساني ، عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الجليل ، عن أبيه المذكور » (6) وهذه « الفهرسة » لم تتوصل الى العثور عليها (7) ٠

---

2 ــ « الضوء اللامع » ، ج 8 ، ص 210 .

3 ــ انظر المنشور فى آخر هذا الكتاب .

4 ــ مؤلف كتاب « نفح الطيب » .

5 ــ من اشهر علماء الجزائر بالقرن الحادي عشر هـ / 17 م ولى الافتاء بالجزائر العاصمة وتوفى سنة 1066 هـ / 1656 م ، راجع الحفناوي (« تعريف الخلف » ،ج1،ص 62)

6 ــ « فهرس الفهارس » ، ج 1 ، ص 194 .

7 ــ كنا نأمل العثور عليها فى مكتبة عبد الحي الكتاني التي حجزتها السلطات المغربية بعد استقلال البلاد ، ونقلتها من فاس مقر الكتاني الى « الخزانة العامة » بالرباط . غير اننا لم نجد الكتاب فى الجرد الاول الذي وضع لمحتوى المكتبة ، واذا وجدت فى المستقبل يوم تتم فهرسة جميع الكتب التي تضمها مكتبة الكتاني ، فلنا امل كبير فى ان تضيء لنا بعض الجوانب الغامضة ــ وما اكثرها ــ من حياة التنسي . هذا وليس لدينا أي دليل على ان الكتاني قد امتلك نسخة من هذه الفهرسة . فكل ما نعلمه هو انه « رواها باسنيده » .

4 ـ تعليق على « مختصر ابن الحاجب » وقد ذكره أحمد بابا فقال • « وسمعت أن له تعليقا على فرعي ابن الحاجب » (8) • فالاضافة الى عدم تحقيق المترجم نفسه من صحة هذا الخبر ، لم يذكر هذا الكتاب غيره

2 ـ تحليل كتب التنسي (9)

أ ـ الطراز في شرح الخراز (10)

ان « الطراز في شرح الخراز » هو شرح على « مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن » وهو أرجوزة في 154 بيت في ضبط القرآن ، نظمها سنة 703 هـ / 1303 م (11) محمد بن ابراهيم الشريشي أصلا ، الفاسي مولدا ودارا وضريحا ، المعروف بالخراز (12) • وما قام بشرحه محمد التنسي هو قسم من أرجوزة طويلة خصص منها صاحبها الخراز ، 454 بيت للرسم ، والباقي وهو 154 بيت للضبط • وقد شرح التنسي

8ـ « النيل » ، ص 353 . وعثمان بن عمر بن الحاجب المتوفى سنة 646 / 1249 م . من أكبر فقهاء المالكية وعلماء العربية ، ومن أشهر كتبه « منتهى السول والامل في علمي الاصول والجدل » ، وهو في أصول الفقه وقد قام هو بنفسه باختصاره وسماه « مختصر المنتهى في الاصول » ونشر بولاق ، 1316 هـ) ، واشتهر ابن الحاجب أيضا بكتابه المسمى « المختصر في الفروع » أو جامع « الامهات » ويعرف بين الفقهاء وأصحاب التراجم بالمختصر الفرعي أو « ابن الحاجب الفرعي » أو « مخصر ابن الحاجب وقد نال الكتاب شهرة كبيرة عند علماء المغرب وقام بعضهم بشرحه وأشهر كتبه في اللغة « الشافية » في الصرف والكافية في النحو .

9 ـ فضلنا تأجيل الكلام عن « نظم الدر » لأنه محور هذا البحث كله وكذلك حتى يكون وحدة متماسكة مع النص المحقق الذي سيتلوه .

10 ـ اعتمدنا في هذا البحث على مخطوطين « للطراز » تملكها المكتبة الوطنية ويحملان رقم 390 ورقم 391 . ويضم كلا المجلدين شرحا آخر « لمورد الظمآن » كما سنرى .

11 ـ الطراز ، مخطوط رقم 391 ، ورقة (181و) .

12 ـ قد تحدث ابن خلدون (« المقدمة » ، ص 792) في باب العلوم وأصنافها عن الرسم والضبط وأشار الى أرجوزة الخراز ، فقال عنها « واشتهرت بالمغرب واقتصر الناس على حفظها » .

كما يدل ذلك عنوان تأليفه ، القسم الخــاص بالضبط (13) • ومطلع « مورد الظمآن » هو :

الحمد لله العظيـــم المــــنى   ومرسل الرسل بأهــدى السنى

وقد استهل التنسي شرحه بعد الحمد والصلاة على الرسل بقوله : « فاني لما رأيت من تكلم عــلى ضبط الأستاذ أبي عبد الله الشريشي الشهير بالخراز ، وجدتهم بين مختصر اختصارا مخلا ، ومطول تطويلا مملا ، فشاقت نفسي الى أن أضع عليه شرحا متوسطا يكون أنشط لقارئه وأقرب لفهم طالبه ، فشرعت فيه مستعينا بالله تعالى وسميته « بالطراز فى شرح الخراز •• » (14) •

وأول بيت قام التنسي بشرحه هو قول الخراز :

هذا تمــام نظم رســم الخــط   وها أنــا أتبعـــه بالضبط

وقد اهتم الشارح بادي ذي بدء بتعريف علمي الرسم والضبط والتمييز بينهما فقال : « وهو (أي الخراز) يتكلم عليها (أي المصاحف) بوجهين أحدهما ما يرجع الى بيان الزائد والناقص ، والمبدل وغيره والموصول وغيره وهو المسمى بعلم الرسم وفيه نظم المؤلف ما تقدم • والموجه الثاني ما يرجع الى علامة الحركة والسكون والشد والمد والساقط والزائد وهو المسمى بعلم الضبط ، وفيه نظم المؤلف هذا الذي تكلم عليه » (15) •

---

13 ـ قال حسين بن علي الرجراجي الشوشاني فى « تنبيه العطشان على مورد الظمآن » وهو شرح على أرجوزة الخراز : هو « ابو عبد الله محمد بن ابراهيم الأموي الشريشي الشهير بالخرازي » (مخطوط رقم 391 ، ورقة (1ظ) ، وسماه بالخرازي أيضا شارح آخر « لمورد الظمآن » هو عبد الواحد بن عاشر وعنوان شرحه « فتح المنان المروي بمورد الظمآن » ، مخطوط رقم 390 ورقة (134ظ) . غير أن بعض القدماء كابن خلدون فى « المقدمة » (ص 792) وابن مريم فى « البستان » ، (فى عدة مواضع : منها ص 7 2، و ص 248 ، و ص 262 الخ ..) والتنسي أيضا حسب عنوان شرحه ، سموه الخراز من دون ياء . والاسم الكامل لقصيدة الخراز هو « مورد الظمآن فى رسم أحرف القرآن » .

14 ـ « الطراز » ، مخطوط رقم 391 ، ورقة (140 ظ) .

15 ـ المصدر السابق ، ورقة (141 و) .

ب – راح الأرواح ...

ان « راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح ، وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح » الذي ورد ذكره في ترجمة أحمد بابا للتنسي « بنيل الابتهاج » (16) هو اليوم فى حكم المفقود ، وقد يتبادر الى الذهن أن هذا الكتاب الذي لم يعثر على أثر له فى أي مكتبة من مكتبات العالم ، لم يؤلفه التنسي على غرار كتابه عن السلطان محمد المتوكل الذي وعد بتأليفه ورجحنا انه لم يؤلفه . غير انه يتوفر لدينا دليل قاطع يمكننا من الجزم بأن التنسي قد صنف بالفعل «راح الأرواح» ، وذلك ان المقري لم يكتف بذكره فى « نفح الطيب » (17) و « أزهار الرياض » (18) ، بل نقل فقرة منه فى كلا الكتابين . وقد وصف فيها حفلة من الحفلات التي كان يقيمها السلطان أبو حمو موسى الثاني فى كل مولد نبوي شريف بقصر « المشور » بتلمسان ، ولا بأس أن ننقلها اذ هي النص الوحيد الذي بلغنا من هذا الكتاب ، قال :

« انه كان يقيم ليلة الميلاد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام ، بمشوره من تلمسان المحروسة ، مدعاة حفيلة يحشر فيها الناس خاصة وعامة ، فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ، وبسط موشاة ، ووسائد بالذهب مغشاة ، وشمع كالاسطوانات ، وموائد كالهالات ، ومباخر صفر منصوبة كالقباب ، يخالها المبصر من تبر مذاب ، ويفاض على الجميع أنواع الأطعمة ، كأنها أزهار الربيع المنمنمة ، تشتهيها الأنفس وتستلذها النواظر ، ويخالط حسن رياها الأرواح ويخامر ، رتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال ، وقد علت الجميع أبهة الوقار والاجلال ، وبعقب ذلك يحتفل المسمعون بأمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ومكفرات ترغب فى الاقلاع عن الآثام ، يخرجون فيها من فن الى فن ومن أسلوب الى أسلوب ، ويأتون من ذلك بما تطرب له النفوس وترتاح الى

16 – ص 353 .

17 – ج 6 ، 513 – 515 .

18 – ج 1 ، ص 243 – 244 .

سماعه القلوب وبالقرب من السلطان رضوان الله عليه خزانة المنجانة قد زخرفت كأنها حلة يمانية ، لها أبواب موجفة (19) على عدد ساعات الليل الزمانية ، فمهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها ، وفتح عند ذلك باب من أبوابها ، وبـــرزت منه جارية صورت فى أحسن صورة ، فى يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورة ، فتضعها بين يدي السلطان بلطافة ، ويسراها على فمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافة ، هكذا حالهم الى انبلاج عمود الصباح ، ونداء المنادي حي على الفلاح » (20) .

واذا قارنا هذا الوصف بالفقرة التي خصصها المؤلف فى « نظم الدر » للموضوع نفسه ، لاحظنا أنهما متطابقتان فى المعنى ، وأكثر ألفاظهما متشابهة ، الا أن النص المدرج « بنظم الدر » أكثر تفصيلا . وهذا ما لا حظه المقري قبلنا ، وقد نقل الفقرتين على التوالي وعلق على كلام التنسي فى « نظم الدر » بقوله ، « هو أتم مساقا من كلامه فى راح الأرواح » (21) .

وأما محتوى الكتاب فهو كما يدل عليه عنوانه بكل وضـــوح ، مجموع القصائد التي قالها أبو حمو والقصائد التي مدحه بها بعض معاصريه من شعـــراء المغرب ، وأشهرهم : محمد بن يوسف القيسي الثغري (22) ، ومحمد بن أبي جمعة الشهير بالتلالسي (23) ، ولكن

---

19 – فى « أزهار الرياض » ، مرتجة ، والكلمتان لائقتان ، يقال : أوجف الباب أورتجه بمعنى اغلقـــه .

02 – « نفح الطيب » ، ج ص 513 – 513 ، و « أزهار الرياض ، » ، ج 1 ، ص243 – 244 .

21 – « نفح الطيب » ، ج 6 ، ص 515 و « أزهار الرياض » ج 1 ، ص 245 .

22 – قال المقري (« نفح الطيب » ، ج 7 ، ص 121) : « الفقيه الكاتب العلامة الناظم الناثر أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري بابا كاتب السلطان أمير المؤمنين أبي حمو موسى بن يوسف الزياني » . راجع ترجمته عند أحمد بابا (النيل ، ص 294) ولم يذكر فيها تاريخ وفاة الشاعر . وسماه « محمد بن يوسف القيسي التلمساني عرف بالثغري » . أما يحيى بن خلدون فسماه فى عدة أماكن من « البغية » : محمد بن يوسف القيسي الأندلسي (راجع على الخصوص ج 1 ، ص 44 ، ص 67 الخ .. أما التنسي فسماه دائما محمد بن يوسف الثغري . انظر فى النص المحقق ورقه 100 على الخصوص .

هل اقتصر المؤلف فى كتابه هذا على رواية الشعر ، فذكر القصائد في مدح أبي حمو ، والقصائد التي نظمها هذا السلطان نفسه من دون تعليق أو اضافة بعض الأخبار ؟ هذا ما لا يمكننا الاجابة عنه على وجه اليقين. ان النص الوحيد الذي بلغنا من « راح الأرواح » وكله نثر ، يدعونا الى الافتراض بأن المؤلف قد قدم لمجموع قصائده أو لبعضها ، بفقرات منثورة موضوعها السلطان أبو حمو • ونفترض أن الفقرة التي نقلها المقري كانت تتخلل فى الكتاب القصائد الطويلة التي كانت تلقى بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي كل سنة بقصر المشور وكان الشعراء يخصصون أول قصائدهم لمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرها لمدح السلطان أبي حمو •

ومما قال التنسي فى « نظم الدر » عن هذه الاحتفالات : وما من ليلة مولد مرت فى أيامه الا ونظم فيها قصيدا فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأول ما يبتديء المسمع فى ذلك الحفل العظيم بانشاده ، ثم يتلوه انشاد من رفع الى مقامه العلي فى تلك الليلة نظما » (90) •

ج ـ الجواب فى قضية يهود توات (25)

أصل المشكلة التي طرحت على التنسي وعلى غيره من كبار علماء عصره بالمغرب هو أن بعض المسلمين من توات وفى مقدمتهم الفقيه محمد

---

23 ـ قال عنه المقري (نفح الطيب ، ج 7 ، 129) : « الحاج الطيب أبو عبد الله محمد بن أبي جمعةالشهير بالتلالسي » ، ولم نعثر له على ترجمة . هذا وقد نقل بعض القصائد لأبي حمو وللشعراء الذين مدحوه وفى مقدمتهم القيسي والتلالسي ، كل من صاحب « زهر البستان » ، ويحيى بن خلدون فى « البغية » والمقري فى « نفح الطيب » وفى « أزهار الرياض » .

24 ـ انظر النص المحقق فى آخر هذا الكتاب ، ورقة 158 .

25 ـ توات ناحية على ضفاف وادي الساورة فى وسط صحراء الجزائر تضم عدة واحات أو قصور كما يسميها سكان الجنوب ، وأهمها فى القديم تمنطيت وأهمها اليوم أدرار. وقد لعبت الناحية دورا هاما فى العلاقات الاقتصادية والدينية والثقافية بين المغرب وبلاد السودان وجاء وصف « وطن توات » فى « العبر » ، ج 7 ، ص 118 ، كما يلي : فبعد أن ذكر أن هذه الأرض واقعة « على ثلاث مراحل قبلة سجلماسة » قال : « .. وطن توات ، وفيه قصور متعددة تناهز المئتين، اخذة من الغرب الى الشرق وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت وهو بلد مستبحر فى العمران ، وهو ركاب التجار المترددين من المغرب الى بلد مالي من السودان لهذا العهد .. »

بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (26) قد نقموا على اليهود القاطنين بالناحية ، مخالفتهم للأوضاع التي حددها لهم فقهاء الاسلام على مر العصور ، وهذا ما سماه المغيلي « تعديا وطغيانا وتمردا على الأحكام الشرعية » (27) ، وزادت الأزمة حدة حتى كادت تنشب فتنة فيما بين المسلمين ، وذلك بعد أن شيد أولئك اليهود كنيسة لهم بتمنطيت أكبر قصور توات . وقد أثار هذا النبأ ثائرة بعض المتشددين الذين اعتبروه مخالفا للشريعة الاسلامية وأعتمدوا فى ذلك على نصوص فقهية تسمح للذميين باصلاح معابدهم وتمنعهم من تشييد معابد جديدة . فعزم الفقيه المغيلي ومن أيده من سكان البلد على هدم الكنيسة الجديدة ، وقد خالف المغيلي بعض العلماء المحليين بدعوى ان اليهود ذميون لهم ما لأهل الذمة من الحقوق المنصوص عليها فى كتب الفقه المشهورة وقد احتج كل فريق بأحاديث نبوية وبأقوال السلف من صحابة وتابعين وعلماء ، غير ان كلا الفريقين لم يقو على فرض آرائه وجذب عامة الناس اليه .

هذا فيما يخص الظواهر التي أكتفت بذكرها بعض المصادر ، أما عن السبب الحقيقي لهذه الأزمة فيجب أن نرجع الى باقي القطر بالمغرب الأوسط وكذلك الى المغرب الأقصى حيث نجد أكثر اليهود لا يتقيدون فعلا بحدود الذمة التي نص عليها فقهاء الاسلام بالاجماع ، بل يتطاول بعضهم الى أعلى المناصب السياسية ، وقد تواطأ معهم بعض المسلمين الذين كانوا يتعاملون معهم سواء فى المدن أو فى البوادي ، أما فى بلاط بني مرين بفاس فقد أدى تعيين يهوديين فى منصب الوزارة الى مجزرة كبرى ذهب ضحيتها عدد كبير من اليهود ، والى فتن وأهوال أدت الى

---

26 ـ فقيه توفي سنة 909 هـ / 1503 م ، وقد خلف مؤلفات كثيرة فى الفقه ، والحديث ، والتفسير والمنطق ، والسياسة ، وقد اشتهر بمناوأته ليهود توات وبالجهود التي بذلها لنشر تعاليم الاسلام ببلاد الزنوج ، ومن أشهرها آثار ، كتاب « مصباح الأرواح فى أصول الفلاح » الذي حققه رابح بونار ، والرسالة التي كتبها لسلطان « كانو » فى أمور السلطنة وأجوبته عن أسئلة الاسقيا محمد سلطان « غاوو » التي نشرها وحققها عبد القادر زبادية تحت عنوان « أسئلة الاسقياء وأجوبة المغيلي » (الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1974) .

27 ـ راجع المغيلي ، مصباح الأرواح ، ص 27 .

اندثار دولة بني مرين وحلول أبناء عمومتهم من بني وطاس مكانهم (28) • وذلك سنة 869 هـ / 1465 م •

وقد أثبت المؤرخ الفرنسي دي فورك (29) ـ وذلك اعتمادا على المحفوظات الاسبانية ـ مكانة التجار اليهود بالممالك الثلاث التي اقتسمت الامبراطورية الموحدية شمال افريقيا ، وقد كانوا يقطنون بالمغرب الأوسط حسب هذه الوثائق بهنين ، وتلمسان ، وسجلماسة على وجه الخصوص •

ويلقي قاسم العقباني ضوءا على وضعية اليهود بتوات وعلى تركهم للزي الذي فرض ارتداءه عليهم فقهاء الاسلام ، ويثبت لنا على الخصوص تواطؤ السكان من الاعراب معهم لارتباط مصالحهم جميعا ، حيث قال :

« وما يفعله اليهود اليوم فى الأسفار من ركوب الخيل فى السروج الثمينة ، ولبس فاخر اللباس والتحلي بحلية المسلمين فى لبس الخف والمهماز ، والتعمم بالعمائم ، فمحظور شنيع ومنكر فظيع ، يتقدم فى ازالته بما أمكن ، وربما يجعلون لذلك محللا ، زعمهم انهم يخافون على أنفسهم وأموالهم ان ظهر عليهم زيهم الذي يعرفون به ، وهم فى ذلك كذابون لما شاهدنا من حصول الأمن القوي لهم عند العرب والحظوة الكبيرة لما يرجون من حصول النفع منهم ، فيرضى العربي أن يستأصل هو وجميع أهله فى نجاة اليهودي الذي معه ••• » (30) •

ولما حمى الوطيس بين الفريق المناصر للمغيلي • والفريق المعارض لـه (31) ، واشتد الخلاف بينهما ، راسل كلا الفريقين أكبر العلماء بفاس ، وتونس يستفتيانهم فى القضية ويطلب كل فريق تأييد موقفه ضد موقف

28 ـ راجع تفاصيل هذه الاحداث على الخصوص عند ابن القاضي ، « دورة الحجال » ، ص 392 ـ 393 ، وفى « الروض الباسم » ، ص 49 ـ 55 .

29 ـ راجع :

30 ـ راجع الونشريسي ، « المعيار » ، ج 2 ، ص 198 ـ 199 .

31 ـ كان عبد الله العصنوني قاضي توات على رأس من خالف المغيلي .

الفريق المخالف لتعاليم الشريعة • وقد كان محمد التنسي فى تعداد علماء العصر الاجلاء الذين قصدهم الفريقان (32) •

ذكر الونشريسي فى « المعيار » مختلف الأجوبة التي تلقاها الفريقان وقد انقسم أصحاب الأجوبة الى مؤيدين للمغيلي والى مخالفين لموقفه وكان محمد التنسي من جملة من وافق المغيلي الموافقة الحاسمة ، وايد موقفه الصارم بالدلائل والحجج ، وقد نقل الونشريسى فى « المعيار » فقرات طويلة من هذا الجواب الذى وصفناه بالحاسم اذ اطلق عنان الفقيه المغيلى وانصاره بتمنطيت ، فحملوا السلاح فور وصول جواب التنسى ، وانقضوا به على كنائس اليهود فهدموها •

وان تحاكم الفريقين المتحالفين بتوات الى التنسي لدليل على رفعة مكانته فى عيون معاصريه كما قد منا فى الفصل المسمى « منزلتــه بين معاصريه » « فأن يراسله فقيه فى منزلة محمد بن عبد الكريم المغيلى الذى قال عنه أحمد بابا » أحد الأذكياء ، ممن له بسطة فى الفهم والتقدم (33) لأكبر برهان على ذلك ما كان يتمتع به التنسي من شهرة فى عصره •

وقد أرسل التنسي جوابه للمغيلي مرفوقا بجـــواب معاصره محمد السنوسى المتقدم الذكر ولم يجب السنوسى فى الحقيقة عن المسألة ، وانما اكتفى بتأييد فتوى التنسى • فمما قال فى كتابه للمغيلى :

اعلم يا اخي اني لم أرى من وفق لا جابة هذا المقصد ، وبذل وسعه فى تحقيق الحق ، وشفى غليل اهل الايمان فى هذه المسألة ، ولم يلتفت لاجل قوة ايمانه ونصوع ايقانه الى ما يشير به الوهم الشيطاني من مداهنة بعض من تتقى شوكته ويخشى أن يقع على يده أضرار أو حط فى المنزلة،

32 ـ ذكر أحمد بابا (النيل ، ص 356) ، أسماء بعض من أجاب عن المسالة : وهم من غير التنسي : الرصاع مفتي تونس ، وأبو مهدي الماواسي مفتي فاس ، وابن زكري مفتي تلمسان ، والقاضي أبو زكرياء يحيى بن أبي البركات العمري ، وعبد الرحمن بن سبع التلمسانيان .

33 ـ « النيل » ، ص 355 .

سوى الشيخ الامام القدوة علم الأعلام الحافظ المحقق أبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي ٠٠ » الى أن قال :

« انه جزاه الله خيرا قد مد فى ابانة الحق ونشر اعلامه النفس ، وحقق نقلا وفهما وبالغ فى ذلك حتى أبدى من نور ايمانه الماحي لظلمات الكفر وآثاره أعظم قبس على ما تقفون عليه فى جوابه المكتوب هذا ، بأخذه فليعول أهل تمنطيت وغيرهم من أهل الاسلام على ما أبداه من الحق فى ذلك الجــواب ، ولينبذوا ما خــالفه ان أرادوا الفــوز بشرف الاسلام » ٠

ونلاحظ أن التنسي قد أشار فى كتابه هذا الى القوى الظاهرة والقوى الخفية التي كانت بتوات ولربما بباقي المغرب حيث كان يعيش السنوسي، تساند اليهود وتتعامى عن عدم انقيادهم للأحكام الشرعية الخاصة بأهل الذمة وعن مخالفتهم للوضعية التي حددها لهم الفقهـــاء فى المجتمع الاسلامي ٠ فقال السنوسي أن صاحبه التنسي لم يراع فى ابداء الحق « بعض من تتقى شوكته » (34) ٠

ولا نظن أن يكون هؤلاء الأشخاص أصحاب الشوكة الذين هم أهل للمداهنة والذين قد يلحقون أضرارا بمخالفيهم فى قضية اليهود هذه سوى بعض أولي الأمر أو بعض كبار التجار والصناع الذين كانوا يتعاملون مع اليهود من سكان البلاد ومن الوافدين من المنطقة المسيحية من الأندلس ٠ فأطرى السنوسي صاحبه التنسي على صحة جوابه وسعة علمه وقوة بصيرته من ناحية ، وعلى شجاعته واقدامه على ابداء آرائه فى القضية المطروحة عليه رغم الأخطار التي قد تلحق به من جراء ذلك من ناحية أخرى ٠

ولاعطاء فكرة عن هذا الجواب الذي أذاع شهرة الحافظ التنسي ، وأثار اعجاب معاصريه من العلماء ارتأينا أن ندرج فقرة من مقدمته فيما يلي ، وقد استهل التنسي النص بعد الحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بمقدمة قال فيها : « فاعلموا نور الله بصائركم وطهر من

34 ـ « المعيار » ، ج 2 ، ص 202 ٠

اتباع الهوى سرائركم ، أن الشريعة المحمدية نسخت كل ملة ، وشفت القلوب السقيمة من كل علة ، اذا برزت شموسها ساطعة ، وبدت براهينها قاطعة ، وقام بحفظها العلماء الأعلام ، مكلفين بحراستها على مرور الأيام ، واعتنوا ببيان حكم مسألة السؤال عصرا فعصرا ، من زمن الصحابة الى هلم جرا ، وسنورد عليكم من كلامهم ما لا يبقى معه لبس ، ولا تتشوف الى غيره نفس ، وأصل ذلك أحاديث مروية عن خير المرسلين وآثار وردت على وفقها عن الصحابة والتابعين ، اعتمد عليها قديما وحديثا علماء المسلمين » (35) . وقد ورد الونشريسي بعد هذه المقدمة جواب التنسي في 13 صفحة من طبعة المعيار الحجرية (36) .

واذا رجعنا الى جواب التنسي ندرس محتواه ونتفحص حججه فهل نجده يحوي آراء شخصية واستنتاجات جديدة ؟ .

الواقع اننا عند مطالعتنا للجواب لم نلحظ أي جديد ، فان كان التنسي قد أبدى فيه سعة اطلاعه في مجال العلوم الشرعية ، وهذا ما لا يمكن انكاره ، فانه لم يزد على ذكر آراء من سبقه من أئمة الفقه وأقوالهم أمثال مالك ، وابن القاسم ، وابن رشد ، وابن يونس ، وابن عرفة ، واللخمي وغيرهم من الذين احتج بأقوالهم لاثبات رأيه في القضية التي طرحتها عليه الفرقتان المتخاصمتان من أهل توات . غير أن صاحب « نظم الدر » لم ينفرد بهذه الخاصية وذلك أن الظاهرة الكبرى للعلم في ذلك الزمن كانت عند أكثر العلماء التبعية والتقليدية الاجتهاد والابتكار . ومما يجدر ذكره أن الونشريسي قد نقل في « المعيار » فتاوي أخرى للتنسي في موضوعات مختلفة .

د ـ « نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، وذكر ملوكهم الأعيان ، ومن ملك منهم في سالف الزمان » :

بما أن « نظم الدر » هو أهم آثار التنسي وبما أن هدفنا هو تحقيق القسم الخاص منه بتاريخ بني زيان ، والتعليق عليه ، كان من البديهي أن نخصه بدراسة ضافية أكثر طولا من الدراسات السابقة الخاصة بالآثار الباقية للمؤلف .

---

35 ـ « المعيار » ، ج 2 ، ص 189 .

36 ـ « المعيار » ، ج 2 ، ص 188 ـ 201 .

البـــاب الثـــالث

نظم الدر والعقيان فى بيان شرف بني زيان

« ونظم الدر » كتاب يقع فى جزأين لم يخصصه المؤلف لتاريخ الملوك من بني زيان فحسب كما قد يتبادر الى الذهن عند الاطلاع على العنوان، بل أورد فيه أيضا كما سنرى بعد قليل بالتفصيل أبوابا وفصولا أخرى فيها أدب كثير من منظوم ومنثور •

1 ـ الباعث على تاليف الكتاب وهدفه :

أشرنا فى فصل سابق خاص بحياة المؤلف الى سبب تأليف « نظم الدر »• واذا رجعنا الى مقدمة التنسي نفسه ، وهي مصدرنا الفريد لمحاولة بيان ما دفعه الى تصنيف كتابه ، نرى أنه أشار فى مستهل الكتاب الى نهوضه فى خدمة السلطان محمد المتوكل لما كان « من جملة من غمرته آلاؤه ، وتوالت عليه نعماؤه ، وألبسته منه حللا ضافية ••• » (1) وقد بذل جهوده كلها فى خدمته قائلا : « واستعملت فى ذلك ما رجوت أن يكون نافقا من بضاعتي » (1) الى أن قال : « عسى أن أقوم ببعض واجب حقه علي • » (1) وماذا فعل لشكر ولي نعمته لما أولاه من معروف ؟ قال : « فعزمت جعل الله الملك فيه وفى عقبه أبديا على الجمع له تصنيفا يكون ملوكيـــا » (1) •

---

1 ـ انظر مقدمة النص المحقق •

غير أن هذا الكلام لا يبين حقيقة هذه النعمة التي غمرت المؤلف كما لا يبين نوع العلاقات التي كانت بين المؤلف وبين هذا السلطان وحاشيته كما ذكرنا آنفا ولم يذكر المؤلف أيضا انه عزم على تصنيف الكتاب بطلب من السلطان أو من أحد وزرائه أو أحد المقربين من البلاط .

وهكذا ، لا تكفينا المقدمة كي تتوصل لمعرفة السبب الذي دفع محمد التنسي فى الحقيقة الى تصنيف « نظم الدر والعقيان » .

وكان هدف التنسي تقديم كتاب للسلطان « يشتمل على التعريف بنسبه، وسلفه الكريم ، وبيان شرفه فى الحديث والقديم ، متبعا بجملة صالحة من مناقب الملوك ومآثرها ... (2) ، ثم زاد « مكملا بالحكايات البارعة والوصايا النافعة ، والمخاطبة الفائقة ، والأشعار الرائقة والنوادر المستغربة » (2) . وهذا ما سنراه بالتفصيل عند حديثنا عن محتوى الكتاب .

وهكذا اذا اعتمدنا على العنوان أولا وعلى هذا الكلام الأخير للمؤلف ثانيا ، نرى أن الهدف الأول من تأليف الكتاب هو اثبات شرف السلطان . وسنعود الى الحديث عن هذا الموضوع فى الفصل الخاص بقيمة الكتاب . وقد ألحق هذا القسم بالأبواب الثلاثة الأولى من القسم الثاني وموضوعها السياسة وخصال الملوك ، أما باقي الكتاب من حكايات ، ونوادر ، وأشعار ومواعظ وحكم ، فكان من باب التكميل كما صرح المؤلف بذلك فى المقدمة . هذا ولم يذكر التنسي ما كان يقصد بهذا التكميل ؟ فهل أراد حقيقة بمجموع كتابه أن يصنف تحفة أدبية لتسلية السلطان وقد خصص شطرا منها لاثبات شرفه والتحدث عن أجداده من قريش وآل البيت ، والأدارسة الذين جعل بني زيان من سلالتهم كما سنرى ؟ . هذا ما نظن ويؤكد ما نذهب اليه ، كلام المؤلف الذي أوردنا آنفا ، وقد قال فيه انه عزم على شكر السلطان بالجمع « له تصنيفا يكون ملوكيا أدبيا » . وهل يكون تصنيف كتاب « ملوكي أدبي » يقدم لسلطان لغير المرح والتسلية ؟

2 — انظر مقدمة « نظم الدر » فى النص المحقق .

ولكن هذا لم يمنع القسم الخاص ببيان شرف بني زيان من أن يحرز على قيمة تاريخية كبيرة كما سنبين ذلك في الفصل الخاص بقيمة الكتاب •

2 ـ عنوان الكتاب :

ان العنوان المتداول بين المؤرخين والأدباء وكتاب السير والتراجم القدامى هو « نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان » ، وهو في الحقيقة اختصار للعنوان الذي نجده في أكثر النسخ المخطوطة وان وجد بينها اختلاف في بعض الجزئيات أحيانا ، سواء ذكرت العنوان بحذافيره أو اختصرته (3) • أما في النسخة الأصلية التي اعتمدنا عليها لتحقيق الكتاب وهي أجود النسخ كما سنرى ، فاننا نجد في أولها العنوان الكامل للكتاب وهو « نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، وذكر ملوكهم الأعيان ، ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان » • وهذا العنوان رغم طوله لا يدل الا على القسم الأول من الكتاب وهو القسم التاريخي منه كما سنرى •

أما أحمد بابا التنبكتي فقد سمى الكتاب « نظم الدر والعقيان في دولة آل زيان » واضعا كلمتي « دولة آل » مكان « في بيان شرف بني » (4) وجاراه في ذلك ابن مريم (5) • ودعاه عبد الحي الكتاني في « فهرس الفهارس » « نظم الدر والعقيان في دولة بني زيان » (6) • وسماه أحمد المقري من جهته في « نفح الطيب » : « نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان » (7) مسقطا الجزء الأخير من العنوان • أما في كتاب « أزهار الرياض في أخبار عياض » فقد سماه مرة « نظم

3 ـ ان العنوان الموجود في مخطوط تلمسان الآتي الحديث عنه هو : « الدر والعقيان في شرف بني زيان » باسقاط الكلمة الأولى من العنوان وهي « نظم » واسقاط « بيان » قبل « شرف » .

4 ـ « النيل » ، ص 353 .

5 ـ « البستان » ، ص 248 . ونود ان ننبه الى أن ابن مريم كثيرا ما نقل عن احمد بابا .

6 ـ ج 1 ، ص 193 .

7 ـ ج 6 ، ص 514 .

الدرر والعقيان » (8) مستعملا الدرر عوض الدر ومرة أخرى « نظم الدر والعقيان » (9) • الا اذا كان الفرق بين الجزأين من الكتاب الواحد مصدره خطأ ارتكبه الناسخ أو محققو الكتاب • ومهما يكن أصل الخطأ ؛ فان العنوان قد اختصر اختصارا كبيرا فى كلتا الحالتين •

3 ـ محتوى الكتاب : (10)

لم يقتصر التنسي على بيان شرف بني زيان وجلب الدلائل لاثبات رأيه كما لمحنا الى ذلك منذ قليل ، بل أدرج فى تصنيفه جزءا ضمنه تاريخ دولة بني عبد الواد من يوم بزغ نجمها الى الوجود على أنقاض الدولة الموحدية، الى زمان السلطان محمد المتوكل معاصر المؤلف الذي تولى الملك من سنة 866 هـ / 141 م الى سنة 873 هـ / 1468 م حسب بعض الروايات ، وقد قدم المؤلف لتاريخ دولة بني زيان بفصول أخرى خصصها كلها لتاريخ أسلافهم ، فكتب عن قريش ، وآل البيت ، وعن علي بن أبي طالب وعن ابنيه الحسن والحسين ثم انتقل الى تاريخ الأدارسة الذين جعل بني زيان من سلالتهم •

وقد رأينا فى الفصل السابق الخاص بأهداف الكتاب ، أن المؤلف قد اتبع هذا القسم التاريخي من كتابه بأبواب فيها أدب منظوم ومنثور لا علاقة له ببني عبد الواد ولا بتاريخهم ، أو بقضية شرفهم ولا بتلمسان أو المغرب الأوسط وكاد هذا المضمون الأدبي أن يعادل المضمون التاريخي طولا • وجاءت أكثر النسخ التي عثرنا عليها فى مجلدين الأول منهما يضم القسم التاريخي ، والمجلد الثاني خصص للاقسام الأربعة الأخرى •

8 ـ ج 1 ، ص 244 ـ 245 •

9 ـ ج 3 ، ص 166 •

10 ـ نود أن ننبه الى أن القسيس بارجيس نقل الى الفرنسية نص الباب السابع من كتاب « نظم الدر » تحت العنوان التالي *Histoire des Béni Zeiyan rois de Tlemcen* غير أنه أساء فهم النص العربي فى بعض الفقرات فارتكب أخطاء فاحشة فى الترجمة كما أنه لم يترجم من القصائد الطويلة الا بداياتها • وقامت من جهتها اليس هاتون Alice Hatoun بتحليل الكتاب كله تحت عنوان : *Un Collier de perles*

انظر « الثبت العام للمصدر والمراجع » فى آخر هذا الكتاب •

4 ــ أقسام الكتــاب :

أشار المؤلف فى مقدمة « نظم الدر » الى أنه قسم كتابه الى خمسة أقسام ثم قسم كل قسم الى عدد من الأبواب • ونذكر فيما يلي هذه الأقسام وأبواب كل قسم منها •

القسم الأول فى التعريف بنسبه (11) ، وذكر سلفه وبيان شرفه فى الحديث والقديم ، ويشتمل على سبعة أبواب :

الباب الأول : فى ذكر نسبه الطاهر :

الباب الثاني : فى فضل (12) العرب ، وخصوصا المضرية منهم •

الباب الثالث : فى بيان شرف قريش ، وخصوصا بني عبد مناف منهم •

الباب الرابع : فى بيان شرف بني هاشم ، وخصوصا الطالبيين منهم •

الباب الخامس : فى بيان شرف علي وبنيه ، وخصوصــا الحســن والحسين منهم •

الباب السادس : فى بيان شرف عبد الله الكامل وبنيه ، وخصوصــا الأدارسة منهم •

الباب السابع : فى بيان شرف بني زيان ، وتتبع ملوكهم الى دولة مولانا فخر الزمان • وهو أطول باب من الكتاب وهو الذي قمنا بتحقيق نصــه •

القسم الثاني فيما يختص بالملك من الخصال وما يتعلق به من حسن السيرة وجميل الخلال ، ويشتمل على :

الباب الأول : فى السياسة •

الباب الثاني : فى الخصال التي بها كمال الملك •

---

11 ــ يعني السلطان محمد المتوكل .

12 ــ فى مخطوط باريز (رقم 5173) : فى « بيان شرف » عوض فى « فضل » .

القسم الثالث ، فى ذكر ملح ، ونوادر مستظرفة رويت عن أجناس مختلفة ، وبه ستة عشر بابا :

الباب الأول : فى ذكر ما روى من ذلك عن الظرفاء من الملوك والخلفاء .

الباب الثاني : فى ذكر شي ءمن طرف العلماء من أهل الظرف من كبار الملحـاء :

الباب الثالث : فى ذكر شي ءمن محاسن الشعراء :

الباب السادس : فى ذكر شيء من أخبار أهل الكهانة .

الباب السابع : فى ذكر شيء من أخبار المغنين .

الباب الثامن : فى ذكر شيء من أخبار النسابين .

الباب التاسع : فى ذكر شي ءمن أخبار الفقهاء .

الباب العاشر : فى ذكر شيء من أخبار الطفيليين .

الباب الحادي عشر : فى ذكر شيء من أخبار النساء .

الباب الثاني عشر : فى ذكر شي ءمن أخبار الصبيان .

الباب الثالث عشر : فى ذكر ظرفاء المجانين .

الباب الرابع عشر : فى ذكر شي ءمن أخبار الثقلاء .

الباب الخامس عشر : فى ذكر شيء من أخبار المغفلين .

الباب السادس عشر : فى المضحكات :

القسم الرابع فى محاسن الكلام المستعملة فى النثر وفى النظم ، ويشتمل على ثمانية ابواب :

انباب الرابع : فى ذكر شيء من طرف المحبين .

الباب الخامس : فى نوادر الاعراب على بداوتهم .

الباب الأول : فى بيان فضل الشعراء وذكر شي من فوائدهم .

الباب الثاني : فى ذكر التشريع وهو أحد أنواع الاقتدار .

الباب الثالث : فى التجنيس .

الباب الرابع : فى التوجيه .

الباب الخامس : فى الطبــاق .

الباب السادس : فى فراغات النظر .

الباب السابع : فى آلعكس وربما سمى قلبا .

الباب الثامن : فى الاقتباس وحقيقته .

القسم الخامس والأخير فى ذكر المواعظ والحكم الواردة عن مختلف الأمم ، ويضم أربعة أبواب :

الباب الأول : فى الحكم النبوية .

الباب الثاني : فى الحكم غير النبوية .

الباب الثالث : فى المواعظ النبوية .

الباب الرابع : فى المواعظ غير النبوية .

هكذا قسم المؤلف كتابه ، واذا استثنينا الباب السابع من القسم الأول وهو الباب الخاص بتاريخ ملوك بني زيان ، وما روى فيه المؤلف من قصائد قالها شعراء مغاربة ، واستثنينا أيضا بعض المعلومات المنشورة فى الأبواب السابقة الخاصة بالعرب وأجداد بني عبد الواد من بني هاشم وأبناء علي بن أبي طالب والأدارسة حسبما ذهب اليه المؤلف . فان باقي الكتاب خال خلوا تاما كما ذكرنا آنفا ، من ذكر بني زيان بل من كل أخبار المغرب وأدب المغرب .

5 ـ محتوى القسم الأول :

وبعد أن انتهينا من عرض محتوى مجموع الكتاب عرضا سريعا ، مكتفين بسرد عناوين الأقسام والأبواب ، نرى لزاما علينا أن نعود الى موضع اهتمامنا وهو الباب السابع من القسم الأول ، والمتضمن لتاريخ

بني عبد الواد ، فندرسه دراسة مفصلة ، ونعنى على الخصوص بالكلام عن المصادر التي اعتمد عليها المؤلف وعن طريقة تصنيف الباب ، وعن أسلوب التنسي فى نثره وشعره • كما رأينا من الضروري أن نوجه بعض العناية للأبواب السابقة التي جعلها المؤلف كما سبق وبينا ، مقدمة لهذا الباب فنحللها تحليلا مفصلا •

6 ـ محتوى الأبواب الستة الأولى من القسم الأول :

رأينا أن موضوع القسم الأول هو التعريف بنسب السلطان محمد المتوكل ، وبنسب ملوك بني زيان كلهم وهو الهدف من تأليف الكتاب كما قدمنا • وهو المحتوى الذي يشير اليه من ناحية أخرى عنوان الكتاب • وقد بينا من قبل أن هذا القسم يشتمل على سبعة أبواب تدرج فيها المصنف من جذع الشجرة وهم العرب حسبما ذهب اليه من اعتبار بني زيان من سلالة النبي (ص) ، الى أن بلغ الفرع الذي هو محور بحثه وهم بنو زيان (13) •

أما الباب الأول (14) فقد استهلكه بذكر نسب السلطـان ، فأورد الروايات المختلفة فى الموضوع وسنستعرض ذلك عند حديثنا عن قضية شرف بني زيان فى الفصل الخاص بقيمة الكتاب ، ثم اتبع نسب السلطان بنسب علي بن أبي طالب ، وقد رفعه الى عدنان ثم ذكر نسب عدنان نقلا عن ابن اسحاق فى « سيرته » ، وهو بهذا يوصل نسبب بني عبد الواد الى النبي (ص) كما سبق وأشرنا « ولما كان نسب أمير المؤمنين نصره الله موصولا بنسب المصطفى (15) ، خصص المؤلف الباب الثاني (16) من هذا القسم الأول لبيان « فضل العرب وخصوصا المضرية منهم • » وأورد

13 ـ ولاعطاء فكرة عن طول كل فصل من فصول هذا القسم الذي نقوم بتحليله فيما يلي نذكر فى الحاشية بداية كل باب وكل فصل ونهاية كل واحد ، وذلك بذكر أرقام الأوراق فى النسخة الأصلية التي سميناها « أ » كما سنرى عند بسط منهاجنا فى التحقيق ، وعند الكلام على النسخ التي اعتمدناها .

14 ـ من الورقة (2 و) الى الورقة (4 و) .

15 ـ ورقة (4و) .

16 ـ من الورقة (4و) الى الورقة (15ظ) .

فى الفصل الأول (17) من هذا الباب « فضل العرب على غيرهم من الأمم » أحاديث نبوية ، وقصصا من الجاهلية مثل قصة حاتم الطائي ، وأبياتا شعرية تثبت فى نظره فضل العرب على سائر الأمم وعلل تناوله لموضوع فضل مضر فى الفصل الثاني (18) • بقوله : لما اختصت به صلى الله عليه وسلم مضر دون غيرها » (19) • وأورد فى هذا الفصل الى جانب الحكايات التي تبثت فضل هذه الفئة من العرب ردودا على الشعوبية الذين كانوا كما هو معروف لا يقرون بفضل العرب على العجم بل يقللون من شأنهم •

وفى بداية الباب الثالث (20) « فى فضل قريش وخصوصا بني عبد مناف منهم » احتج المؤلف لتناول هذا الموضوع بانتساب صاحبه السلطان محمد المتوكل لقريش ، وقسمه الى فصلين :

الفصل الأول (21) فى فضل قريش والفصل الثاني (22) فى فضل عبد مناف ولاثبات تفوق قريش على باقي العرب ، استشهد بأحاديث كثيرة ، وبأخبار تاريخية منها مسألة حلف الفضول وبشعر كثير (23) واعتمد على قصص من السيرة وعلى أبيات شعرية لتبيين فضل بني عبد مناف فى الفصل الثاني ، ويلي هذا الفصل الباب الرابع (24) « فى بيان شرف بني هاشم وكرر التنسي هنا أنه تحدث عنهم لاتصال نسب السلطان محمد المتوكل بهم • ولبيان فضل هذه القبيلة اعتمد أيضا فى الفصل الأول (25) الخاص بها ، على بعض الأحاديث النبوية ، وعلى بعض الأشعار ،

---

17 – من الورقة (4و) الى الورقة (11ظ) .

18 – من الورقة (11ظ) الى الورقة (15ظ) .

19 – الورقة (4 و) .

20 – من الورقة (15 ظ) الى الورقة (24ظ) .

21 – من الورقة (15ظ) الى الورقة (20ظ) .

22 – من الورقة (20ظ) الى الورقة (24ظ) .

23 – قال المؤلف بهذا الصدد : « كانت العرب تقدم قريشا فى كل فضيلة الا فى الشعر حتى نشأ فى قريش عمر بن أبي ربيعة ، والحارث بن خالد ، وعبد الله بن قيس ذو الرقيات (كذا) وعبد الله بن عمر العرجي ، فاقرت لهم العرب كلها بالتقدم فى كل فضيلة حتى فى الشعر » (مخطوط « أ » ، ورقة 18و) .

24 – من الورقة (24ظ) الى الورقة (45ظ) .

25 – من الورقة (24ظ) الى الورقة (33و) .

والقصص من الجاهلية ، وذكر المؤلف في الفصل الثاني (26) » في شرف الطالبيين حياة أبي طالب الذي أثبت اسلامه ، وتحدث عن أشهر أبنائه مثل جعفر الطيار وابنه عبد الله ، ومثل عقيل وغيرهم •

وخصص الباب الخامس (27) لبيان « شرف علي وبنيه وخصوصا الحسن والحسين منهم » وذكر في الفصل الأول (28) تفوق علي وبنيه من غير الحسن والحسين الذين ذكر فضلهما في فصل خاص • وقد أورد في هذا الفصل الأول قصصا من السيرة النبوية وأحاديث نبوية تثبت كلها فضل علي ، كما انتقى بعض أقواله من حكم ، وشعر ، وكان محمد بن الحنفية من بين أبناء علي الذين جاء ذكرهم في هذا الفصل ، والجدير بالملاحظة أن المؤلف ذكر قصيدة بكر بن حماد التاهرتي المشهور في رثاء علي وذم قاتله ابن ملجم (29) • وجاء الفصل الثاني (30) « في ذكر الحسن والحسين وبنيهما زاخرا بالأحاديث النبوية ، والقصائد ، والأخبار التاريخية التي احتج بها على فضل « سيدي أهل الجنة (31) وذكر أهم مراحل حياة الحسن وبنيه ، ثم اتبعها بذكر أخبار الحسين وبنيه • وأورد أفكار أشهر طوائف الشيعة ولمحة تاريخية ذكر فيها تاريخ الدولة الفاطمية •

وللباب السادس (32) « في ذكر عبد الله الكامل وبنيه وخصوصا الأدارسة منهم » علاقة مباشرة بموضوع بني زيان وذلك أن المؤرخين الذين اعتبروا ملوك تلمسان من الشرفاء ومنهم يحيى بن خلدون والتنسي ، قد نسبوهم الى الأدارسة ، وهذا الباب ذو فصلين أيضا ،

---

26 – من الورقة (33و) الى الورقة (45ظ) •

27 – من الورقة (45ظ) الى الورقة (98و) •

28 – من الورقة (45ظ) الى الورقة (66ظ) •

29 – روى التنسي من هذه القصيدة 16 بيتا أولها :

قل لابن ملجم والأقدار غالبة ‏‏ ‏ هدمت ويحك للاسلام أركانا

30 – من الورقة (66و) الى الورقة (68و) •

31 – قال ص : « الحسن والحسين سيدا أهل الجنة » •

32 – من الورقة (98و) الى (130و) •

الفصل الأول (33) « فى ذكر عبد الله الكامل وبنيه » • « وعبد الله هذا من حفده الحسن بن علي وأمه فاطمة بنت الحسن بن علي • وأورد المؤلف فى هذا الفصل قصصا من السيرة النبوية ، وأشعارا ، وأخبارا تاريخية لاثبات شرف عبد الله الكامل • وقد استهل الفصل الثاني في ذكر الأدارسة واخوتهم السليمانيين » (34) بقوله : « لما كان نسب أمير المؤمنين مولآنا المتوكل نصره الله يختص من بني عبد الله الكامل بادريس عند قوم وبأخيه سليمان عند آخرين خصصنا هذا الفصل للكلام على ما يختص بهما » (35) ثم أورد تاريخ ادريس من يوم غادر المشرق الى أن وصل الى أوليلي بالمغرب الأقصى • ثم تحدث عن ذريته وذكر انتساب بني زيان الى أحدهم أو الى أحد أبناء أخيه سليمان •

7 ـ الباب السابع فى بيان شرف بني زيان :

أ) ـ مصادر البـاب :

لقد اعتمد محمد التنسي لكتابة هذا الباب الخاص بتاريخ ملوك بني عبد الواد ، على ثلاثة أنواع من المصادر ، الأولى معروفة ، والثانية لا نعرف عنها الا النزر اليسير ، أما المصادر الثلاثة فلا نعرف شيئا عنها (36) •

ان أهم مصدر اعتمد عليه المؤلف لتدوين هذا الباب هو « بغية الرواد، فى أخبار بني عبد الواد ، وما حازه مولانا أبو حمو من الشرف الشاهق الأطواد » ليحيى بن خلدون والمعروف أن مؤلف هذا الكتاب قد تولى منصب كتابة الانشاء بتلمسان ، للسلطان أبي حمو موسى الثاني ، وقد

---

33 ـ من الورقة (98و) الى (116و) .

34 ـ من الورقة (116و) الى (130و) .

35 ـ الورقة (116و) ، ومن الملاحظ اننا وجدنا فى هذه النسخة « بالكلام » مكان « للكلام » ، فصححنا الخطأ .

36 ـ لقد رجعنا للتوصل الى معرفة هذه الكتب ومؤلفيها ومحتواها الى عدد كبير من البيبليوغرافيات القديمة والحديثة ، وكتب التراجم ، وبعض الكتب التي توسمنا من مواضيعها أنها ربما ورد فيها ذكر هذه المصادر التي استعملها التنسي ، فوفقنا مرات ، وخابت آمالنا مرات أخرى .

كتب لمستخدمه هذا كتابا فى تاريخ الدولة خصص حوالي ثلثيه لدولة أبي حمو (37) • وقد أكثر التنسي من الرجوع الى هذا الكتاب في الباب السابع الخاص بتاريخ بني زيان ، وورد ذكره أيضا فى الأبواب السابقة للباب السابع وعلى الخصوص فى بداية الباب الأول « فى ذكر نسبه الطاهر » أي نسب السلطان المتوكل •

وقد لاحظنا أن التنسي نقل من « بغية الرواد » بين الحين والآخر جملا أو عبارات ، بل لأحظنا أنه نقل منه مرة فقرة طويلة بحذافيرها من دون أن يغير منها ولو كلمة واحدة ومن دون أن يصرح مع ذلك بنقله من كتاب يحـيى بن خلدون ، والفقرة المنقولة هي فى وصف « المنجانة » (38) التي كانت للملوك تلمسان بقصر « المشور » • ومع أن التنسي معذور بعض العذر فى نقله فقرة فى وصف شيء نادر لم يراه بينما شاهده صاحب « بغية الرواد » عيانا فوصفه فى كتابه ، نرى أنه كان عليه أن يذكر مصدره • ونجد فى « نظم الدر » فقرة أخرى متعلقة بظروف استيلاء بني عبد الواد على الحكم بتلمسان (39) نقلت أخبارها أحيانا بالعبارات والألفاظ نفسها من « بغية الرواد » ، غير أننا نبادر بالقول أن النقل من كتاب يحيى بن خلدون بهذا الشكل نادر ، فاذا استثنينا هذه الفقرة الأخيرة ، والفقرة المتقدمة الذكر فى وصف المنجانة والتي نقلها بحذافيرها ، فاننا لم نلاحظ نقلا حرفيا من « بغية الرواد » فى باقي الكتاب ، وقد انقطعت هذه الأخبار المنقولة عن يحيى بن خلدون سنة 777 هـ / 1376 م فى عهد أبي حمو الثاني • ونود أن ننبه الى أن المؤلف قد أضاف أحيانا الى ما أخذه عن « بغية الرواد » تفاصيل كثيرة فى الفقرات التي ذكر فيها هذا المصدر ، وكذلك فى الفقرات الأخرى التي لم يذكره فيها ، والتي تأكدنا أنه استمد أكثر أخبارها منه وذلك لتطابق الألفاظ بينها بعد المقارنة •

---

37 ـ راجع مقالنا : « من آثارنا المغمورة : « بغية الرواد فى أخبار بني عبد الواد » لابي زكريا يحيى بن خلدون ، فى « الاصالة عدد 13 مارس ـ أبريل 1973، ص 213 ـ 222 •

38 ـ أنظر فى النص المحقق : ورقة 156 و 157 من المخطوط الاصلي •

39 ـ أنظر فى نص « نظم الدر » اللاحق فى الفصل الخاص « باستيلاء بني عبد الواد على الحكم » ، ابتدا ءمن كلام التنسي : « واعتقل الامير أبا سعيد موضعهم ... » • (ورقة 131) •

وعلاوة على هذه التفاصيل المزيدة ، نجـد مؤلف « نظم الدر » لا يقتدي بصفة مستمرة بيحيى بن خلدون ، ولا يجاريه دائما فى بسط الأخبار ، بل نجده يجادله فى بعض المواقف ويخالفه . ومثال ذلك مخالفته لخبر موت السلطان أبي زيان الزياني الواقع حسب رواية يحيى ابن خلدون فى أثناء الحصار الذي ضربه على تلمسان يوسف بن يعقوب المريني ابتداء من سنة 698 هـ / 1299 م ، وقد عارض التنسي خبر صاحب « بغية الرواد » استنادا لرواية مؤلف كتاب « درر الغرر » الآتي الذكر . وفاضل بين المصدرين ففضل رواية « درر الغرر » ، لأن مؤلفه عاصر الحوادث التي ذكر أخبارها ، وأكثر من ذلك أنه حضر حصار تلمسان الذي يتعلق به الخبر . فقال : « وما ذكرناه من أن السلطان أبا زيان مات أيام الحصار ، وأن موت يوسف بن يعقـوب كان فى أيام الملك أبي حمو ، هو نص صاحب « درر الغرر » ، وهو أقعد بالقضية اذ كان حاضرا للحصار المذكور ، وهو خلاف ما زعمه صاحب « بغية الرواد » من أن موت يوسف بن يعقوب كان أيـام السلطان أبي زيان » (40) وان هذا المثال يقدم لنا دليلا قاطعا على أن التنسي لم يقلد تقليدا أعمى أي مصدر من مصادره ، بل وازن بينها ونقد محتواها ، وذلك بمرأى وبمسمع من القاريء ، وهذه طريقة نادرة فى تدوين كتب التاريخ القديمة لا نجدها الا عند كبار المؤرخين .

ومن مصادر هذا الباب من « نظم الدر » ، كتاب « زهر البستان فى دولة بني زيان » لمؤلف مجهول ولم نعثر الا على السفر الثاني منه ، محفوظا فى قسم المخطوطات لمكتبة بريطانية (41) ، وهو حسب القرائن كتاب فى ثلاثة أجزاء كتبه صاحبه فى عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني (42) ، وقد دونت فى السفر الثاني الذي انتهى الينا ، أخبار

40 — أنظر فى النص المنشور ، ورقة 143 .

41 — السفر الثاني من « زهر البستان » ، مخطوط محفوظ بمكتبة جون واياندس بمانشيستير تحت رقم 83 2، وعدد أوراقه 93 . وقد ذكر الاستاذ عبد الحميد حاجيات من جامعة الجزائر انه ينوي القيام بتحقيقه .

42 — راجع مقالنا : « مخطوطات لم تكتشف : زهر البستان فى دولة بني زيان » ، فى « الثقافة » عدد 13 ، 1973 ، ص 55 — 66 .

خمس سنوات من ملك هذا السلطان وذلك من سنة 760 هـ / 1359 م وهي سنة احيائه ملك آبائه الى سنة 764 هـ / 1363 م ، وقد أعلن المؤلف عن السفر الثالث فى آخر السفر الثاني • ومما تجدر الاشارة اليه ان التنسي هو الكاتب الوحيد الذي ذكر هذا الكتاب حسبما وصلت اليه أبحاثنا ، ولم يذكر التنسي انه استمد منه بل اكتفى بالاحالة عليه لمن يطلب المزيد من المعلومات عن أخبار حروب أبي حمود موسى • غير أن ذكر الكتاب يثبت لنا ان المؤلف قد رجع اليه واطلع على محتواه (43) •

ومن المصادر التي لا نعرف عنها شيئا شيئا ، وانفرد التنسي بذكرها ، كتاب « درر الغرر » المتقدم الذكر فى حديثنا عن « بغية الرواد » • ورأينا هنالك أن التنسي فضل مرة روايته على رواية يحيى بن خلدون ، وذكر حينذاك ان مؤلفه حضر حصار تلمسان الذي دام سبع سنوات من سنة 698 هـ / 1306 م • وهكذا يرجع تاريخ تأليف « درر الغرر » الى العقود الأولى من القرن الثامن ، ولا نعرف — حسبما بلغنا من أبحاثنا — أكثر مما قلناه عن هذا الكتاب الذي لم يذكره غير التنسي من المؤرخين والكتاب المغاربة الذين رجعنا الى مؤلفاتهم علنا نعثر على أي اشارة الى الكتاب • وقد رأينا الظاهرة نفسها آنفا عند حديثنا عن مصدره السابق « زهر البستان » • الذي انفرد هو أيضا بذكره ، وهذا من غريب الصدف •

هذه هي المصادر التي جاء ذكرها فى هذا الباب • ومما يستوقف النظر أن التنسي لم يرجع الى كتاب « العبر » لعبد الرحمن بن خلدون اذ أنه لم يذكر الكتاب بتاتا ولم ينقل منه حسب الظاهر مع أن عبد الرحمن بن خلدون توفى قبل وفاة التنسي باحدى وتسعين سنة ومن الراجح أن مؤلف « نظم الدر » لم يعرف كتاب « العبر » لأنه

43 — زيادة على ذكر الكتاب فى هذا الباب الخاص ببني زيان قد ورد ذكر « زهر البستان » فى الباب السادس الخاص « ببيان شرف عبد الله الكامل وبينه » مخطوط « أ » ورقة 124 ظ) •

لو اطلع على هذا المؤلف وخصوصا على الفصل القيم منه فى تاريخ بني عبد الواد ، لما تردد فى الرجوع اليه والاستمداد منه (44) .

هذا فيما يتعلق بالعهود الأولى للدولة الزيانية التي سبقت حياة التنسي وقد حظيت باهتمام المؤرخين . أما عن المدة التي عاصرها المؤلف وهي توافق القرن التاسع الهجري ، فقد انفرد هو بذكر أخبارها كما سنبين فى الفصل القادم الخاص بقيمة الكتاب .

وليس هناك أي بينة أو اشارة تدلنا على المصادر التي اعتمدها التنسي للكتابة عن أخبار تلك الفترة ، مكتوبة كانت أو شفهية ، الا ما ذكره مرة فى الفقرة التي خصصها للسلطان أبي مالك عبد الواحد بن أبي حمو (45) الذي تمكن من التغلب على بني مرين ، وتدويخ بلادهم ، وفرض عليهم أحد المطالبين بالعرش (46) ، فلما تكلم التنسي

---

44 ـ بما اننا بصدد الحديث عن الكتب التي اعتمد عليها التنسي لكتابة تاريخ بني عبد الواد ، رأينا من المفيد أن نذكر المصادر التي رجع اليها لتصنيف الأبواب السابقة من القسم . وقد أشرنا الى أنها كلها أيضا فى التاريخ . فالى جانب المؤلفات المشرقية المشهورة « كالكامل » للمبرد ، « وسيرة ابن اسحاق » جاء فى هذه الأبواب ، ذكر : « بغية الرواد » و « درر الغرر » ، وقد استعملهما المؤلف أيضا كما ذكرنا آنفا فى الباب « فى بيان شرف بني زيان » ، و « ترجمان العبر » ، ولم نتوصل الى معرفة هذا الكتاب الذي لم نعرف موضوعه ولا مؤلفه . وقد ذكره المؤلف ثلاث مرات (ورقة 2ظ) و (124ظ) و (129و) من مخطوط « أ » . والبكري ولم يزد المؤلف على أن ذكر هذا الاسم . وبعد البحث والموازنة بين هذه الكتب توصلنا الى التأكد من أنه قصد كتاب « المسالك والممالك » لأبي عبيد الله البكري . و « الذخيرة » . ونظن أنه قصد « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » لعلي بن بسام . وقد جاءت أسماء هذه المصادر الأربعة فى فقرة صغيرة من الفصل الثاني من الباب السادس « فى ذكر الأدارسة واخوتهم السيلمانيين » . وقد رأينا من المفيد نقلها فيما يلي ، قال المؤلف : « .. كان بالأندلس من عقب الأدارسة اخوان جليلان وهما علي والقاسم ابنا حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر ادريس . هكذا ذكر نسبهم صاحب « ترجمان العبر » واما صاحب « درر الغرر » فنقل عن البكري أنه حمود بن أبي العيس بن عبد الله بن عمر بن ادريس ، وقال صاحب « الذخيرة » هو حمود ابن .. » ورقة (124ظ) من مخطوط « أ » .

ان هذه الفقرة تعطينا مرة أخرى فكرة عن كيفية استعمال التنسي لمصادره ، غير انه فى هذه المرة لم يوازن بين هذه المصادر ، بل ذكر أقوالها المختلفة من دون أن يتخذ موقفا ، خلافا لما رأينا فى الفقرة السابقة الخاصة بموت السلطان أبي زيان اذ فاضل حينذاك بين رواية صاحب « بغية الرواد » ورواية صاحب « درر الغرر » .

45 ـ تولى الحكم من سنة 814 هـ / 1411 م الى سنة 827 هـ / 1424 م .

46 ـ هو محمد بن أبي طريق بن أبي عنان .

عن تسليم محمد أبي مالك عبد الواحد من بني مرين مقاليد الحكم ، قال : « فحدثني بعض من حضر وقت التسليم أن السلطان .. (47) .

فهذه هي المرة الوحيدة بعد وفاة أبي حمو الثاني وتولية أبي تاشفين ، التي ذكر فيها المؤلف مصدرا لأخباره . ومما يستوقف النظر ، أن هذا المصدر شفهي لا كتابي ، وبما أن المؤلف لم يذكر في غير هذه المناسبة ، مصدرا شفهيا ، وبما أنه لم يذكر كما قدمنا أنه رجع الى أي مصدر مكتوب لتدوين تاريخ الفترة التي عاشها ، جاز لنا أن نرجح أن التنسي قد اعتمد في تصنيف أخبار هذه الحقبة اما على مشاهداته الخاصة ، واما على ماروى له مباشرة شهود الأحداث سواء بتلمسان عاصمة المملكة أو خارجها .

وبالاضافة الى ذلك لا ندري اذا كان المؤلف قد استعمل الوثائق الرسمية من الرسائل والمعاهدات المحفوظة بدواوين المملكة لتصنيف كتابه . فلم يحدثنا على سبيل المثال في الباب « في بيان شرف بني زيان » مرة واحدة عن كتاب أرسله ملك من الملوك أو أرسل له . ومما يزيدنا تشككا في رجوع المؤلف الى الدواوين الحكومية جهلنا لنوع العلاقات التي كانت مع القصر كما قدمنا سابقا في الفصل الخاص بحياته .

ب ـ طريقة تصنيف الباب :

لما كان هذا القسم من الكتاب هو الذي قمنا بتحقيق نصه ، والتعليق على غوامضه ، لم نر من الضروري القيام بتحليل محتواه بالتفصيل . فاقتصرنا على التنبيه الى مميزاته وطريقة التصنيف التي سار عليها المؤلف.

وأول ما تجدر ملاحظته ، أن المؤلف خلافا لما فعل في الفصول والأبواب السابقة ، وخلافا لما ذكر في عنوان الباب ـ وهذا أهم ما يلفت الانتباه ـ لم يول قضية شرف بني زيان اهتماما كبيرا في هذا الباب الذي كان من المنتظر أن يخصصه كله أو جله ، لبيان هذا الشرف ،

47 ـ انظر في هذا النص المحقق ورقة 207 .

وان يوضح فيه رأيه بانتساب ولي نعمته الى الأدارسة والحسن بن علي. فاذا استثنينا بعض التلميحات والاشارات بين الحين والآخر ــ وقد قل عددها ــ فاننا نلاحظ أنه لم يبال بالموضوع مبالاة كبيرة من بداية الباب الى نهايته . بل خصص هذا القسم كله من الكتاب لعرض تاريخ ملوك الدولة .

وهكذا نرى أنه لو اقتصر على الشطر الثاني من عنوان هذا الباب فقال : « تتبع دولهم (بني عبد الواد) الى دولة مولانا المتوكل فخر الزمان » لكان ادل على مضمون هذا القسم من الكتاب .

ومما يستوقف النظر أيضا ، أن المؤلف بادر من أول وهلة الى ذكر « أول من قام منهم بوظيفة الملك » فلم يعتن بأخبار القبيلة قبل أن تقتطع لنفسها ناحية تلمسان ، وتستولي على الحكم ، خلافا لما فعل يحيى بن خلدون على سبيل المثال ، فقد خصص صاحب « بغية الرواد » قسما طويلا من كتابه « للتعريف بكنه قبيل عبد الواد وأوليته » (48) . أما التنسي فقد اكتفى بذكر كيفية انتهاء الملك الى بني عبد الواد ، في عهد الخليفة الموحدي المأمون ادريس بن المنصور (41) .

وقد رتب المؤلف هذا الباب حسب تتابع الملوك ، وفصل بعبارة « ثم بويع » بين أخبار كل ملك وأخبار الملك الذي تلاه على العرش . ومما زاد هذا التقسيم وضوحا ان كتاب أكثر النسخ التي رجعنا اليها ، وخصوصا النسخة الاصلية التي جعلناها أساسا للتحقيق والتي كتبت والمؤلف على قيد الحياة ، قد كتبوا هذه العبارة الفاصلة بين أخبار ملك وملك ، بحروف بارزة وأحيانا ملونة كما سنرى عند وصفنا للنسخ التي اعتمدناها . وكان بامكان المؤلف أن يقسم هذا الباب الى فصول ، ويخصص كل فصل لملك من الملوك ، ويسند له عنوانا على غرار ما فعل

48 ــ « البغية » ، ج 1 ، من ص 7 الى ص 105 .

49 ــ تولى الخليفة ادريس المامون الحكم من سنة 624 هـ / 1227 م الى سنة 630 هـ / 1232 م .

فى الأبواب السابقة من الكتاب ، ولكنه لم يفعل ، فقمنا بهذا العمل مكانه عند ضبط نص هذا القسم من « نظم الدر » كما سنوضحه فى مكانه .

وقد ذكر المؤلف فى أغلب الأحيان ، تاريخ بيعة كل سلطان من سلاطين بني زيان ، ومدة ملكه ، كما ذكر تواريخ أهم الأحداث التي جرت أثناء حكمه ، فبينما نجده أحيانا لا يزيد على ذكر سنة وقوع الحادث ، نجده أحيانا أخرى يورد اليوم وعدده من الشهر واسم الشهر والسنة .

وأنهى المؤلف هذا القسم بالكلام عن معاصره السلطان أبى عبد الله محمد بن أبي زيان الملقب بالمتوكل على الله . ولم يطل كلامه عنه اذ أخبر انه كان كما ذكرنا آنفا فى الفصل الخاص بآثاره ، ينوي أن يفرد لاخبار هذا السلطان ، كتابا خاصا ، وفى آخر هذا الباب أدرج قصيدة طويلة فى أربعة ومائة بيت مدح بها محمد المتوكل وأبناءه ، وقد قالها بمناسبة انتصار السلطان سنة 868 هـ / 1463 م ، على بعض المتمردين عليه حسبما سنذكر بالتفصيل عندما نصل الى الحديث عن شعر المؤلف .

وأنهى المؤلف هذا الباب فى بيان شرف بني زيان بثلاثة رسوم ذكر فى كل واحد منها شجرة نسب ، الأولى من المتوكل الى جده أبى حمو الثاني، والثانية من أبي حمو الى جده يغمراسن ، والثالثة والأخيرة من أمير المسلمين يغمراسن الى جده طاع الله .

ومما يسترعي انتباهنا هو ان المؤلف قد أدرج بين الأخبار التي أوردها فى هذا الباب بعض الأبيات الشعرية التي قد تكثر أحيانا لتصبح قصيدة طويلة . ومع ان الشعر قد ورد فى أغلب الأبواب والفصول السابقة ، فان ما يستوقف نظرنا فى هذا الباب ، ان بعض هذه الأبيات وهذه القصائد لم يكن لها علاقة مباشرة بالأحداث ، وانما أوردها المؤلف للتمثيل واستخراج مغزى الأحداث ، وهذا يؤكد ميله للأدب وشغفه به . وقد مهد لها أحيانا بعبارات وجمل مختلفة ، فمرة يقول « فكأنه المعنى بقوله » ومرة أخرى وفلان « أحق الناس بقول من قال » وهكذا . وفى أكثر الأحيان لم يقدم المؤلف هذا النوع من الشعر ، كما أنه لم يذكر فى الغالب اسم قائل الأبيات التي تمثل بها .

والى جانب هذا النوع من الشعر ، أورد التنسي فى هذا الباب قصائد طويلة قالها بعض الملوك من بني عبد الواد أو بعض شعرائهم ، ومنها قصيدته الأنفة الذكر • ومنها أيضا أربع قصائد طويلة للشاعر التلمساني المشهور محمد بن يوسف الثغري القيسي الذي سبق أن أشرنا اليه ، وكان لكل هذه القصائد ارتباط وثيق بسياق الحديث ، وكثير ما كانت تلقى فى المحافل التي كان ينظمها ملوك تلمسان كل سنة بقصر « المشور » بمناسبة المولد النبوي •

واذا استثنينا هذه الأبيات وهذه القصائد ــ وان كان لبعضها صلة بالموضوع كما قلنا ــ فليس فى الباب أية استطرادات ، وهذا خلافا لعادة عدد كبير من المؤلفين فى العصور السابقة •

ج) ــ القيمة التاريخية للباب السابع :

1 ــ محاسن هذا الباب :

ان نظم الدر هو أحد الأركان الثلاثة التي يعتمد عليها الباحث في تاريخ دولة بني زيان ، وتاريخ المغرب الأوسط فى عهدهم • أما الركنان الآخران فهما « بغية الرواد فى ذكر الملوك من بني عبد الواد » لابي زكرياء يحيى بن خلدون ثم كتاب « العبر » لأخيه عبد الرحمن ، ولم نعتبر كتاب « زهر البستان فى دولة بني زيان » من الأركان ولم نضفه الى هذه الكتب الثلاثة ولا يرجع ذلك لعدم أهميته وانما لبتره اذ لم ينته الينا سوى قسم واحد من هذا المصدر الهام كما قدمنا (50) •

ان أكبر مزية لكتاب التنسي هذا أنه المصدر العربي الوحيد لتاريخ دولة بني زيان فى فترة تزيد على سبعين سنة أي بدءا من التاريخ الذي انتهت فيه أخبار السفر الثاني من « زهر البستان » وذلك سنة 764 هـ / 1363 م ، وتاريخ توقف يحيى بن خلدون عن تدوين « بغية الرواد » فى سنة 777 هـ / 1376 م ، وانتهاء أخبار كتاب « العبر » عن الدولة

50 ــ انظر الفصل السابق الخاص بمصادر « نظم الدر » •

وذلك حوالي سنة 796 هـ / 1393 م الى أن يختم التنسي أخباره سنة 868 هـ / 1464 م ، وفيما عدا « نظم الدر » لا يتوفر للمؤرخ مصدر عن بي آخر شامل للأخبار ، لدراسة تلك الفترة الطويلة نسبيا من تاريخ الدولة وتاريخ المغرب الأوسط ، وذلك رغم تأخر زمنها وقربه من عصرنا ، الا ما كان من اشارات ومعلومات منثورة فى كتب بعض المؤرخين كالمقري فى « نفح الطيب » و « أزهار الرياض » ، وكتب بعض الرحالة كعبد الباسط بن خليل الذي خلف لنا « الروض الباسم فى حوادث العمر والتراجم » المتقدم الذكر ، وهو كتاب دون فيه مشاهداته بالمغرب الأوسط الذي زاره فى النصف الثاني من القرن التاسع فى عهد السلطان محمد المتوكل (51) • ورغم أهمية الأخبار التي أوردها فيه مؤلفه وانفرد بذكرها أحيانا ، لا يمكن أن نعتبره مصدرا أساسيا لتاريخ الدولة الزيانية لقلة الأخبار الخاصة بهذه الدولة فيه •

اننا نجد أيضا عن تلك الفترة بعض المعلومات المتفاوتة الأهمية ، فى كتب التراجم « كنيل الابتهاج بتطريز الديباج » لأحمد بابا التنبكتي و «البستان» فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان « لمحمد بن مريم » (52)•

وباستثناء كتاب التنسي وهذه المصادر الأخرى التي يقطف منها الدارس لتاريخ دولة بني عبد الواد فى القرن التاسع ، بعض الثمرات بين الحين والآخر ، تتوفر لدينا وثائق اسبانية تجمع بين وفرة العدد وقيمة المحتوى (53) • وقد تناولت تاريخ تلك الفترة التي كثرت فيها العلاقات الحربية والسلمية وزاد التبادل التجاري بين الدول المغربية الثلاثة والدول المسيحية باسبانيا ، وبالاضافة الى قيمة هذه المصادر في

51 ـ انظر تعليقنا السابق رقم 45 .

52 ـ راجع عن أهمية « البستان » مقالنا « البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان » وقيمته التوثيقية فى « الأصالة » ، عدد 26 ، 1395 هـ / 1975 ، ص 260 ـ 269 .

53 ـ راجع عن هذه المخطوطات الاسبانية المتعلقة بالمغرب فى العصور الوسطى حسب عرف المؤرخين ، أولا : كتاب دوفورك السابق الذكر ، ص 4 ـ 10 . ثم مقال أودينا مارتوريل : :

F. Udina-Martorell, *Les Documents arabes aux Archives de la Couronne d'Aragon à Barcelone...*, in *Actes du premier Congrès d'études méditerranéennes.* Malte, 1972, p. 50-57.

حد ذاتها ، فان لكل هذه الكتب ، ولكل هذه التقارير ، والمعاهدات ، والمراسلات الموجودة بدور المحفوظات بجزيرة الأندلس ، فائدة أخرى وهي تأكيدها للأخبار الواردة فى « نظم الدر » أو ايضاحها أو التشكيك فى صحتها ان اقتضى الحال ، غير أننا لا نجد أيضا فى هذه المحفوظات ، وهذا حسب الفهارس والجرود التي وضعها الاختصاصيون ، تاريخا مسلسلا وكاملا للدولة الزيانية ، فيبقى اذن « نظم الدر » وحده بالرغم من قصره واختصار معلوماته، المصدر الشامل لأخبار دولة بني عبد الواد. ولهذا جاز لنا أن نقول انه لولا التنسي لبقيت فى حيز الغموض والابهام، فترة من الزمان تنوف على السبعين سنة من تاريخ الدولة الزيانية ومن ماضي المغرب الأوسط . وتكفي هذه الميزة الكتاب فضلا على التاريخ والمؤرخين .

ويزيد شعور الباحث الدارس لتاريخ بني زيان بقيمة كتاب التنسي وأهميته ، عندما يريد دراسة الفترة التاريخية التي تلي سنة 868 هـ / 1464 م ، وهي سنة انقطاع أخبار التنسي كما ذكرنا . فلا يجد مرجعا واحدا يضم كلاما مسلسلا عن تاريخ بني زيان ، بل لا يجد مصدرا موثوقا به يمكنه حتى من ذكر قائمة الملوك من بني زيان الذين تولوا بعد محمد المتوكل فبالأحرى الأخبار الأخرى . فحتى هذا الملك المعاصر للتنسي لا نعرف على وجه التحقيق متى كانت نهاية دولته . أما الملوك الذين أتوا من بعده فان المصادر تختلف فى أسمائهم ، وفى مدة ملكهم ، وفى تتابعهم ، اختلافا مدهشا نادر الشبيه فى عهد قريب منا نسبيا كثرت معلوماتنا عنه فى جهات أخرى من المعمورة وفى ميادين أخرى . كما أن الدارس المهتم بتاريخ الدولة الزيانية لا يجد مصدرا عربيا موثوقا به ليعتمد عليه للاطلاع على كل تلك الأحداث الخطيرة التي كانت تنبيء بتدخل الاسبانيين فى الشؤون الداخلية للدولة ، وباحتلالهم بعض الأطراف من ساحل المغرب الأوسط ، وتنبيء أيضا بهرم الدولة وقرب أفول نجمها ، مما أدى الى تدخل الأخوين عروج وخير الدين ومن ورائهما الدولة العثمانية فى الحياة السياسية بالمغرب الأوسط ، في النصف الثاني من القرن العاشر لانقاذ هذا الجزء من العالم الاسلامي الذي لم تقو الدولة الزيانية على حمايته ، وابعاد خطر الغزاة المسيحيين

الذين كانوا يهدفون الى غزو المسلمين فى عقر دارهم ، بعد القضاء على كيانهم بالجزيرة الأندلسية ، فالدارس لتلك الفترة التي تبدأ سنة 878 هـ / 1464 م والتي انقطع فيها حديث التنسي وتنتهي سنة 962 هـ / 1554 م التي خلع فيها السلطان حسن بن عبد الله آخر ملوك بني عبد الواد ، لا يجد فى المصادر العربية الا أخبارا مشتتة لا يثق بها كل الثقة •

وعلى ضوء هذه الموازنة بين فترتين يزيد شعور الدارس بفضل كتاب التنسي مصدره العربي الوحيد لأكثر من سبعين سنة من تاريخ الدولة الزيانية كما ذكرنا سابقا •

والميزة الثانية « لنظم الدر » هي ان الكتاب جاء على شكل تاريخ مختصر شمل أهم مرَاحل تاريخ الدولة الزيانية ما عدا ما يسيء بسمعتها من أخبار كما سنرى ، وذلك ابتداء من يوم أسس يغمراسن بن زيان الدولة بتلمسان سنة 633 هـ / 1236 م حتى سنة 868 هـ / فى عهد السلطان محمد المتوكل ، فذكر المؤلف فى هذه الخلاصة أهم الأحداث وأهم التواريخ وبعض الشخصيات التي لعبت دورا فى حياة الدولة • ومما يستوقف النظر ان القسم الخاص بأخبار الفترة التي عاصرها المؤلف هو فى الوقت نفسه أكثر أقسام الكتاب افادة ، وأحسنها اتقانا • وتعود قيمة ما سجل التنسي من احداث الى الظاهرة التالية وهي أن المؤرخ على وجه العموم يكون موثوقا به ، كما يكون أكثر تدقيقا وتحقيقا فى تدوين أخبار تتعلق بالأحداث التي عاصرها أو رواها له مباشرة شهود عاشوها • فالثقة تقل بالمؤرخ كلما بعد عهده عن تاريخ وقوع الحادث ، كما تتناقص الثقة به كلما كثر عدد الوسطاء من الرواة ، وذلك لأن الوسائل اللازمة للتحقق من سيرتهم وسلوكهم لا تتوفر لديه فى أغلب الأحيان ليجرحهم أو يعدلهم • (54)

---

54 – هذا بالنسبة لتاريخ العصور السالفة وبالنسبة للمفهوم التقليدي للتاريخ • اما فيما يتعلق بالتاريخ المعاصر فان بعض المؤرخين لا يعتبرون اليوم من التاريخ ما يكتبه المعاصرون من الصحافيين والكتاب ورجال السياسة عن الاحداث التي شاهدوها أو عاصروها • وهذا لان المؤرخ فى رأي أولئك المختصين يحتاج الى فترة زمنية تفصله عن الأحداث التي مرت به حتى يراها بعين الباحث المتأمل • وذلك لانهم يفرقون بين التاريخ المعاش والتاريخ المكتوب عن تأمل وتفكير ، الا أن عدد أنصار التأريخ الفوري والمقتنعين بصلاحيته ومزاياه يتزايد على مر السنين فى جميع أنحاء العالم •

وهكذا نرى أن هذا القسم الخاص بالفترة التي انفرد التنسي بتدوين تاريخها ، هو أجود قسم من هذا الباب الخاص بتاريخ بني زيان ، وذلك أنه جمع بين صحة الأخبار والدقة فى عرضها ، حسبما يبدو اذ لا تتوفر لدينا مصادر أخرى لنقابلها بما دون التنسي من أخبار ، لبيان ما هو صحيح منها وما هو ضعيف .

أما عن مجموع الباب فان ما كتب التنسي ـ رغم هذا الاختصار الذي أشرنا اليه ، ورغم تركيز مؤلفه على أهم الأخبار ، واعراضه عن كثير من التفاصيل ـ يفيد الدارس افادة كبرى حتى بالنسبة للفترات التي تتوفر لدينا المصادر عنها ، اذ أنه أورد عن بعض الأحداث تفاصيل لا نجدها فى غيره من المصادر . واذا قمنا بمقارنة بين « نظم الدر » ومصدر آخر من المصادر المعروفة لتاريخ بني زيان ، أدركنا بكل وضوح ميزة التنسي هذه .

وقد أخذنا على سبيل المثال أخبار السلطان أبي تاشفين الأول المشهور بما خلف من آثار معمارية فى مملكته ، وقمنا بمقابلة ما قال التنسي عن أبي تاشفين بما قاله يحيى وأخوه عبد الرحمن بن خلدون عن أخبار دولة هذا السلطان . فاذا رجعنا الى كتاب « العبر » لاحظنا أن ابن خلدون قد اقتصر على ذكر النشاط السياسي لأبي تاشفين وأهمل ذكر وجه آخر من نشاطه كثير الاهمال وذلك أنه لم يشر قط الى مختلف القصور وغيرها من الانجازات المعمارية التي امتاز بها هذا السلطان الفنان (55) . أما أخوه يحيى فقد ذكر بعض هذه الانجازات (56) غير أنه لم يشر الى المدرسة الأنيقة التي شيدها هذا السلطان وسط عاصمة مملكته كما أنه لم يشر الى « الصهريج الكبير » والى التحف الغريبة التي كان يملكها أبو تاشفين بينما نجد التنسي يذكر كل هذه الآثار ببعض التفاصيل ، فلولاه لبقيت بعض هذه المظاهر الحضارية الهامة فى الدولة الزيانية فى غياهب المجهول .

55 ـ نستثني من ذلك ذكره لبناء مدينة تاموزيز دكث قرب بجاية ، راجع على الخصوص : « العبر » ، ج 7 ، ص 223 .

56 ـ راجع « البغية » ، ج 1 ، ص 124 .

والميزة الأخرى للكتاب هي ذكره فى هذا الباب الخاص ببني عبد الواد لعدة قصائد قالها شعراء مغاربة كما ذكرنا سابقا فى الفصل الخاص بالمحتوى . ويشترك التنسي فى هذه الميزة مع صاحب « زهرة البستان » ومع يحيى بن خلدون وقد أكثراهما أيضا من رواية الشعر المحلي ، غير أن مؤلف « نظم الدر » قد انفرد بذكر بعض هذا الأدب المغربي المنظوم ، فان القصائد الأربع التي ذكرها لمحمد بن يوسف الثغري القيسي شاعر السلطان أبي حمو موسى الثاني وابنه أبي تاشفين بعده ، لم يذكرها صاحب « بغية الرواد » ، ومن بين القصائد التي انفرد بذكرها ، القصيدة التي قالها شاعر مجهول فى مدح يغمراسن بن زيان ، وذلك بعد انتصاره على الخليفة الموحدي السعيد ، ومطلعها :

بشرى بعاجل فتح أوجب العرسا
وأسفر الدهر عنه بعد ما عبسا

وهكذا نلاحظ أن التنسي أنقذ شطرا من أدب المغرب الأوسط ، فلولا ذكر هذه القصائد فى « نظم الدر » ، لضاعت مع ما ضاع وتلف من أدب البلاد المنظوم والمنثور . ولهذا جاز لنا أن نعتبر رواية مثل هذه القصائد التي هي من قرائح شعراء مغاربة ، من محاسن هذا الكتاب . وقلنا أن يحيى بن خلدون وصاحب « زهر البستان » يشاركون التنسي فى هذه الميزة وقد خالفوا كلهم بميزتهم هذه ، عبد الرحمن بن خلدون الذي لم يعن بالشعر الا فى « المقدمة » وفى ترجمته الذاتية ، فى آخر « العبر » .

وبالاضافة الى المحاسن السابقة نجد للكتاب ميزة أخرى خاصة بصياغته لا بمضمونه . وذلك أن « نظم الدر » على العموم والباب المتضمن لموضوع شرف بني زيان والذي يهمنا على الخصوص ، قد جاء فى مظهر شيق جذاب ، جعله متيسر القراءة والاستعمال ، خلافا لأكثر كتب العصر أيا كان موضوعها . وأول ما يسترعي انتباهنا في هذا المضمار ، هو أن هذا التاريخ المختصر لملوك بني زيان يمتاز بالوضوح وحسن العرض كما أن متنه جاء مقسما تقسيما منطقيا بينا زاد من جلائه . ومثل ذلك يقال عن أسلوب الكتابة ، فقد امتاز على العموم

برصانته وبجودة المعنى والسبك كما سنرى فى الفصل الخاص بأسلوب المؤلف ، وهذا فى عصر ساد فيه الأسلوب المنمق المسجوع مع أن التنسي قد استخدم أيضا بين الحين والآخر هذا الأسلوب السائد من جناس وسجع • والشيء الجدير بالذكر أيضا هو خلو هذا الباب من الكتاب من الاستطرادات والحشو ، وقد أشرنا الى ذلك سابقا فى الفصل الخاص بمحتوى الكتاب ، وهذا خلافا لطرق التأليف السائدة فى العصر• فخلا الباب هكذا من ذكر الأسماء الثانوية للأشخاص ، ومن أسماء القبائل والأماكن على أننا نستثني من كل ذلك ما تخلل النص من بعض القطع الشعرية التي أتى بها المؤلف كما ذكرنا آنفا ، زخرفة للمتن وعلى سبيل التمثيل على عادة القدامى من الأدباء والمؤرخين الذين أكثروا من استعمال الشواهد (57) • ويجب ألا ننسى أن التنسي أديب متضلع في الأدب ومطلع على آثار الأقدمين منظومها ومنثورها ، وهكذا فلا غرابة فى أن يحلى كتابه بهذه القطع الشعرية التي أوردها للتمثيل بها بمناسبة فاجعة أو مسرة أو لاستخراج مغزى حادثة من الحوادث • ومن البديهي أن ملاحظتنا على هذه الاستطرادات لا تنطبق على القصائد التي لها علاقة بسياق الحديث ، وقد اعتبرنا منذ قليل ان من فضائل كتاب التنسي ، ذكره لهذه القصائد التي قالها بعض الملوك الزيانيين أو بعض الشعراء المغاربة •

ومن خصائص الكتاب أيضا انه خلا من الخرافات ومن أخبار الأولياء وكراماتهم وذلك رغم استفحال ضرب من التصوف الشعبي امتاز بانحطاط مستواه الفكري فى عصر التنسي ، وقد آمن أتباعه بكرامات الأولياء وبتصرفهم فى الكائنات •

2 ـ عيوب هذا الباب :

والى جانب هذه الفضائل والميزات نجد لهذا الباب الخاص بتاريخ ملوك بني زيان عيوبا ونقائص ، وأكبر العيوب التي تستوقف نظرنا هي

57 ـ انظر الفصل الذي خصصناه سابقا لطريقة تصنيف الباب السابع .

افراط المؤلف فى التملق لبني زيان ، والمبالغة فى سرد خصال ملوكهم ومزاياهم ، وتعمد اغفال ذكر عيوبهم ، وكل ما يسيء بسمعة دولتهم •

وهكذا نراه يطنب فى ذكر أخبار انتصاراتهم وذكر مآثرهم وما خلفوه من آثار ، وحفاوتهم برجال العلم واكرامهم لهم ، والبحث عن كل ما من شأنه أن يعلي من سمعة الدولة ، بينما نراه يمر مر السحاب على الانهزامات العسكرية التي تكبدوها سواء من ناحية الشرق تجاه بني حفص أو من ناحية الغرب تجاه بني مرين ، أو لا يذكر شيئا عنها بتاتا •

ومن الأمور التي تجاهلها فسكت عنها ، بعض الجرائم التي ارتكبها الملوك أو أبناؤهم • ونذكر منها على سبيل المثال اغتيال يحيى بن خلدون الذي لم يحظ بأية اشارة • فرغم اختصار تاريخ الدولة نرى أنه كان من واجب المؤلف أن يذكر تلك المؤامرة الدنيئة التي دبرها أبو تاشفين بن السلطان أبي حمو الثاني ، وذهب ضحيتها كاتب انشاء أبيه • وقد كان القتيل يحظى بمكانة عالية لدى التنسي اذ أن كتابه « بغية الرواد » كان أهم مصدر للمؤلف فى كتابه « نظم الدر » كما بينا آنفا • وسنرى مدى هذا التملق عند حديثنا عن قضية شرف بني زيان •

وقد كانت هذه المغالاة فى المدح والاطراء نتيجة حتمية لوضعية المؤلف • لأنه كتب « نظم الدر » كما بينا سابقا عند حديثنا عن بواعث التأليف ، اعترافا بجميل معاصره السلطان محمد المتوكل وجزاء على ما أولاه من معروف حسبما ذكر فى مقدمة الكتاب • فنهض لخدمته وبذل فى ذلك جهد مستطاعه « عسى أن يقوم ببعض واجب حقه عليه » على حد تعبيره ، فكان لابد له من اطراء ولى نعمته فى التصنيف الملوكي الذي جمعه له ، واسناد كل الخصال والمحامد له ولاجداده من الملوك ، فرفع نسبه الى أعلى عليين ، الى فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص) ، وأطنب فى الحديث عما يعلي من مجد الدولة بينما بالغ فى السكوت عما يسيء بسمعتها ، فجعل من أكثر الملوك أسودا وبدورا وذلك فى السطور التي خصصها لكل سلطان عند ذكر مبايعته غير أنه احتفظ فى هذه الديباجات المختلفة أحيانا مثلما فعل بأبي حمو الثاني الذي لقى حتفه فى معركة نشبت بينه وبين ولده أبى

تاشفين الثاني فرثاه ثم وصف خلفه الذي كان السبب المباشر فى مصرعه ، بالجود والكمال والطهارة ، فاننا نراه يمسك عن اطراء أبي تاشفين الأول قاتل أبيه أبى حمو الأول . حيث يقول « ثم بويع ثاني يوم الوقيعة الملك الأرفع ، ذو الجناب الأمنع ، والحباء الأوسع . والحسام الأقطع .. » (58) الى غير ذلك من الأوصاف المبتذلة . فكان شعوره الانساني لم يطاوعه على غرار ما وصف به جل الملوك الآخرين .

ومن جملة المسائل التي سكت التنسي عنها رغم انتشارها وشهرتها عند غيره من المؤرخين ، هي تبعية ملوك تلمسان لملوك بني حفص بتونس فى بعض الفترات من تاريخ الدولة الزيانية ، ولملوك فاس من بني مرين فى فترات أخرى ، ولم ينفرد التنسي باخفاء هذه الحقيقة . فاننا نجد هذا الطمس فى « بغية الرواد » .

فاذا أخذنا على سبيل المثال أخبار هجوم السلطان أبي زكريا الحفصي على تلمسان سنة 645 هـ / 1247 — 1248 م ، نرى عبد الرحمن بن خلدون يقول ان يغمراسن قد خاطب « الأمير أبا زكريا رغبا فى القيام بدعوته بتلمسان ... » (59) ، وذلك عندما اقتربت جيوشه الزاحفة على عاصمة بني زيان ، بينما نرى التنسي لا يلمح الى طلب يغمراسن بل يقول : ان أبا زكرياء حينما لم يجد من يولي أمر تلمسان بعد انسحاب يغمراسن منها ، واستيلاء جيوش السلطان الحفصي عليها . « قال حينئذ ليس لها الا صاحبها فبعث اليه بالصلح والرجوع الى موضعه فأخلى له عنها ... » (60) . وهكذا نلاحظ ان ما ذكره صاحب « نظم الدر » هو عكس ما جاء فى كتاب « العبر » ، واننا نعتقد ان ما أورده التنسي ليس بالحقيقة ، ذلك انه ليس من المعقول أن يطلب الصلح سلطان منتصر من سلطان أخلى قاعدة ملكه ، وفر أمام جيوش أعدائه الغازية ، فان الفار هو المنهزم ولو لم يكن لقاء وحرب . ولهذا نفضل خبر صاحب

58 — انظر فى النص المحقق ورقة 145 و 146 .

59 — « العبر » ، ج 7 ، ص 166 .

60 — انظر ورقة 133 من النص المحقق .

كتاب « العبر » ، ونعتبر رواية التنسي اخفاء للحقيقة ، وتملقا صريحا للدولة الزيانية •

ومما يجدر ذكره فى هذا الصدد ، ان التنسي مع أنه كتب لسلطان من بني زيان ، ومع انه تملق لهذ االسلطان ، لم يشتم أحدا من الأعداء الكثيرين للاسرة المالكة ، ولم ينزل من قيمة أي منهم فكان الشعور الانساني أو الشعور الديني الذي منعه من اطراء السلطان أبى تاشفين قاتل أبيه ، جعله يمسك عن الطعن فى أعداء الدولة ومنافسيهم ولو بقصد التملق ، وهذا خلاف ما فعل ــ على سبيل المثال ــ اسماعيل بن الأحمر (61) الــذي خصص قسما من كتابه « روضة النسرين فى أخبار بني مرين » للقدح فى بني عبد الواد أعداء بني مرين الالداء • فبينما تحلى سادته من ملوك فاس بكل الخصال ، فان ملوك تلمسان قد جمعوا كل النقائص الخلقية وكل الرذائل حتى انه أفقد بتشنيعه هذا على الأعداء ، وأكثر من هذا ، بتلفيقه الأخبار وانتحالها ليثبت رأيه فيهم ، وتفوق سادته عليهم ، أفقد كل قيمة للقسم الخاص بهم من « روضة النسرين »

اننا لا نجد فى « نظم الدر » من مثل هذا القذف والاهانة شيئا قليلا كان أو كثيرا • فاذا قتل الأعداء بعض الملوك من بني زيان ، واذ اطوقوا تلمسان فلحق الناس من شدة الحصار شقاء عظيم ، فلا نرى هذا المؤرخ الذي كتب أيضا تقربا للدولة • يطعن فى هؤلاء المعتدين ويشارك التنسي فى هذه الميزة كل من يحي بن خلدون وصاحب « زهر البستان » مع انهما صنفاهما أيضا كتابيهما تقربا للدولة الزيانية ، وخدمة لمصالحها ، كما يشارك هؤلاء الثلاثة فى هذه الخاصية ، عبد الرحمن بن خلدون •

ومن الجائز أن نعتبر من العيوب عدم اهتمام المؤلف فى هذا الباب الخاص ببني زيان ، بنظم دولتهم وسير ادارتهم ، فخلافا ليحيى بن خلدون الذي أورد أسماء من تولى بعض المناصب السامية وذكر فى الوقت نفسه هذه المناصب فان التنسي لم يذكر الا عرضا أسماء بعض الموظفين •

61 ــ توفى المؤرخ ابن الاحمر سنة 810 هـ / 1407 •

قضية شرف بني زيـــان :

كان اثبات شرف بني زيان من جملة الأمور التي تملق بها المؤلف لملوك المغرب الأوسط . وقد أوليناها عناية خاصة لأهميتها فى نظر المؤلف ، وذلك انه جعل من بيان شرف بني زيان الهدف الأول للكتاب ، وان ذكر هذه القضية فى عنوان الكتاب ثم فى عنوان الباب السابع لأكبر دليل على الاهتمام الذي خص به الموضوع حينما أقدم على تصنيف الكتاب وفى أثناء تصنيفه . وقد رأينا سابقا فى الفصل الخاص بالمحتوى أن اثبات شرف بني زيان كان محور القسم الأول ، كما لاحظنا أن التنسي خصصـــه للتعريف بنسب السلطان محمد المتوكل . فركز أقسام هذا الجزء من الكتاب وأبوابه وفصوله كلها على هذه القضية ، ناظما عقدا من الدر يبدو واضحا فى عنوان كتابه « نظم الدر والعقيان فى بيان شرف بني زيان » متدرجا بنا من درة الى درة مبتدئا بالكلام عن العرب وتلاهم فى الحديث ، المضرية ، ثم قريش ، فبنو عبد مناف ، ثم بنو هاشم ، ومنهم أبو طالب وابنه علي ، والحسن والحسين ولدا علي ، ثم عبد الله الكامل الى أن يصل الى الأدارسة حسبما قدمنا فى الفصل الخـــاص بمحتوى الكتاب ، وقد جعـــل كما سنـــرى ملوك بني عبد الواد من الأدارسة ، ومن الحديث عن ادريس وبنيه انتقل الى أخبار بني زيان ، فكأن هذا التدرج فى نظر المؤلف تسلسل منطقي . واذا كان صاحب « نظم الدر » لم يلح على شرف الملوك فى هذا الباب السابع فى بيان شرف بني زيان كما أشرنا الى ذلك سابقا ، فاننا نجده فى الأبواب السابقة من هذا القسم ، يغتنم كل الفرص للتذكير بأن معاصره السلطان محمد المتوكل ينحدر من نسل علي بن أبي طالب وابنه الحسن .

واذا كان المؤلف فى أول القسم ، حينمـــا كان يتحدث عن الحسن أو الحسين أو عبد الله الكامل يجزم بأن صاحبه المتوكل شريف باتفاق النساب (62) ، نراه كغيره ممن ذهب مذهبه من المؤرخين ، متى اقترب

62 ـ قال على سبيل المثال « واليهما أعنى الحسن والحسين ينتهي نسب أمير المؤمنين مولانا المتوكل » (مخطوط «أ» ورقة (67 ظ) . وقال عندما تحدث عن عبد الله الكامل : « هو جد مولانا المتوكل نصره الله باتفاق النساب » « مخطوط «أ» ورقة (98 ظ) .

الى الأحداث التي تحتاج الى بعض الدقة ، وكذلك الى بعض البراهين ، يبدو ارتباكه فى الموضوع ، ويذكر خلاف النسابين فيا بينهم • فاذا كان أولئك النساب قد اتفقوا على أن شخصا اسمه القاسم قد دخل بني عبد الواد القاطنين بصحراء تلمسان ، فأصهر فيهم ، وعقب عقبا مباركا نشأ فيهم حتى زاد عليهم (63) ، فانهم اختلفوا فى شخصية القاسم هذا ، فذكر بعضهم أنه من بني سليمان بن عبد الله الكامل • أما الآخرون فقالوا ان القاسم هو ابن محمد بن عبد الله بن ادريس ، وهكذا لم يعرف هؤلاء النسابون الذين اتفقوا على شرف بني زيان ، ما اذا كان ملوك تلمسان ينتمون لعبد الله الكامل بادريس أو بأخيه سليمان (64) • ولم يمنع التنسي عدم التيقن من صحة اتصال نسب عبد الواد بالقاسم أو بادريس من اسناد النسب الشريف الى من غمره بنعمه ، الجالس على عـرش تلمسان • ولم يثن هذا الريب عزمه عن الاصرار عـلى موقفه والمغالاة فيه • ومن أمثلة هذه المغالاة قوله : « فقد ذكر جماعة من المؤرخين أنه لم يل الخلافة من أبواه هاشميان الا علي بن أبي طالب ، والأمين بن الرشيد ، فمولانـا المتوكل ثالثهمـا فى هذه الخاصيـة الشريفة » (65) •

ومن الغريب أن اسماعيل بن الأحمر الذي كتب أيضا كتابه « روضة النسرين » تقربا لملوك بني مرين كما رأينا سابقا ، وهم كما نعلم أبناء عمومة بني عبد الواد ، وقد بالغ كذلك فى التملق لهم ، لم يجزم بشرف ملوك فاس بل شك فى حقيقة الأمر فقال : « هم فخذ من زناتة ، من

---

63 ـ مخطوط «أ» ورقة (129 و) •

64 ـ أما يحيى بن خلدون (البغية ، ج1، ص 102 ـ 103) فانه جعل بني القاسم وهم بطن معروف من بطون قبيلة بني عبد الواد ، من ولد ادريس غير انه قدم ثلاثة احتمالات لالتحاق القاسم هذا بادريس ولم تمنعه كل الاختلافات من الجزم بشرف بني زيان • فبعد أن ذكر ان القاسم « انضاف الى قبيل بني عبد الواد ، فأكرموا منزله ، ومثواه ، وعظموا قدره ، وشرفوه ، وحكموه بينهم فى الشرائع وانقادوا عن آخرهم الى طاعته ، فتزوج فيهم ، ونسل بينهم ذرية صالحة كثيرة •• » قال : « فبنوا القاسم هم الذين حازوا الشرف ، وكرم الابوة ، وفخر الملك القديم والحادث ، قلت ولا يسمع للطعن فى هذا النسب الكريم لانه من الشهرة بالافاق والفشو فى القبائل والاباء ، بحيث لا يحجبه بعد دار ولا يجحده لسان عدو » •

65 ـ انظر ورقة 217 من النص المحقق •

أشرافهم ، وقد قيل انهم شرفاء » (66) ثم ذكر رواية أخرى عن نسبهم من دون أن يحاول اثبات نسبهم الشريف أو يطنب فى الحديث عن هذا الأمر الشائك فقال : « وجماعة من المؤرخين قالوا انهم من زناتة ، وزناتة كلها عرب الأصل من مضر ، يجتمع نسبهم بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مضر (67) وقد اتخذ ابن أبي زرع فى « روض القرطاس » موقفا مماثلا وكذلك صاحب « الذخيرة السنية » مع أنهما صنفا أيضا كتابهما تقربا لأحد ملوك بني مرين (68) ، فرفعا نسب بني مرين وزناتة الى العرب ولم يلمحا الى شرفهم •

ومن المعروف أن بني حفص لم يدعوا فيما يخصهم نسبا شريفا غير أن المؤرخين قد لفقوا لهم نسبا عربيا رفعوه الى عمر بن الخطاب (69) ، وسبب هذا التلفيق هو مطابقة كنية جدهم أبي حفص الذي كان من أقرب المقربين الى المهدي بن تومرت كنية أمير المؤمنين أبي حفص عمر ، هذا مع أن الشيخ أبا حفص كان من هنتاتة من قبائل المصامدة المازيغية الأصل (70) •

ومن العلماء المعاصرين لملوك تلمسان الزيانيين من أنكر حتى صحة النسب الشريف فى عهدهم ، أي بعد عدة قرون من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم • وقد أورد المقري فى « نفح الطيب » فى حديثه عن جده محمد المقري (71) قصة تبدي موقف هذا الجد العالم من القضية ، فذكر أن نقيب الأشراف بفاس كان ساخطا على المقري الذي كان السلطان

---

66 — « روضة النسرين » ، ص • 8 •

67 — « روضة النسرين » ، ص 9 •

68 — انظر عن « الذخيرة السنية » مقالنا : « من آثارنا المغمورة ، الذخيرة السنية فى الدولة المرينية » فى : « الاصالة » ، عدد 14 — 15 ، سنة 1973 ، ص 231 — 240 •

69 — راجع على الخصوص : ابن خلدون « العبر » ، ج 6 ص 578 •

70 — ومما تجدر الاشارة اليه ان ابن خلدون (المصدر نفسه) ذكر من دون تعليق نسبا قرشيا للمصامدة ولابي حفص عمر جد بني حفص مع انه ذكر فيما سبق (« العبر » ، ج 6 ، ص 717) • ان المصامدة من الامازيغ البرانس •

1 — المتوفى سنة 795 هـ / 1392 م • راجع ترجمته فى البستان ، ص 145 — 164 •

أبو عنان قد أخذه معه الى حاضرة مملكته وولاه قضاءها ، وذلك لعدم قيامه اجلالا له كلما حضر بمجلس السلطان مع أن أبا عنان نفسه وجميع من فى المجلس كانوا يقومون له ، فشكاه أولا للسلطان من دون جدوى، ثم لم يطق صبرا حينما أصر المقري على سلوكه ، فعاتبه يوما بمحضر السلطان فقال : « أيها الفقيه ، مالك لا تقوم كما يفعل السلطان نصره الله ، وأهل مجلسه ، اكراما لجدي وشرفي ؟ ومن أنت حتى لا تقوم لي ؟ فنظر اليه المقري وقال له : « أما شرفي فمحقق بالعلم الذي أنا أبثه ولا يرتاب أحد ، وأما شرفك فمظنون ، ومن لنا بصحته منذ أزيد من سبعمائة سنة ، ولو علمنا شرفك قطعا لأقمنا هذا من هنا : وأشار الى السلطان أبي عنان ، وأجلسناك مجلسه ، فسكت » (72) .

وأول ما يتبادر الى الذهن ونحن نقرأ هذه القصة ، أن بني مرين لم يدعوا النسب الشريف . فلو فعلوا لما قام أبو عنان اجلالا لنقيب الاشرف ، ولما قال المقري الجد « لأقمنا هذا من هنا » مشيرا بصراحة الى أن السلطان الجالس بجنبه ، لم يدع شرفا . وهكذا نلاحظ ان موقف بني مرين يخالف موقف أبناء عمومتهم من ملوك بني عبد الواد الذين أدعوا النسب الشريف ، وان قال قائل انهم لم يدعوه هم أنفسهم على ما يبدو من المصادر ، نقول انهم ان لم يفعلوا ، فقد تركوا المتملقين لهم من المؤرخين والشعراء ، يلحقونهم بادريس . هذا وان يغمراسن بن زيان ملكهم الأول لم يرض فعلا بهذا التلفيق لنسبه ، ورفض هذا الادعاء كما سنرى بعد قليل .

اننا لا نقبل ادعاء بني القاسم فى الانتساب الى سلالة النبي (ص) ، ولا نقتنع بتأييد التنسي الذي تبنى ادعاءهم هذا ، وصنف كتابا لاثباته ، وذلك أن صاحب « نظم الدر » لم يتوصل الى اقناعنا ، فلم يأت بحجة واحدة قاطعة ومفحمة فى كل ما كتب من بداية الكتاب ، وليس من السهل أن نقبل هذا الرأي القائل ان جميع بطون بني عبد الواد من زناتة الا بطن

---

72 _ « نفح الطيب » ، ج ، ص 281 .

واحد وهم بنو القاسم ، من الاشراف ، والى بني القاسم أوايت القاسم كما سماهم ابن خلدون (73) ، انتسب ملوك تلمسان .

وأبدى التنسي هذا الرأي ودافع عنه مع ان هذا البطن كان مندمجا تمام الاندماج فى باقي بطون القبيلة ، يتكلم باللهجة المازيغية الزناتية أو برطانتهم على حد تعبير صاحب كتاب (« العبر » (74). وبما أن هذا البطن كان يتمتع بنفوذ كبير وقد تمت له السيطرة على باقي بطون بني عبد الواد ، ظن من السهل أن يلحق نسبه بالنسب الشريف ، وذلك لتطابق اسمه مع اسم أحد أبناء عبد الله الكامل كما رأينا سابقا . ولم يدعم التنسي رأي بني القاسم ، ورأيه من بعدهم ، بالحجج والأدلة المقنعة ، بل اكتفى برواية هذه الخرافة التي لا يقبلها عقل ، خصوصا وان تاريخ الأمم الاسلامية مليء بمثل هذه الادعاءات والمزاعم . ولنا بالمغرب مثال مشهور فى المهدي بن تومرت الذي اختلق لنفسه نسبا شريفا .

أما عبد الرحمن بن خلدون ذو الفكر النقاد ، فانه رفض من زمن بعيد ادعاء بني القاسم ، وذلك قبل أن يصنف التنسي كتابه لبيان شرف بني زيان ، بأكثر من قرن فبعد أن استعرض صاحب كتاب « العبر » مختلف بطون قبيلة بني عبد الواد ، تحدث عن بني القاسم وقال : « ويزعم بنو القاسم هؤلاء انهم من أولاد القاسم بن ادريس ... مزعما لا مستند له ، الا اتفاق بني القاسم هؤلاء عليه » (75) أما عن مجموع زناتة فلم يتردد عبد الرحمن بن خلدون فى نسبتهم المازيغية ، وفى قدم وجودهم بأرض المغرب قبل أن يدخله عربي شريف النسب كان أو غير

73 ـ « العبر » ، ج 7 ، ص 149 .

74 ـ لدينا دلائل تثبت ان المازيغية كانت لغة الملوك الاولين من بني عبد الواد ، منها قول عبد الرحمن بن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 149) . عندما ذكر قول يغمراسن الآتي الذكر عندما رفع نسبه الى ادريس « فقال : برطانتهم ما معناه الخ ... » ومنها أيضا استعمال ابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 198) لكلمة « لغتهم » عندما نقل وصية يغمراسن لابنه عثمان . فقال « أوصى دادا يغمراسن لدادا عثمان ، ودادا حرف كناية عن غاية التعظيم بلغتهم ... »

75 ـ « العبر » ، ج 7 ، ص 149 .

شريف ، فقال : أما أولية هذا الجيل الزناتي بافريقية والمغرب ، فهي مساوقة لأولية البربر منذ أحقاب متطاولة لا يعلـم مبدأهـا الا الله تعالى » (76) •

ومما يزيد فى دهشتنا أمام تملق بعض المؤرخين ومبالغتهم ان الملوك الأولين لبني عبد الواد لم يعبأوا برفع نسبهم الى القاسم وادريس • فقد ذكر عبد الرحمن بن خلدون ـ وقد روى ذلك قبله أخوه يحيى ـ بأن سلطانهم الأول يغمراسن بن زيان ذلك الرجل الفذ ذو الشخصية القوية والهمة العالية ، رفض هذه الادعاءات الباطلة ، ونبذ أقوال من أراد الحاق الأسرة الجديدة الحاكمة بالمغرب الأوسط ، بالنسب الشريف تملقا لها • وقد ذكر يحيى بن خلدون ظروف هذا الرفض ، فقال : « ان يغمراسن سئل منه القول بالشرف واثبات نسبه اليه فقال : « ان كان المراد شرف الدنيا فهو ما نحن فيه ، وان كان القصد شرف الآخرة فهو عنـد الله سبحانـه » (77) •

وان هذا القول الصريح لم يمنع ناقله يحيى بن خلدون من الجزم بعد صفحات من كلامه هذا ، بأن بني عبد الواد من الشرفاء (78) ، كما أنه لم يمنع مؤلف « نظم الدر » من تصنيف كتاب لاثبات هذا النسب الشريف • ومن المعلوم أنه اعتمد فيما اعتمد عليه من مصادر ، على « بغية الرواد » وهذا يعني أنه اطلع على هذا التصريح ليغمراسن وان لم ينقله » •

وليس لنا أن نحكم على التنسي كما ليس لنا أن نحاول تبرير مـا فعله ، بل ما قد يجوز لنا أن نقوم به هو تفهم الظروف التي جعلت هذا العالم الديني يقع فى هذا الخطأ ، وعن عمد قلنا انه وقع فى الخطأ ولم

---

76 ـ المصدر السابق ، ج 7 ، ص 14 •

77 ـ « البغية » ، ج 1 ، ص 11 • وجاءت رواية هذا الخبر عند ابن خلدون (« العبر » ، ج7، ص 149) كما يلي : « وقد قال يغمراسن بن زيان أبو ملوكهم لهذا العهد لما رفع نسبهم الى ادريس كما يذكرونه ، فقال برطانتهم ما معناه « ان كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله ، واما الدنيا فانما نلناها بسيوفنا » •

78 ـ انظر تعليقنا السابق رقم 166 • •

نقل أجرم ، لأن الظروف التي كتب فيها وقد استعرضناها فى الفصل الخاص ببواعث التأليف ، ما كانت لتسمح له أن يقول كلاما مخالفا لهذا . فاذا كانت الدولة قد أرادت لأسباب سياسية واضحة أن تدعم مركزها فى البلد باسناد نسبها الى نسب ادريس وجده علي بن أبي طالب ، فما كان فى امكان التنسي أن يتجاهل هذا الاتجاه الرسمي . وبالأحرى أن يخالفه فى كتاب تاريخي صنفه تقربا للدولة وجزاء للسلطان الزياني على ما أولاه من معروف .

وان عدد المؤرخين الذين قاموا بتملق مماثل لكثير فى كل الحضارات وفى كل اللغات . وذلك لأنهم كانوا يكتبون فى الغالب فى ظروف مماثلة للظروف التي كتب فيها التنسي ، ولهذا جاز لنا أن نقول ان هذه الطريقة لكتابة التاريخ هي التي كانت سائدة فى تلك العهود الغابرة ، وقد كانت وحدها المقبولة من طرف الدول القائمة يومذاك . ولم تكن مخالفة الآراء السائدة فى دولة من الدول ممكنة الا لمن عاش خارج أرضها أو عهدها أو لمن أخفى ما صنف عن أعوانها وعيونها .

ومن المؤرخين الذين ساروا على هذا المنوال ــ ونكتفي بضرب أمثلة من المغرب وفى عهد الدولة الزيانية ــ نذكر ابن أبي زرع مؤلف « روض القرطاس » وكذلك صاحب « روضة النسرين » وابن الاحمر وقد عاشوا كلهم فى العهد المريني ، كما نذكر منهم مؤلف « زهر البستان » ويحيى بن خلدون بالنسبة لبني عبد الواد ، والزركشي مؤرخ الدولة الحفصية . فقد كتب هؤلاء المؤرخين الذين ذكرناهم على سبيل المثال لا الحصر ، تقربا للدول التي كانوا متصلين بها ، فأبدوا كلهم مزايا سادتهم وفضائلهم وسكتوا عن عيوبهم ونقائصهم .

ومما يسترعي الانتباه أن يحيى بن خلدون وبعده محمد التنسي ، لم ينفردا باثبات شرف بني زيان ، فان مؤرخا وأديبا آخر ، أشهر منهما فى المغرب والمشرق سلم هو أيضا بصحة ادعاء بني عبد الواد فى انتسابهم الى النبي (ص) وأقره فى كتاباته . وهذا المؤرخ هو لسان الدين بن الخطيب .

فانه أورد اثباته لهذا الادعاء الباطل فى سينيته المشهورة فى مدح السلطان أبى حمو الثاني (79) ومطلعها :

أطلعن فى سدف الفروع شموسـا ضحك الظلام لها وكـان عبوسـا

وقد أشار الى شرف ملوك بني زيان فى الأبيات التالية ، قال مخاطبا أبا حمو :

من أنكر الفضل الذي أوتيته جحد العيان وأنكر المحسوسا
من دان بالاخلاص فيك فعقده لا يقبل التمويه والتلبيسا
والمنتمي العلوى عيصك لم تكن لترى دخيلا فى بنيه دسيسا
بيت البتول ومنبت الشرف الذي تحمى الملائك دوحه المغروسا (80) ،

79 ـ قال المقري (« نفح الطيب » ، ج 6 ، ص 195) فى تقديم هذه القصيدة : « ومن بديع نشرلسان‌الدين رحمه الله تعالى ، ما كتبه لسلطان تلمسان اثر قصيدة سينية حازت قصب السبق ، ولنثبت الكل هنا فنقول : قال الامام الحافظ عبد الله التنسي نزيل تلمسان رحمه الله تعالى ، عندما جرى ذكر أمير المسلمين السلطان أبى حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يغمراسن بن زيان رحمه الله تعالى ، ما صورته : وكان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب كثيرا ما يوجه اليه بالامداح ، ومن أحسن ما وجه له قصيدة سينية قائمة ، وذلك عندما أحس بتغير سلطانه عليه ، فجعلها مقدمة بين يدي نجواه ، لتمهد له مثواه ، وتحصل له المستقر ، اذا الجأه الامر الى المفر ، فلم تساعده الايام ، كما شأنها فى أكثر الاعلام » . وقد أوردنا هذه الفقرة لان كاتبها هو التنسي ، ومن الراجح انها من كتابه « راح الأرواح » المتقدم الذكر .

80 ـ المقري ، « نفح الطيب » ، ج 6 ، ص 198 ، و « أزهار الرياض » ، ج 1 ، ص 253 ـ 254 ، ويحيى بن خلدون ، « بغية الرواد » ، ج 2 ، ص 290 .

البـاب الرابـع

أسلـوب التنسـي

لقد بينا سابقا فى خلال حديثنا عن حياة المؤلف ، ـ وذلك فى الفصل الخاص بشيوخه وتكوينه وتلاميذته ـ سعة ثقافته الأدبية ، وقد لاحظنا أن معاصري التنسي والمترجمين له بعدهم ، قد استرعى انتباههم هـذا الجانب من معارفه ، وقد بينا ان هذا الجانب كاد يتغلب على معارفه الدينية رغم اتقانه للحديث الشريف وعلومه ، وتسميته من أجل هذا بالحافظ ، وكذلك رغم التفوق الذي ناله بجوابه الفقهي فى قضية توات ويتضح لنا ميله الأدبي هذا كل الوضوح من أهمية تآليفه الأدبية والتاريخية بالنسبة لآثاره الدينية وان المطالع لكل ما يضم « نظم الدر » من أخبار المحبين والطفيليين والمغنين ومن نوادر وملح ، لينسى أحيانا ان الكتاب الذي بين يديه ، من تأليف عالم ديني عاش فى مجتمع أثر فيه الدين تأثيرا بعيد المدى، وكادت العلوم الدينية تغلب فيه على كل الجوانب الثقافية الأخرى •

وقد كان من المحتم أن تؤثر هذه الثقافة الأدبية الواسعة فى أسلوب المؤلف ، فخلافا للأسلوب السائد فى عصره الذي كان العلماء يعيشون فيه على التقليد واجترار أعمال السابقين ، فان التنسي قد دون الآثار التي بلغتنا بحذافيرها والتي بلغنا بعضها ما عدا طبعا جوابه الفقهي فى قضيـة يهود توات ، بأسلوب رصين بعيد كل البعد عن أسلـوب كتب الفقـه والحديث والتفسير •

وهكذا جاز لنا على ضوء ما تقدم ، أن نقول ان التنسي قد بلغ فى نثره ـ ونظمه أيضا رغم قلته ـ مرتبة التفوق بالمغرب فى القرن التاسع • وان

أسلوبه بالرغم من لجوئه فى بعض الأحيان الى السجع قد امتاز باختيار الألفاظ المناسبة ، وصقل العبارات وتهذيبها • وقد بلغت البراعة بالكاتب أن جعل سجعه خاليا من التصنع والتكلف كما سنرى فيما يلي :

1 ـ نثـــره :

قلنا ان التنسي قد استخدم فى كتابته تارة الأسلوب المنمق المسجوع وتارة الأسلوب المرسل • أما السجع الذي لم يكثر منه ، فقد استعمله فى ديباجة كتاب « الطراز » ، وكذلك فى ديباجة « نظم الدر » ، كما استعمله فى الباب الخاص ببيان شرف بني زيان من هذا الكتاب الأخير ، وكذلك لتقديم كل ملك من ملوك بني عبد الواد اثر بيعته ، لابـراز خصالـه وفضائله ، كما استعمله بين الحين والآخر فى باقي المتن ، وعلى الخصوص عندما قام بوصف من الأوصاف • أما اللجوء الى السجع فى الديباجة فهو أمر شائع عند كتاب العصر ، وكذلك عند أكثر كتاب العصور السابقة الذين كانوا يعتبرون الديباجة وسيلة لاظهار براعتهم فى التلاعب بالمفردات وبالمعاني ، ومهارتهم فى الصياغة اللفظية • ومما لا شك فيه ان فاتحة الحديث عن كل ملك جديد ، كانت فرصة للتنسي لسبك ديباجة جديدة ، حسب المنهج الذي سار عليه فى تصنيف الكتاب ، خصوصا وانه قد شرع فى أخبار كل سلطان جديد ، بذكر مواهبه وأخلاقه الشخصية • ومـن المعلوم ان وصف الأشخاص وخاصة اذا كانت غايته مدح الموصوف واطراءه ، يقبل هذا النوع من الكتابة المنمقة ويستسيغها • وتذكرنا البراعة التي أظهرها التنسي كلما تناول سلطانا فوصف شخصيته وحللها ، ببراعة لسان الدين بن الخطيب الذي أظهر قبله مقدرة نادرة المثال فى وصف من ترجم لهم •

ومما يسترعي الملاحظة ان المؤلف عندما تناول وصف السلاطين فى هذه الفقرات المسجوعة ، لم يظهر براعته فى اختيار الالفاظ وسبك المعاني فحسب ، بل لقد مكنته قدرته الفنية من تحليل نفسيات الموصوفين ، وذكر ما تمتاز به كل شخصية من خصال وفضائل ، غير أن هذه الظاهرة لم تمنع وجود الزخرفة اللفظية وبالتالي بعض الحشو ، فاذا أخذنا على سبيل المثال

تقديمه للسلطان أبي تاشفين الأول ، ظهرت لنا بكـل وضـوح هـذه المميزات ، قال التنسي :

« ثم بويع يوم الوقيعة (1) الملك الأرفع ، ذو الجناب الأمنع ، والحباء الأوسع ، والحسام الأقطع ، قامع المبغضين ، ومدوخ المارقين ، وممهد الأرضين ، ولده أمير المسلمين أبو تاشفين فاستولى على البدو والحضر ، واستخدم ربيعة ومضر ، وثاقب عداه شرقا وغربا ، وناجزهم في مجالهم طعنا وضربا ، وزخرف القصور والصروح ، وأطاب الغبوق والصبوح ، الى أن بلغت أيامه أقصى مداها ، فعاجلته بمحتوم رداها ، وأمكنت معاقله عداها ، فكان ممن عاش سعيدا ، ومات شهيدا » (2) .

واذا رجعنا الى تاريخ هذا السلطان لاحظنا انه كان بالفعل شجاعـا مغوارا ، وقد أكثر من التحركات نحو الشرق والغارات على مملكة بني حفص حتى ان جيوشه قد بلغت تونس عاصمتهم ، وقد رأينا أيضا في الفصل الخاص بقيمة « نظم الدر » ان هذا الملك اشتهر بما شيد من دور وقصور . فأبرز المؤلف كل ذلك رغم قيود الأسلوب المسجوع وتكلفه ، كما أشار في نهاية هذه الفقرة المسجوعة الى استشهـاد السلطـان في « معاقله » أي داخل عاصمة ملكه .

وهكذا نرى ان هذا الكلام الذي عبر عنه بأسلوب مقيد ليس كلاما باردا عقيما بل انه كلام ينطوي على معان ، ويشير الى أخبار يفصلهـا المؤلف فيما بعد في المتن بعبارات مغايرة ، خالية من التصنع والتكلف ، بل انه كلام تدب فيه الحياة ونلاحظ هذه الميزة في أغلب الفقرات الأخرى التي قدم بها السلاطين مبرزا فيها ما اشتهر به كل واحد منهم من مواهب وخصـال .

ومع ان المؤلف استعمل الكلام المسجوع بين الحين والآخر ، فان أسلوبه في باقي المتن ، أسلوب مرسل أي أنه تجنب فيه الزخرفة اللفظية ، وهو أسلوب مؤرخ لا يستقيم كلامه اذا أكثر فيه من العبارات المسجعة ،

1 – يعني قتل السلطان أبي حمو الاول .

2 – انظر ورقة 146 من النص المحقق .

والاستعارات والمقارنات غير ان هذه البساطة لم تتناف مع حسن اختيار الألفاظ ، وجودة تركيبها وصياغتها ، ولتوافر هذا النمط من الكلام المرسل فى القسم الذي قمنا بتحقيقه من كتاب « نظم الدر » اثر هذه الدراسة رأينا أن نأتي بنموذج من الباب السادس من القسم الأول من الكتاب وهو فى ذكر الأدارسة قال المؤلف على سبيل المثال :

« ولم يترك ادريس عقبا غير حمل من جارية له ، فجمع مولاه راشد البربر ، وكان من الدهاة ، وقال ما رأيكم ، فأصفقوا على توقيف الأمر الى وضع الحمل ، فان كان ذكرا بايعوه ، وان كان أنثى نظروا حينئذ لأنفسهم ، فوضعت ذكرا بعد أيام يسيرة من موت ادريس ، فلما وضعته جاء به راشد فى قمطه الى البربر ، فرأوه شديد الشبه بأبيه ، فسموه ادريس ، وكفله راشد ... » (3) .

فعلى هذا النمط من الكتابة المرسلة السلسة ، قد روى المؤلف جل أخباره ، ومما يسترعي الانتباه ان هذا الأسلوب مع بساطته كما قلنا آنفا ، لا يعتوره ضعف فى العبارة أو نوع من الركاكة (4) .

2 ـ شعـره :

رأينا فيما تقدم أن الونشريسي قد وصف التنسي بالشاعر ، وذلك من جملة الصفات التي وصفه بها ، ومما قال عنه : « الفقيه الحافظ ، التاريخي

3 ـ مخطوط « ا » ، ورقة (117ظ) ـ (118و) .

4 ـ لم ينفرد التنسي من بين المؤرخين بهذه الازدواجية فى أسلوب الكتاب الواحد ، فان غيره من المؤرخين قد تراوحت مؤلفاتهم بين الأسلوب المرسل والأسلوب المسجوع نذكر منها على سبيل المثال الكتب التي تناولت تاريخ بني زيان ، مثل « زهر البستان في دولة بني زيان » الذي مر ذكره ، ومن هذه الكتب أيضا « بغية الرواد فى ذكر الملوك من بني عبد الواد » ، فان يحيى بن خلدون قد استخدم أيضا السجع فى ديباجة الكتاب وفى بعض المقامات التي كثر فيها عند كتاب العهود السالفة ، استعمـــال العبارات المسجعة والمنقحة كالوصف والمديح مثلا وغيرهما من المقامات التي تناسبها المبالغة والتخلي عن الاتزان والحياد .

أما أخوه عبد الرحمن فقد اشتهر بأسلوبه المرسل ، وقد كان فخورا بهذا الأسلوب العلمي ، حتى أنه قال عنه (التعريف بابن خلدون ، ص 70) « انفردت به يومئذ ، وكان مستغربا عندهم بين اهل الصناعة » ، غير أن السجع قد استهواه أيضا ، فاستخدمه فى ديباجة المقدمة ولم يوفق فيه ، فلم يبلغ فيه رونق سجع صديقه ابن الخطيب ولابهاء كتابة التنسي حينما سجع .

الأديب الشاعر » (5). ولم يبلغنا من شعر محمد التنسي الا قصيدته الطويلة فى مدح السلطان محمد المتوكل ، ومدح أولاده التي أدرجها فى آخر الباب السابع فى بيان شرف بني زيان من كتاب « نظم الدر » . وقد ذكر التنسي فى أثناء الكلام عن قصيدته هذه ان له فى هذا السلطان امداحا أخرى ، غير أنه لم يبلغنا منها كثير ولا قليل ، وقد كان المؤلف يريد ادراجها فى الكتاب الذي ينوي تصنيفه « لذكر » مناقب المتوكل « وبيان ما خصه الله به من صفات الحمد ، وخصال المجد » (6) ، حسبما وعد به فى آخر الكتاب اثر انتهائه من سرد القصيدة . وهذا وان هذه الاشارة الى وجود أمداح غير هذه القصيدة لا تكفي لمعرفة مقدار ما خلف التنسي من شعر غير أننا نلاحظ أن شعر صاحبنا لم يذكره أحد من المتأخرين . فحتى أحمد المقري الذي ذكر فى عدة مناسبات اسم التنسي وأشار الى بعض آثاره سواء فى « نفح الطيب » أو فى « أزهار الرياض » ، لم يرو شيئا من شعره . فلو كان نظمه كثيرا لما خلت منه كتب المؤلفين الذين جاءوا بعده خلوا تاما ولهذا جاز لنا أن نقول ان مؤلف « نظم الدر » لم يخلف حسبما يبدو شعرا كثيرا ، فهو لهذا مؤرخ وناثر قبل أن يكون شاعرا .

وبما أن قصيدة واحدة فقط قد انتهت الينا ، فنحن لا نعرف اذا كان التنسي قد طرق أغراضا شعرية أخرى من غير المديح ، ونلاحظ بهذا الصدد ان صاحبنا قد تكسب بهذه القصيدة التي قالها فى مدح ولى نعمته على غرار الشعراء الذين كانوا يحومون حول القصور فى انتظار فرصة لالقاء قصيدة فى مدح الأمير علهم ينالون جائزة على زخارفهم اللفظية .

ولمعرفة قيمة نظم التنسي لم يبق سوى هذه القصيدة التي انتهت الينا ندرسها وننقد معناها ومبناها .

---

5 - أحمد بابا ، « النيل » ، ص 354 .

6 - انظر فى النص المحقق ، ورقة 226 .

ا) ـ دواعي نظم القصيدة :

ان السلطان أحمد (7) الذي كان قد خلعه ابن أخيه محمد المتوكل معاصر التنسي ، قد حاول أن يسترجع ملكه على رأس جيش من الثوار ، فأخفق فى مسعاه ولقى حتفه فى أثناء هذه المحاولة ، وكان ذلك سنة 867 هـ / 1462 م ، وممن كان بجانبه وأيده فسار معه ، شخص يدعى محمد بن غالية لا نعرف عنه قليلا ولا كثيرا ومع ذلك يبدو أنه كان من الأشخاص البارزين يومذاك ، وذلك اعتمادا على الأهمية التي خص بها التنسي الحادث من ناحية ولأن السلطان المتوكل قد أمر من ناحية أخرى بدفنه بعد مصرعه بجانب صاحبه السلطان أحمد بالعباد بجوار ضريح أبى مدين شعيب ، وهذا مما يدل على انه كان يتمتع بمنزلة عالية ، وكان ابن غالية هذا قد تمادى فى قتال المتوكل الى أن قتل بعد صاحبه بسنة •

وقد قال التنسي بعد أن روى هذا الحادث بالتفصيل ، وذكر موت ابن غالية « وقد نظمت فى قضيته قصيدة فى مدح مولانا المتوكل ، ومدح أولاده ••• » (8) ، فهذه هي الظروف التي نظمت فيها القصيدة •

ب) ـ محتوى القصيدة :

تحتوي القصيدة على أربعة ومائة بيت من البحر الطويل وهي على نمط القصيدة العربية التقليدية ، استهلها الشاعر بالنحيب والبكاء على نأي الحبيب ، فيهيجه ذكر المعاهد باللوى » ، ثم ينتقل الى وصف ذلك الحبيب الذي « بان به أهلوه » ، ويتخلص بعد ذلك الى مدح « أمير المسلمين محمد » فى البيت السابع والعشرين فينعت صاحبه بالبذل ، والمهابة ، والمجد ، والجمال وغيرها من الخصال التي تفرقت فى الملوك واجتمعت فيه ، ولا عجب فى ذلك « فأصله من جانبيه كليهما اثيل » مؤكدا أن شرفه قد قد أتاه من الأب والأم • أما قضية ابن غالية واخماد

---

7 ـ دامت دولة أبي العباس أحمد العاقل من سنة 834 هـ / 1430 م الى سنة 866 هـ / 1462 م •

8 ـ انظر فى النص المحقق ، ورقة 219 •

ثورته فانه يشرع فى الحديث عنها فى البيت السادس والأربعين • فيهنيء « السلطان بالنصر ثم يشنع على المتمردين ويصفهم بالالحاد والشقاء ، ويذكر بعد ذلك مآلهم ، فيحدثنا عن اخفاق مسعاهم ، ويخبرنا ان رأس ابن غالية القتيل قد وضع فى طست أصفر • ثم يعود فى البيت الرابع والخمسين الى مدح المتوكل • ويشرع فى مدح أبنائه فى البيت التاسع والستين ، ويخصص عددا من الأبيات لكل واحد من أبنائه الستة الذين ورد ذكرهم فى القصيدة ، فيذكر على التوالي أبا تاشفين وأبا حمو ، ويغمور ، وأبا عبد الله ، وقد خصه بأكبر عدد من الأبيات ، وأبا سالم وأخيرا عبد الله ، ولما أتم مدحهم انتقل ابتداء من البيت الواحد والتسعين الى الافتخار بشعره والزهو بما قاله من مديح « يحاكى لما قد جاء فى الكتب منزلا » ويزري بقريض أمثال زهير والنابغة ويترجى فى الأبيات الأخيرة رضا السلطان عن هذه القصيدة بعد ما أظهر من شموخ ، واعتداد بالنفس •

ج) ـ قيمة شعره :

قلنا سابقا ان هذه القصيدة تقليدية ، فهي على نمط قصائد العصور الذهبية فى مطلعها وفى تقسيمها و فىتسلسل أجزائها ، كما شابهت الشعر القديم فى معانيها وفى صياغتها اللفظية • فلم يأت الشاعر بجديد سواء فى الصور الفنية التي أوردها أو فى طريقة التعبير عنها ، وذلك رغم تشبعه الواضح بشعر القدامى ، ورغم اتساع ثقافته الأدبية التي بيناها سابقا فى الفصل الخاص بتكوينه ، فان الخصال التي أسندها لمدوحيه من السلطان وأبنائه ، قد عزا العشرات من الشعراء قبله ، أكثرها الى ممدوحيهم ، وان المعاني التي أوردها ، أغلبها مطروق ندر الجديد فيها ، فممدوحه « شأنه البذل والبسط » وقد « أشرقت من نوره الأرض كلها » والملـوك ترهب صولته « وهو « أكرم من يعطي » أو « هو البحر جودا » فاننا لا نرى روعة فى مثل هذا البيت :

« فبالتاشفيني الرضي اعتلاؤنا اذا بالحسام العضب يوم الوغى يسطو

أما فى هذا البيت التالي فليس لأحد أن يقول ان الشاعر قد ابتكر هذا المعنى ، قال عن مدوحه :

« نعم عنده محبوبة حين يجتدى   فما سمعت لا منه للمجتدي قط » (9)

غير أن هذه المعاني سواء منها ما جد أو ما ابتذل قد عبر الشاعر عن أكثرها بصورة فنية ان لم تكن جديدة فهي فى عصره نادرة المثال حيث انه لم يكتف بحسن انتقاء ألفاظه ، وسلامتها ، وبهائها وتجنب الغريب منها وانما زاد عليها رونق التركيب والسبك ، فجاءت قصيدته عذبة الألفاظ ، موسيقية النغم رغم ابتذال أكثر معانيها ، وذلك فى عصر قل فيه من أجاد الشعر .

9 ـ مما يذكرنا به هذا البيت قول الفرزدق فى زين العابدين :

حمال أثقال أقوام اذا افتدحوا   حلو الشمائل تحلو عنده نعم
ما قال لا قط الا فى تشهده   لولا التشهد كانت لاؤه نعم

القسم الثاني

الباب السابع في بيان شرف بني زيان وتتبع دولهم إلى دولة مولانا المتوكل فخر الزمان

الباب الأول

منهـج التحقيـق

1 ـ النسخ التي اعتمدناها :

قسمنا النسخ الموجودة « لنظم الدر » الى ثلاثة أنـواع : نسخ رئيسية اعتمدناها ، ونسخ ثانوية لم نستفد منها الا نادرا ، ونسخ أخرى لم نستطع الحصول عليها •

ا ـ النسخ الرئيسية :

وهي النسخ التي تبين لنا بعد فحصها والتنقيب فيها ، انها ستفيدنا فى تحقيق النص ، فاحتفظنا بها واعتمدناها فى هذا العمل • وهي ثلاثة :

النسخة الاصليـة :

هي محفوظة بمكتبة خاصة لأسرة من تلمسان • وهذه النسخة قيمـة متقنة ، اتضحت لنا جودتها اثر حصولنا عليها يوم قابلناها بالنص الذي كنا قد توصلنا من قبل الى اثباته اعتمادا على النسختين الرباطيتين اللتين سنتعرض لهما فيما يلي ، فتبين لنا أن أكثر الكلمات التي بذلنا جهدا طويلا من أجل تصحيحها ، مكتوبة بكل اتقان فى هذه النسخة الخاصة ، وان أكثر الكلمات التي لم نتوصل الى كشف فحواها مسطورة فى ثنايا هذا المخطوط بكل جلاء ووضوح • فلم يبق مجال لأية نسـخة من النسخ التي بين أيدينا ، لأن تصبح أصلا للتحقيق ، فاعتمدنا على هذه النسخة قبل غيرها فكانت النسخة الأصلية •

وترجع قيمة هذه النسخة الى الأسباب التالية :

ـ معاصرتها للمؤلف نفسه • وقد اثبتنا أنها معاصرة لمحمد التنسي مع أنها خالية من ذكر اسم الناسخ ومن تاريخ الفراغ من النسخ ، وذلك بالرجوع الى النص • فان الناسخ لما تكلم عن الكتاب فى الوجه من الورقة الأولى من السفر الأول الذي بلغنا من هذه النسـخة قال : « تأليف الشيخ الامام العالم ، العلامة ، الحافظ ، الحجة ، الراوية ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ، وصل الله حفظه ، ووالى لحظه » • هذا دليلنا الأول • أما الثاني فهو مدرج فى هذه الورقة نفسها ولكن فى ظهرها • قال الناسخ فى مستهل الكتاب بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : « قال الشيخ الفقيه ، العالم ، الحافظ المتفنن ، الحبر ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ، أبقى الله تعالى وجوده بمنه » • ونرى أن الدعاء للمؤلف بطول البقاء يكفي دليلا قاطعا على أن الناسخ قد كتب هذه النسخة ، والتنسي مازال على قيد الحياة •

ـ قد كتبت النسخة بخط جميل وكثر فيها التذهيب والزخرفة كما سنرى بعد قليل عند وصفنا لها • ومما ذهب منها : أسماء أمراء بني عبد الواد كلهم • وهذا يحملنا على الاعتقاد بأن هذه النسخة الفاخرة من كتاب « نظم الدر » قد كتبت لشخصية مرموقة فى عهد المؤلف •

ـ وترجع جودة النسخة أيضا لندرة التحريف والتصحيف بهـا ، وكلماتها كلها مشكولة بالشكل التام وقد ندرت الأخطاء فى الألفـاظ سواء منها الأخطاء النحوية أو الأخطاء الاملائية • ويتضح من بعض التصحيحات المكتوبة بخط النسخة نفسه ، أن الناسخ قد راجع مـا كتب بامعان ودقة ، فأضاف ما سها عنه من قبل من كلمات وعبارات وأبيات شعرية ، وشطب ما زاد من ألفاظ مما لم يكن من كلام المؤلف • وقد لاحظنا أنه زاد على عادة النساخ المتقنين علامة « صح » كلما صحح كلمة أو شطب أخرى أو أضاف ما نسي كتابته • وهذا أمر يزيدنا تأكيدا من كون الناسخ قد اتقن ما كتب •

وهكذا جاءت هذه النسخة جيدة ، ضمت بين دفتيها كلاما صحيحا مصححا ، وقد بدت فى مظهر خارجي فاخر ، لدرجة أن الرجوع الى نسخ أخرى لتحقيق النص بعد الاطلاع عليها ، لم يعد أمرا جوهريا ، غير أن النسختين الآتي ذكرهما قد أفادتا افادة كبيرة لنقل وتحقيق مقدمة الكتاب وخاتمته ، وكذلك لكتابة ورقة كاملة ضاعت من هذه النسخة الأصلية بعد فراغ الكاتب من نسخ الكتاب . وانا واثقون من أن هذه الورقة ضاعت بعد الفراغ من النسخ ، لأن تتبع التعقيبات (1) يثبت لنا ذلك ، فلو كان النقص قد ارتكبه الناسخ لما وجدنا فى أسفل ظهر الورقة 155 الكلمة الأولى من الورقة الساقطة .

ويقع هذا المجلد فى 227 ورقة ويضم القسم الأول من الكتاب وهو « فى التعريف بنسبه (أي المتوكل) وذكر سلفه ، وبيان شرفه فى الحديث والقديم » ، وجاء فيه الباب السابع فى بيان شرف بني زيان من الورقة (133و) الى الورقة (227ظ) . ولم يبلغنا من هذه النسخة الأقسام لأربعة الأخرى المحتوية على باقي الموضوعات (2) .

وبالاضافة الى الورقة الساقطة وسط الكتاب والمذكورة آنفا قد سقطت أوراق أخرى بعد الورقة الأولى الحاملة للعنوان . وقد رقمت النسخة فى العصر الحاضر ولم ينتبه من قام بهذا الترقيم الى الأوراق الساقطة ، فجاءت الأرقام متسلسلة من دون اعتبار لهذا النقص . وقد لحق النسخة بعض الخرم والبلل ، ولكن الخرم قد أصاب الورقات الأولى من السفر فقط ، أما البلل فقد ظهر أثره فى عدد كبير من الورقات غير أن الضرر الذي لحق بعض الأوراق الأولى ، فجعل بعض السطور وأحيانا بعض الكلمات صعبة القراءة ، لم يؤثر فى الباب السابع موضع اهتمامنا . ورغم أن المخطوط مسفر على الطريقة القديمة ، فانه يتضح من المواد المستعملة أن تجليده الحالي قد صنع فى العصر الحاضر .

---

1 ـ التعقيبة : هي الكلمة الأولى من الورقة التابعة يكتبها الناسخ فى أسفل الورقة ، ليثبت للقارىء تسلسل الكتاب ، وقد استبدلت هذه الطريقة فى العصر الحاضر بترقيم الصفحات .

2 ـ انظر فيما سبق من هذا الكتاب الفصل الخاص بمحتوى « نظم الدر » .

أما خط النسخة فهو من حيث النوع خط مغربي وهو أقرب حسب ما يذكر الاختصاصيون (3) الى الخط الأندلسي منه الى الخط السائد فى مختلف أرجاء المغرب الأخرى • وخط هذه النسخة فى منتهى الجودة والأناقة ، لم تقم به الا يد فنان • وهو لم يتغير من بداية النسخة الى نهايتها ، ولم تخالف هذا الخط الا خطوط العناوين والأسماء المذهبة وهي كثيرة ، واعتمادا على ما لا حظنا فى هذه النسخة المخطوطة وفي مخطوطات أخرى أيضا ، نرجح أن التذهيب لم يكن من اختصاص الناسخ والخطاطين كلهم فمن الواضح أن فنانا آخر قد عنى بكل هذه الخطوط المذهبة غير أن خط الفنان المذهب لم يبلغ مستوى جودة خط ناسخ باقي النص وأناقته •

ولم تنحصر الزخرفة فى تذهيب الخطوط فحسب • بل تعدته الى أنواع أخرى من التزويق • وأن أول ما يسترعي انتباهنا فى هذا المضمار أن صفحة كاملة مزخرفة من هذا السفر قد خصصت لذكر العنوان والمؤلف على الطريقة العصرية المعمول بها اليوم (4) •

فبالاضافة الى التذهيب استعمل الناسخ فى صفحة العنوان لونين من الحبر ، فجاءت الصفحة على الترتيب التالي :

ـ السفر الأول من (196) (مذهب)

ـ نظم الدر والعقيان (مذهب)

ـ فى بيان شرف بني زيان (مذهب)

ـ وذكر ملوكهم الأعيان (بحبر أحمر)

---

3 ـ راجع : O. HOUDAS. Essai sur l'écriture maghrébine, p. 108-109.

4 ـ بالاضافة الى الغلاف تخصص اليوم كما هو معروف صفحة داخلية من الكتاب لذكر عنوانه واسم مؤلفه وبيانات النشر ، ويسميها المطبعيون والمكتبيون « صفحة العنوان » ، وهذا ما فعله كاتب هذه النسخة الفاخرة ، وقليلا ما يسلك النساخ هذا المسلك ، فنراهم يشرعون فى نسخ الكتاب فى ظهر الصفحة الاولى ويتركون وجه الورقة أبيض •

5 ـ لا يظهر من الكلمتين : « الاول » و « من الا قسمهما الاسفل ، وقد ألصق من قام بترميم هذه الورقة ، كاغدا ، وهذا الترميم ليس بحديث لان الكاغد المستعمل لهذه الغاية قديم •

ــ ومن ملك من أسلافهم فيما (« ومن » و « فيما » بحبر أحمر ، والباقي أزرق)

ــ مضى من الزمان (بحبر أحمر)

تأليف الشيخ الامام (بحبر أزرق)

العلامة الحافظ الحجة الراوية (بحبر أحمر)

أبي عبد الله محمد بن عبد الله (مذهب)

أبي عبد الجليل التنسي وصل (مذهب)

الله حفظه ، ووالى لحظه (مذهب)

وبالاضافة الى تذهيب الكتابة ، فان بعض الزخارف قد تخللت هذه الصفحة ، ونرى رسما هندسيا مذهبا قد وضع فوق كلمة « نظم » ، ورسوما أخرى على شكل أزهار ومرة على شكل حرف العين ــ وقد جاءت كلها بحبر أزرق ــ قد وضعت بين السطور المذهبة ، كما وضعت أيضا بين هذه السطور نفسها مجموعات من ثلاث نقاط حمراء .

ونجد هذا النوع من التزويق فى مستهل الكتاب على ظهر ورقة العنوان . ومما ذهب من دون زخرفة أخرى نسب السلطان محمد المتوكل فى الورقة (2و) وقد جاء فى خمسة أسطر ، كما ذهبت عناوين الأبواب ، وبعض الأسماء ، وبعض العبارات ، داخل الكتاب كله ومنها : « رسول الله » ، وكلمة الله فى عبارة : « صلى الله عليه وسلم » ، ولكن بصفة غير دائمة . ولم تذهب باستمرار الا أسماء الملوك والأمراء من بني عبد الواد ، كما ذهبت أحيانا بعض الحروف وبعض الكلمات ، وهي تشير فى الغالب الى بداية فقرة جديدة ، وقد ذهبت شجرات النسب الثلاث التي أدرجها المؤلف آخر الباب السابع ، كما أشرنا الى ذلك فى الفصل الخاص « بمحتوى الكتاب » . وقد خصص المؤلف صفحة لكل شجرة ، وذهب الأسماء الواردة فيها كلها ، وجعل فى كل صفحة أعمدة عرضها نحو 7 ملمترات تضم رسوما هندسية ، وذلك من ثلاث جهات من اليمنى واليسرى والسفلى ، كما فى هامش كل

صفحة رسما على شكل وردة قطرها نحو 4 سنتمترات داخلها رسوم هندسية تتخللها خطوط مكونة من نقاط حمراء •

ومن التزويق الموجود بهذه النسخة ، زخرفة القصائد الشعرية ، اما بواسطة أزهار فيها تذهيب ممزوج بنقاط حمراء وزرقاء أو بمجموعات نقاط حمراء أحيانا وزرقاء أحيانا أخرى • ووضعت هذه الأزهار وهذه المجموعات من النقاط فى أول كل سطر وفى آخره مع العلم أن الناسخ قد خصص سطرا لكل شطر • ومن الزخارف أيضا كتابة بعض الكلمات أو بعض الحروف من النص بحروف بارزة بحبر أحمر أو أزرق • فعلى سبيل المثال كتب الناسخ عبارة « ثم بويع » ، كلما شرع فى الكلام عن سلطان جديد • وتبدو هذه الكلمات والعبارات والحروف الملونة ، وكأنها اشارة من الناسخ الى انقطاع الكلام والشروع فى فكرة جديدة ، وهذا يذكرنا بالكتابة العصرية التي استعملت الرجوع الى السطر لتمييز الفقرات بعضها عن بعض •

هذه هي النسخة التي جعلناها أساسا لتحقيق النص ، فأصبحت هي الأصل ورمزنا اليها بحرف « أ » وأصبحت النسختان الأخريان « ب » و « ج » رديفا لها •

ـ النسخة رقم (369) :

وهي محفوظة « بالخزانة العامة » بالرباط عاصمة المغرب الأقصى ، ويوم شرعنا فى تحقيق الكتاب بدأنا بنقل الباب السابع فى شرف بني زيان مباشرة من هذا المخطوط • وحصلنا فيما بعد على ميكروفيلم منها • وخلافا لأكثر النسخ التي قسمت الى مجلدين ، فان الأقسام الخمسة للكتاب قد جمعت فى هذا المخطوط ، فى مجلد واحد يحتوي على 314 ورقة حجمها 29 سم على 21 سم ، وخطها مغربي واضح متوسط الجودة • وهي مفيدة رغم البلل الذي لحق بعض أوراقها ، ورغم الارضة التي أكلت بعض أطرافها ، غير أن عددا كبير من الأخطاء النحوية والاملائية قد تسرب الى كل أوجهها مما يدل على جهل ناسخها لقواعد اللغة والنحو • كما لاحظنا فيها سقطا متكررا للكلمات وأحيانا

للفقرات والأبيات الشعرية وعلى الخصوص فى آخر الباب • ولم يذكر الناسخ اسمه كما لم يذكر تاريخ فراغه من النسخ • وقد احتفظنا بهذه النسخة رغم ما فيها من عيوب لأنها أجود النسخ المغربية التي تمكنا من الاطلاع عليها • وقد اعتمدنا عليها وعلى النسخة المذكورة فيما يلي ، لتحقيق النص قبل أن نتمكن من الحصول على النسخة الأصلية • وقد استفدنا منها فيما بعد لمقابلتها بالنسخة الأصلية •

وقد رمزنا الى هذه النسخة بحرف « ب » •

ـ النسخة رقم (ق 444) :

وهي محفوظة أيضا « بالخزانة العامة » بالرباط (6) وقد حصلنا في البداية من هذه المكتبة على مكروفلم للباب السابع فقط على غرار ما فعلنا بالمخطوط السابق الذكر ، وعندما انتهينا من التحقيق ، أردنا وصف المخطوط فطلبنا مكروفلما للنسخة كلها ، ولم نحصل عليه • وقد ختمت النسخة بالنص التالي : « انتهى تكميل هذه النسخة على يدي مشتريها لنفسه من سوق الكتبيين المجاور للقرويين بفـــاس حاطها الله بالعافية ، مالكها على بن الحسن بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن رحمون الحسني العلمي دارا ومنشأ ، فى السابع عشر صفر الثاني من شهور العام ، سنة ثلاث وأربعين بعد ألف ، من نسخة بخط تلميذ المصنف الفقيه العالم أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن جلول ، وتاريخ نسخه اياها ثالث يوم من صفر ثاني شهور من [كذا] عام خمسة وثمانين بعد ثمانمائة • عرفنا الله خيره ووقانا ضيره آمين » • ومن المقابلة بالنسخة السابقة ، تبين لنا أنهما من أصل واحد • ويتضح ذلك من التشابه فيما بين النسختين فى السقط وفى التحريف والتصحيف وفى الأخطاء النحوية والاملائية ، كما سيظهر ذلك جليا فى الهوامش اللاحقة • وخطها مغربي متوسط الجودة ، وقد أفادتنا أيضا فى مقابلتها بالنسخة السابقة يوم كانتا أساسنا للتحقيق وكذلك فى مقابلتها بالنسخة الأصلية فيما بعد •

---

6 ـ كانت النسخة بمكتبة الزاوية الناصرية فى تمكروت بجنوب المغرب الأقصى ، قبل أن تنتقل الى الرباط .

وقد رمزنا الى هذه النسخة بحرف «ج» •

ب ـ النسخ الثانوية :

وهي النسخ التي تبين لنا بعد فحصها ومقابلتها بالنسخ الأخرى ، أنها لا تصلح أساسا للتحقيق والنشر ، وذلك راجع حسب النسخ اما لكثرة ما لحقها من التحريف والتصحيف ، واما لصروف الزمان التي أصابت المضمون والشكل ، فلم نر فائدة من الرجوع اليها لتحقيق نص تمكنا من اثباته اعتمادا على نسخة فى منتهى الجودة ، ولم نر من الصالح أن نثقل على المطلع ونرهقه بتراكم الروايات فى الهوامش من نسخ ملئت بالتصحيف والتحريف والأخطاء النحوية والاملائية • وهكذا قد أفقدت هذه العيوب النسخ التي وصلتنا معظم قيمتها فلم نرجع اليها الا في القليل النادر •

وفيما يلي نستعرض هذه النسخ الثانوية :

ـ نسخة الرباط رقم (2076)

وهي محفوظة « بالخزانة العامة » بالرباط • وقد قضينا أياما في مقابلتها بنسخة « ب » ونسخة « ج » سطرا بعد سطر ، وكلمة بعد كلمة عندما تمكنا من قراءتها لأن الرطوبة قد تسربت الى الأوراق كلها فأفسدت كتاباتها ، وأصبح من الصعب قراءتها • وواصلنا هذه الجهود حتى تأكدنا أن هذه النسخة لا تفيد ، وذلك لأنها زيادة على هذا الطمس كثيرة الأخطاء من كل نوع ، كما تميزت بكثرة السقوط الذي لحقها • وهي أيضا متفرقة من الأصل نفسه الذي تفرعت عنه نسخة « ب » ونسخة « ج » •

ويرجع تاريخ الفراغ من نسخها الى سنة 998 هـ / 1589 م • ونحن نملك ميكروفلما صور فيه الباب الخاص بتاريخ بني زيان ، وقد زاد التصوير قراءة السطور المبللة صعوبة •

ـ نسخة تلمسان رقم (5)

كانت محفوظة « بمدرسة تلمسان » (7) قبل أن تنقل مع بـاقي المجموعة من المخطوطات الى ثانوية ابن زرجب بالمدينة نفسها حيث هي محفوظة حاليا • وكانت تحمل الرقم : 5 (8) • وقد تمكنا من الاطلاع على محتواها قبل أن تضيع (9) ، وجاءت فى مجلدين وهي متأخرة النسخ اذ كنا سجلنا تاريخ الفراغ منه وهو فى شهر جمادي الثانية من سنة 1284 هـ / 1867 •

وقد كثر التصحيف والتحريف بها ، لدرجة أن الناسخ أخطأ فى ذكر أقسام الكتاب • ولاحظنا بعد مقابلتها بما كنا قد أثبتناه من النص ، أنها لن تفيدنا فى شيء ، لو اعتمدناها فى مرحلة التحقيق النهائية •

ـ نسخة باريز رقم (5173)

ان هذه النسخة المحفوظة بالمكتبة الوطنية بباريز متأخرة النسخ أيضا ، اذ كان الفراغ منه عام 1274 هـ / 1857 م • على يد أحمد بن البشير ابن علي بن يعقوب الأندلسي أصلا اليزناسي دارا ومنشأ • وعدد أوراقها 300 وضمت أقسام الكتاب كلها ، ونستنتج من اسم الكاتب أن نسخها وقـع بالجزائر أو بالمغـرب الأقصى لأن بني يزناسن كانوا ومازالوا يسكنون فى الجبال الواقعة شمال وجدة عـلى الحدود الجزائرية ـ المغربية (10) • غير أننا لم نستفد الا فى حالات نادرة (11) من هذه النسخة التي كثرت فيها الأخطاء لدرجة أن الناسخ أخطأ فى كتابة اسمه فكتب الأندلوسي عوض الأندلسي كما أخطأ فى عنوان الكتاب ، فكتب

---

7 ـ أسس الفرنسيون أثناء احتلالهم للجزائر ثلاث مدارس لتدريس اللغة العربية وتكوين بعض الاطارات ، ومن هذه المدارس مدرسة تلمسان .

7 — A. COUR, Catalogue des manuscrits arabes conservés dans les principales bibliothèques algériennes : Médersa de Tlemcen.

9 ـ أخبرتنا ادارة الثانوية رسميا أن هذه النسخة قد ضاعت ولم يعلم الى يومنا كيف ضاعت هذه النسخة الفريدة من هذا الكتاب والتي كانت تملكها مكتبة عامة بالبلاد .

10 ـ سيأتي ذكر هذه الجبال فى النص المحقق ورقة 211 .

11 ـ استفدنا من هذه النسخة خاصة عند قيامنا بتحقيق نص المقدمة التي استهل بها التنسي كتابه كما سنرى .

فى أكثر من مرة « نضم الدر » بالضاد عوض الظاء • وقال فى العنوان أيضا « ومن ملك فى أسلافهم » مكان « من أسلافهم » كما أخطأ في عناوين الأقسام والأبواب • فقال على سبيل المثال « الباب السابع في بيان شرف بني زيان » وتتبع ملوكهم الى دولة مولانا المتوكل فى آخر « عوض » فخر الزمان « وقد كتب ايضا « المواعظ والحكم الواردات عن مختلعات (بالعين) الامم » مكان : « المواعظ والحكم الواردة عن مختلف الأمم » • فلم نر طائلا من استعمال مثل هذه النسخة أيضا لاثبات نص الباب السابع • ومما هو جدير بالذكر ان الناسخ انفرد باضافة قصائد للسلطان ابى حمو • وقد ذكرها بعد الفراغ من نص « نظم الدر » وذلك من الورقة (293ظ) الى الورقة (300ظ) •

ج) النسخ التي لم نتوصل الى الحصول عليها :

وهي النسخ المحفوظة بالمكتبات المغربية التالية : ــ الخزانة العامة بالرباط ، والخزانة الملكية بالمدينة نفسها ، وخزانة جامعة القرويين بفاس ، وقد طلبنا شفويا وكتابة من المسؤولين عن هذه المؤسسات الثقافية الثلاثة ، أن يصوروا لنا كل ما لديهم من نسخ كنا رأينا بعضها وتصفحناها وهي نسخ الرباط ، وعلمنا بوجود الاخرى من الفهارس والبيبليوغرافيا وهي نسخ القرويين ، وحرصنا على الاطلاع عليها للامانة العلمية فقط ، لاننا راضون كل الرضا عما حققنا من نص بفضل النسخ الرئيسية • غير أن مساعينا قد اخفقت ، فلم نحصل على الميكر وفلمات المطلوبة • وهذه النسخ الموجودة فى المغرب هي :

بالخزانة العامة :

ــ النسخة رقم (ك 2325)

وهي من مكتبة عبد الحي الكتاني ، وهي تامة فى مجلد واحد ، وعدد أوراقها 239 • وحجمها متوسط • وقد تسربت الرطوبة الى أوراقها الأولى والأخيرة ، وكان الفراغ من نسخها يوم الاربعاء الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف • وقد تصفحناها •

ــ النسخة رقم (د 1988) التي تضم الجزء الثاني فقط ، وأوله :

« القسم الثالث فى ذكر ملح ونوادر مستظرفة رويت من أجناس مختلفة »، وكان الفراغ من نسخها سنة 1279 هـ / 1862 م • وقد تصفحناها •

ـ النسخة رقم (ك 2342) •

وهي تشمل الجزء الأول الذي يضم الباب السابع فى بيان شرف بني زيان ، ولم يذكر فى آخر هذا الجزء تاريخ نسخة • وحجمه صغير وعدد أوراقه 200 ورقة وقد تصفحناه •

وبالخزانة الملكية ، تمكنا من الاطلاع على نسختين : ـ

احداهما أثرية كان من الممكن أن تكون فى الدرجة الأولى أو الثانية فى ترتيب النسخ حسب صحتها لو لم تفقد الجزء الأول الذي يضم تاريخ الملوك من بني عبد الواد ، ان المكتبة لا تملك حسبما يظهر الا الجزء الثاني • وترجع أهمية هذه النسخة التي تحمل الرقم : 1072 الى أن ناسخها هو أحمد بن محمد المقري صاحب « نفح الطيب » ، والى انه نقلها من نسخة كتبت بخط التنسي (12) ، وكان الفراغ من نسخها سنة 1008 هـ / 1599 م (13) والخط مغربي جميل غير ان الخرم قد أصاب أكثر الورقات بسبب الأرضة التي أكلت أطرافها •

وحجم النسخة متوسط ، ولم ترقم ورقاتها ، وقد تفحصناها بالخزانة الملكية وبدت لنا خالية من الأخطاء •

ـ أما النسخة الثانية ورقمها (1934) فهي أيضا غير كاملة ، غير أن البداية التي تحوي الباب الخاص بتاريخ بني زيان هي الموجودة ، وربما كانت الاستفادة منها ممكنة • وحجمها متوسط ، ولم ترقم أيضا ، وليس فى الآخر معلومات عن الفراغ من النسخ ، وقد تصفحناها •

---

12 ـ قال المقري فى آخر الكتاب : انتهى السفر الثاني من كتاب « نظم الدر والعقيان فى شرف بني زيان ، وذكر ملوكهم الأعيان » ، تأليف الإمام الحافظ سيدي محمد ابن عبد الله بن عبد الجليل التنسي رحمه الله تعالى ، ورضي الله عنه لامير المسلمين المرحوم بكرم رب العالمين المولى أبي عبد الله محمد المتوكل المعروف ببوقلموس . الفراغ من نسخه يوم السبت من رابع وعشرين من رمضان المبارك من عام ثمانية وألف . وكتبه من خط مؤلفه المذكور الى أن قال : « وكتب ذلك أحمد بن محمد المقري وفقه الله بمنه .

13 ـ وقد توفي المقري سنة 1041 هـ / 1632 م .

نسخ القرويين :

اننا لم نر هذه النسخ ولم نطلع على أي وصف لها • وانما ورد ذكرها كما قلنا فى الفهارس والبيبليوغرافيات • وقد ذكر عبد السلام بن سودة ان « نظم الدر » يوجد فى مجلد ضخم بخزانة القرويين تحت عدد 553 (14) • وقد ذكر بروكلمان نسختين أخريين موجودتين بالمكتبة نفسها رقم احداهما 1278 والثانية 1310 (15) •

تلك هي النسخ الرئيسية والثانوية التي استفدنا منها وكانت أساسا لتحقيق النص • وتلك هي النسخ الباقية التي لم تفدنا للاسباب التي ذكرناها سابقا •

المؤلفات الأخرى :

وقد استعنا أيضا لضبط بعض الكلمات والعبارات الواردة فى نص التنسي بكتاب « بغية الرواد ••• » ليحيى بن خلدون ، وبمخطوط « زهر البستان فى دولة بني زيان » • وكنا رأينا سابقا ان الكتابين مصدران من المصادر التي اعتمدها التنسي فى تصنيفه ، كما استعنا أيضا بكتاب « العبر » لابن خلدون و « بنفح الطيب » لأحمد المقري وبمؤلفه الآخر « أزهار الرياض فى أخبار عياض » •

2 ـ طريقة التحقيق :

جعلنا نصب أعيننا ونحن بصدد تحقيق النص ، أن نخرج صورة من الكتاب تكون أقرب ما يمكن للنسخة التي خلفها التنسي فى القرن التاسع ، فلم ندخل أي تغيير على هذا النص الا بعض الاضافات الضرورية التي لا تمس المضمون أو المظهر الخارجي بقليل وكثير •

ولاثبات النص والتعليق عليه اتبعنا المبادىء التالية :

14 ـ « دليل مؤرخ المغرب الاقصى » ، ج 1 ، ص 168 •

15, C. BROCKELMANN, *Geschichte der arabischen littèratur, supplémentband,* tome II, p. 341.

ـ جعلنا نص نسخة «أ» أصلا أي اننا لم نمس النص المنقول منها الا نادرا ، وذلك عندما لاحظنا فيها نقصا أو اكتشفنا تحريفا أو تصحيفا واضحين ، وأشرنا فى الهامش الى ما أضفنا الى نص هذه النسخة أو صححنا منها ، وقد قل ما وقع ذلك .

ـ ومن الاضافات أيضا لنص هذه النسخة اننا ما زدنا على أن قسمناه الى فصول وعلى ان أضفنا بعض العناوين لهذه الفصول وقد وضعنا هذه العناوين بين معقوفتين [ ] للتنبيه الى انها ليست من الأصل ، ونود أن ننبه الى أننا رجحنا من قبل أن المؤلف قد يكون سبقنا الى تقسيم كتابه الى فقرات ميزها كاتب نسخة «أ» مثلا ، بكتابة الكلمات الأولى من كل فصل ، بحروف بارزة مكتوبة بمداد ملون ، كما رأينا منذ قليل عند قيامنا بوصف المخطوطات التي اعتمدناها .

ـ اننا لم نجد بدا من أن نضع داخل النص بعض الأرقام وهي نوعان : الأولى تحيل على التعاليق وهي موضوعة بين قوسين وقد جعلناها متسلسلة ، تسهيلا للاحالة من تعليق الى تعليق آخر . والثانية الى رقم الورقة فى النسخة الأصلية وقد وضعناها بالهامش الى جانب النص من اليمين . وأشرنا الى أن ورقة جديدة قد بدأت فى نسخة «أ» بوضع العلامة التالية ـ // ـ قبل الكلمة الأولى من وجه الورقة فى المخطوط .

ـ اننا فى أثناء تحقيق الألفاظ لم نذكر الروايات المختلفة الموجودة فى النسخ الثلاث . فلو فعلنا لاحتجنا الى مجلد ضخم لايراد هذه الروايات كلها لكثرة ما اعترى النسختين «ب» و «ج» من التحريف والتصحيف ومن الأخطاء النحوية والاملائية ولهذا اكتفينا بذكر الرواية التي قد تفيد الباحث مهما كان اختصاصه : تاريخ أو لغة أو أدب أو علم اجتماع الخ .. أما الروايات الأخرى التي اتضح لنا انها أغلاط فاحشة ارتكبها ناسخ جاهل بقواعد اللغة ، أو ناسخ استعصت عليه بعض الكلمات ، فلم يتمكن من قراءتها عند نقلها ، فضمن نسخته كلاما قد يفهم أحيانا أو كلاما لا معنى له أحيانا أخرى ، فلم نر فائدة من أن ننقل مثل هذه الأخطاء التي لا يشك أحد فى عدم صحتها .

وقد ذكرنا الرواية الموجودة فى النسختين الباقيتين فى حالة ما اذا تبين انها لم تنتج عن خطا ووجدنا انها قد تفيد باحثا من الباحثين ، كما ذكرناها عندما رأينا انها قد تناسب السياق غير اننا عللنا دائما فى الهامش للرواية التي احتفظنا بها ، فأثبتناها فى النص •

ــ أشرنا دائما الى النقص متى وجد ومهما كانت النسخة المعتمدة التي سقط منها الكلام ، سواء كان هذا السقط ألفاظا أو عبارات وأبيات شعريــة •

هذا فيما يخص اثبات النص • أما فى التعاليق فقد كان منهاجنا كما يلي :

ــ بما أن هدفنا هو قبل كل شيء محاولة اعادة كتاب أو على الأصح قسم من كتاب الى الحالة التي تركه عليها مؤلفه حسبما ذكرنا فى أول هذا الفصل ، ما كان لنا أن نقوم بشرح ما قد يغمض من الألفاظ والأبيات الشعرية فى هذا النص • ولم نذكر معنى مثل هذه الألفاظ الا عند تعليلنا لتفضيل رواية على أخرى كما قدمنا ، ولم يحدث ذلك الا عندما ظننا ان هذه الألفاظ قد تكون صعبة الادراك على القاريء المتوسط • أما عند سهولتها ، فقد اكتفينا فى تعليلنا بالقول : « وأبقينا ما فى «أ» لأنه أليق للمعنى » أو ما يقوم مقام هذه الجملة من الكلام •

وتيسيرا لعمل المؤرخين ، آثرنا التعليق على أسماء الأشخاص والأماكن ، وربما أكثرنا من مثل هذه الهوامش اذ علقنا على أسماء مدن أو قرى أو جبال أو أنهار ، كما علقنا على أسماء أشخاص ، وقبائل ، ودول ، يعرفها أكثر الناس فى بلادنا • الا أن نيتنا كانت حسنة عندما أقدمنا عن قصد على هذا العمل ، ففكرنا فى أولئك القراء والباحثين خارج الجزائر والمغرب ، من الذين لا يعرفون من هم المومنيون ومن هو أبو عبد الله الشريف ، ولا يعرفون ما هي مليانة وما هو ونشريس وما هي تافنة ، وهكذا • فمن أجل هؤلاء القراء فضلنا الاكثار من مثل هذه التعاليق • هذا ولم نعلق داخل النص على أسماء الأماكن لتكررها بل جمعناها فى كشاف مستقل يتبع النص وقد أشرنا الى مثل هذه الأسماء بنجمة ذات ثمانية زوايا (✻) تلى الاسم واستثنينا منها التعاليق الخاصة بأسماء

الأماكن التي قد توضح الأحداث وتسهل فهم المتن ، فأبقيناها في الحواشي كأسماء بعض الحصون والأبواب وأحيانا بعض المدن الخ ... وكذلك أسماء الأماكن التي اختلف فيها المؤرخون كمواقع بعض المعارك .

— تيسيرا لاستعمال الكتاب وتقييم محتواه ، قمنا بمقابلته بالمصادر التي تناولت موضوعه فذكرنا روايات تلك المصادر عن الاحداث نفسها وتواريخها وأبطالها ، وأماكنها كلما خالفت التنسي ، ولم نذكر الرواية التي تؤيد الأخبار الواردة عند التنسي الا عندما يقع اختلاف بين الروايات فعند ذلك نشير الى الرواية المؤيدة الى جانب الرواية المخالفة وأهم المصادر التي قمنا بمقابلتها « بنظم الدر » هي :

1 — ابن خلدون (عبد الرحمن) . — « كتاب العبر ... » (16) .

2 — ابن خلدون (يحيى) . — « بغية الرواد ... » (16) .

وهما الكتابان اللذان تكرر ذكرهما وذلك راجع طبعا للأهمية التي أولاها هذان المؤلفان لتاريخ بني عبد الواد . وقد ذكرنا أيضا : (17) .

1 — ابن أبى زرع . — « روض القرطاس ... »

2 — « الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية » (المؤلف مجهول) .

3 — « زهر البستان في دولة بني زيان » (المؤلف مجهول) .

4 — ابن الاحمر . — « روضة النسرين في أخبار بني مرين » .

5 — الزركشي . — « تاريخ الدولتين ... » .

— ومن التعاليق أيضا ذكرنا في الهوامش تاريخ تولي الأمراء والخلفاء وتاريخ نهاية حكمهم .

أما الأسماء التي لم نتوصل الى معرفتها رغم الأبحاث الطويلة في بطون كتب التراجم ، والموسوعات ، والمعاجم وغيرها من الكتب المختلفة ،

---

16 — ولاختصار أسمي الأخوين والتفريق بينهما ، انظر « جدول الاختصارات والرموز » في بداية القسم الثالث بعد النص المحقق .

17 — راعينا في ترتيب هذه الكتب التسلسل الزمني .

وكذلك القاء الأسئلة على بعض الاختصاصيين ، فاننا ذكرنا بأننا لم نتمكن من معرفتها •

وقد اتبع النص المنشور :

1 ـ جدول الاختصارات والرموز •

2 ـ بالتعريف بالأماكن الواردة فى الباب السابع •

3 ـ جدول لملوك بني زيان بدءا من مؤسس دولتهم يغمراسن الى محمد المتوكل معاصر التنسي •

4 ـ خريطة للمغرب فى العهد الزياني اقتصرنا فيها على ذكر المدن والقرى والجبال والأنهار التي قد تساعد على فهم مجرى الأحداث المدرجة فى « نظم الدر » •

5 ـ مخطط تقريبي لمدينة تلمسان فى القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي أوردنا فيه على الخصوص أسما ءبعض المعالم التي جاء ذكرها فى نص التنسي المحقق و فىالدراسة التي سبقت •

وختمنا هذا الكتاب بخمس كشافات وتسهيلا لعمل الباحثين • فقد فضلنا تفريقها عوض جمع محتواها فى كشاف فريد ، على غرار ما يفعل بعض المحققين ، ولكل طريقة مزاياها • وهذه الكشافات هي :

1 ـ كشاف أسماء الأشخاص والقبائل والدول •

2ـ كشاف أسماء البلدان ، والأماكن ، والأنهار •

3 ـ كشاف أسماء الشعراء •

4 ـ كشاف القوافي •

5 ـ كشاف عناوين الكتب والمقالات والمجلات •

وألحقنا بهذه الكشافات ثبتا عاما للمصادر والمراجع ذكرنا فيه كل الكتب والمقالات التي رجعنا اليها ، لكتابة القسم الأول عن حياة التنسي وآثاره

من ناحية ، ولتحقيق النص من ناحية أخرى . وقسمنا هذه البيبليوغرافيا الى قسمين :

1 ــ المصادر والمراجع باللغة العربية .

2 ــ المصادر والمراجع باللغات الأجنبية .

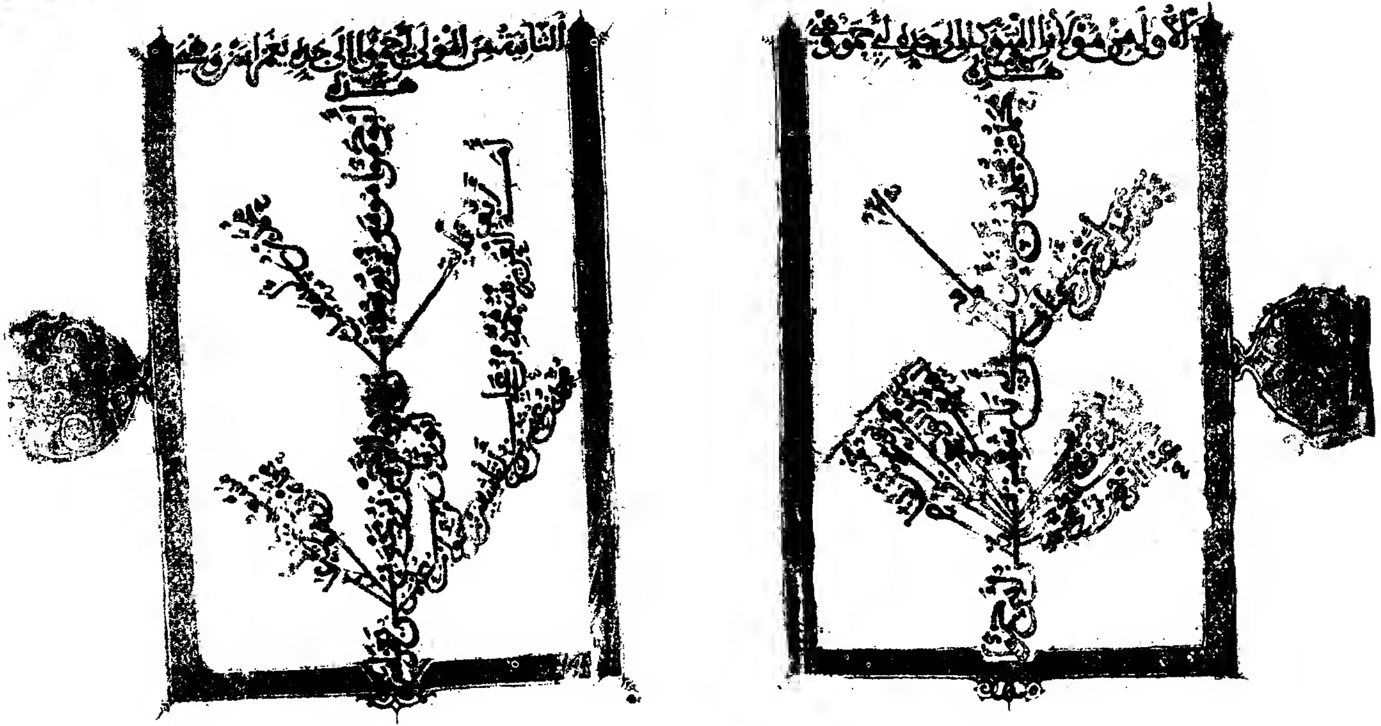
وختمنا الدراسة بفهرس مفصل للموضوعات التي احتوى عليها الكتاب من دراسة وتحقيق .

محمد بن إبراهيم خلفه ابنه يحيى . فلما هلك يحيى
خلفه ابنه علي وحمزة الذي ينتسب إليه وكان حمزة
من أحواز بجاية هو وابن علي من أصحاب تاشفين وغلبه
العبيديون كلهم حين ملكوا المغرب الأوسط لما
من منا والبقاء لله وحده

الباب السابع في بيان شرف بني زيان وتتبع دولتهم إلى دولة مولانا المتوكل فخر الزمان

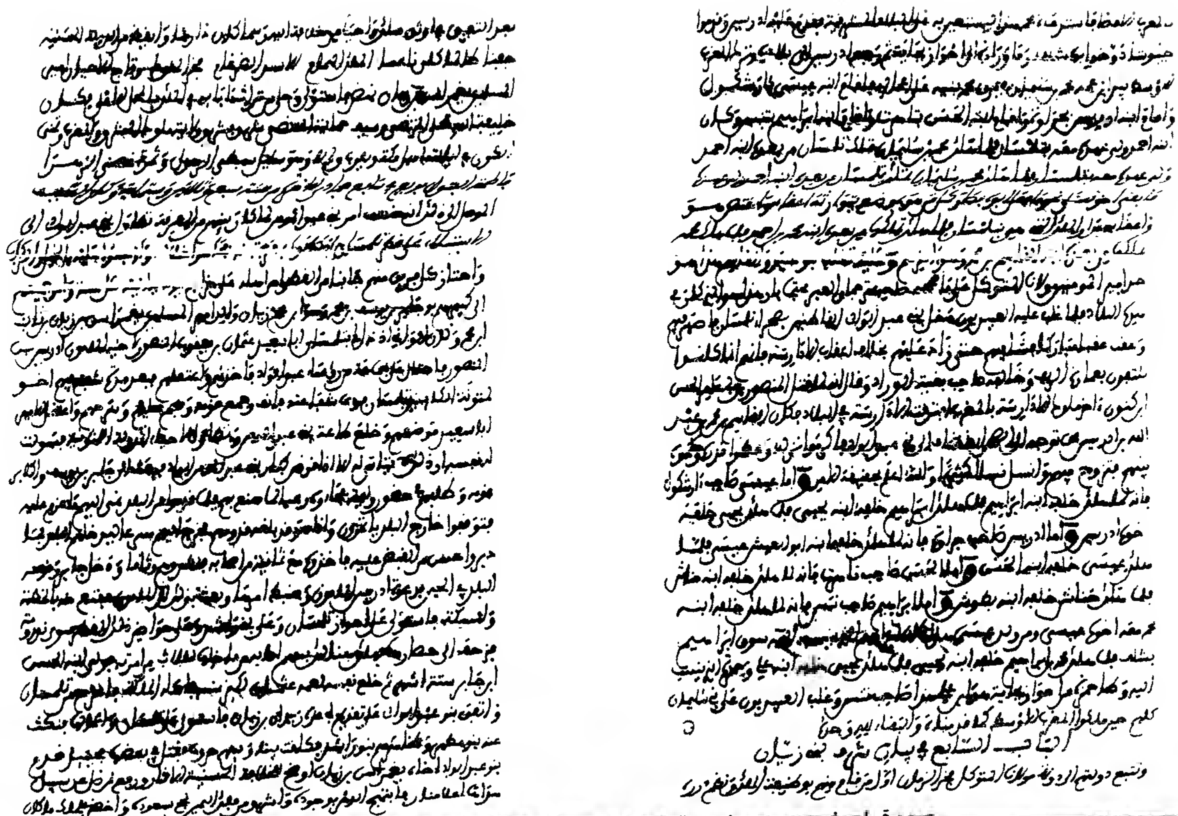
أول من قام منهم بوظيفة الملك . ونظم
درة بعز الثغر في أوقو سلك . وأخذ من
خلافة آبائه رسما كان دارسا . وأنقذ من الدولة
الحسنية جفنا كان ناعسا . الملك المنعم
الأسد الضاري علم بحر الملوك وتاج الأعيان
أمير المسلمين أبو يحيى يغمراسن بن زيان
نهض فاستولى . وحاز من تراث آبائه في الملك

صورة الصفحة الخاصة بعنوان الباب السابع من النسخة الأصلية (١)

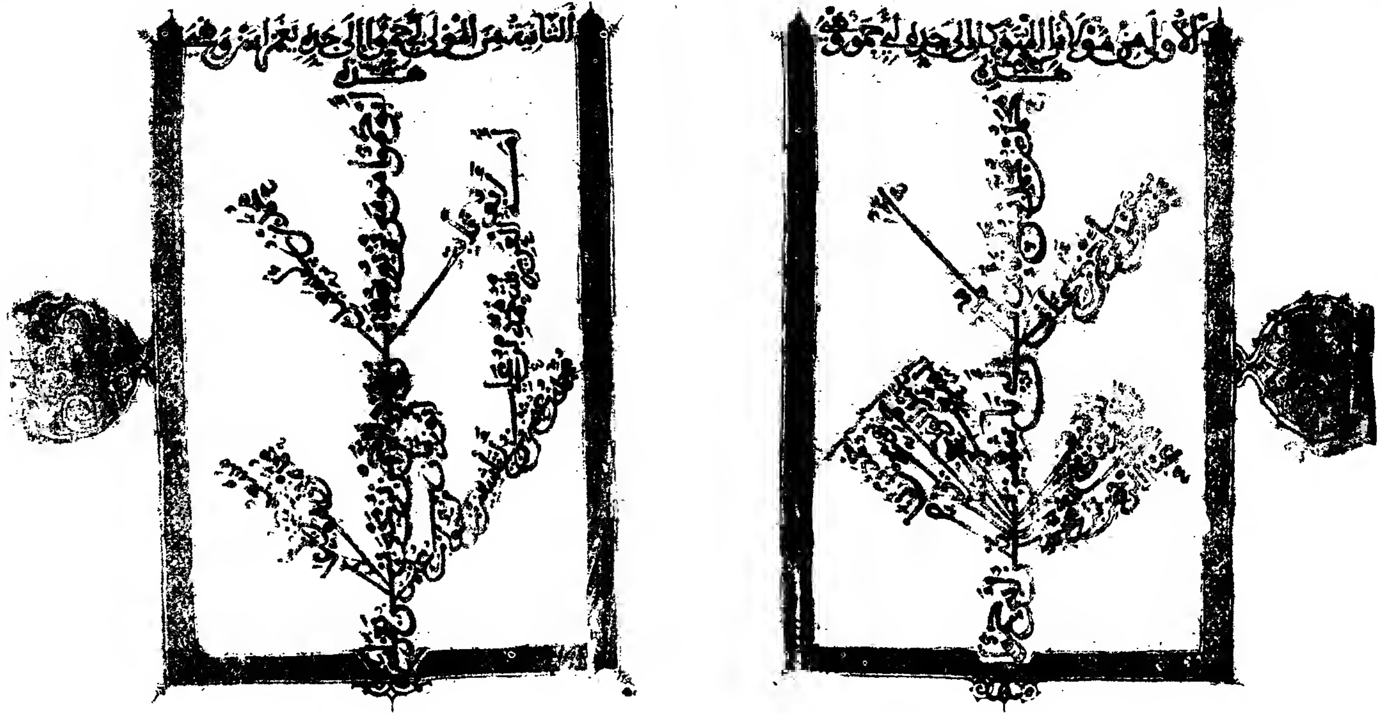


صورة لشجرتين من شجرات نسب بني زيان ، من نسخة (أ)

انظر فى آخر النص المحقق . ص 273 و 274 و 275



صورة الصفحتين من نسخة (ب) من الخزانة العامة في الرباط رقم 260

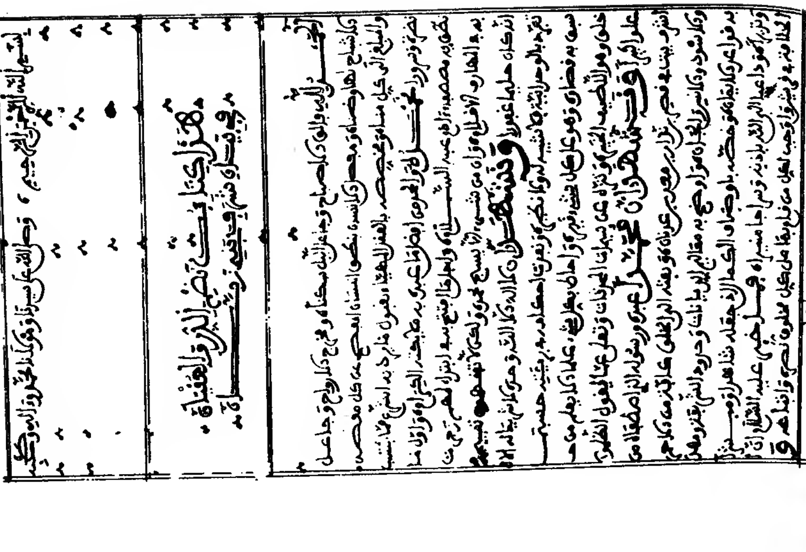


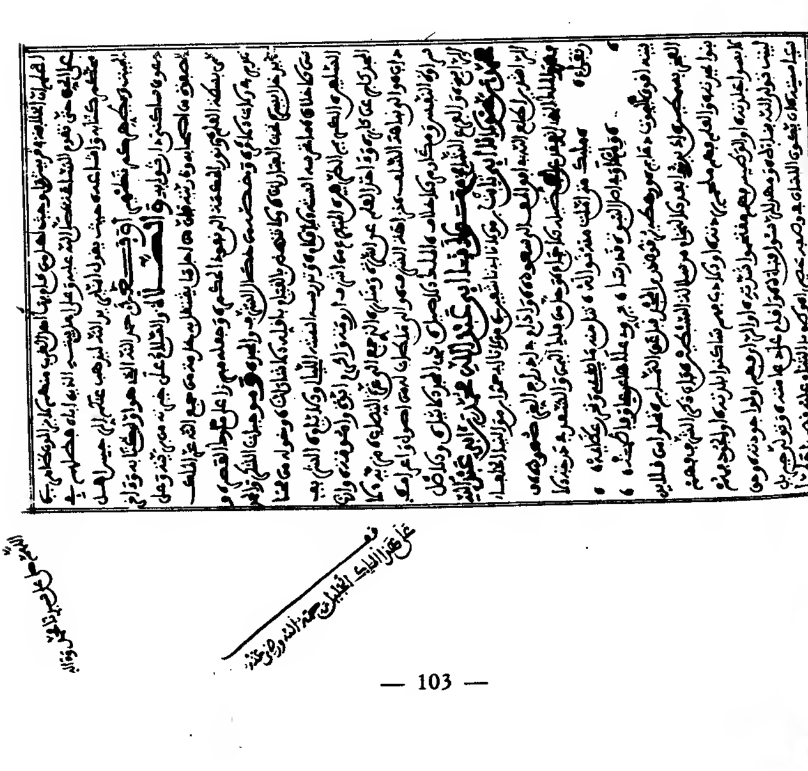
صورة لشجرتين من شجرات نسب بني زيان ، من نسخة (أ)
انظر فى آخر النص المحقق . ص 273 و 274 و 275

صورة لصفحتين من نسخة (ب) الخزانة العامة في الرباط رقم 269



صورة لصفحتين من نسخة (ج) . الخزانة العامة بالرباط رقم ق 444


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه
هذا كتاب نظم الدرر والعقيان
في بيان شرف بني زيان



البـــاب الثـــاني

النـــص المحقـــق

مقـــدمة « نظـم الـدر »

اتماما للفائدة رأينا أن نورد قبل النص المحقق « للباب السابع في بيان شرف بني زيان » ، مقتطفات من أهم ما جاء فى المقدمة التي استهل بها التنسي كتابه ، وقد أتبعنا هذه المقدمة ببداية الباب الأول من القسم الأول وهو « فى ذكر نسبه (المتوكل) الطاهر » ، وقد عرض المؤلف فى هذا الباب شجرة النسب الذي أسنده للأسرة المالكة بتلمسان ، باسطا مختلف الروايات والاحتمالات التي ذهب اليها هو ومن نهج نهجه من قبل (1) • كما أدرجنا بعد نص الباب السابع ، الخاتمة التي أنهى بهـا صاحب « نظم الدر » تصنيفه •

المقـــدمة

فمما استهل به المؤلف كتابه :

« الحمد لله فالق الاصباح ، وجاعل الليل سكنا ، ومخترع الأرواح ، وجاعل الأشباح لها وطنا ، ومفصل الانسان ، بنطق اللسان ، المفصح

---

1 ـ بما أن نسخة «أ» ينقصها جزء من المقدمة ، وبما ان الخاتمة لا توجد فى السفر الاول من هذه النسخة ، اعتمدنا لتحقيق ما ننشر من هذه وتلك على القليل مما وصلنا من نسخة «ا» فى هذا المجال ، وعلى ما نقلنا مباشرة من نسخة «ج» ، وذلك حسبما بسطنا فى الفصل السابق الخاص بطريقة التحقيق ، كما استفدنا أيضا من نسخة باريز التي وصفناها سابقا • أما فيما يخص الجزء الذي نذكره من « الباب الاول فى ذكر نسبه الطاهر » فقد ضبطناه حسب المنهج نفسه الذي سلكناه فى تحقيق « الباب السابع » •

عن كل مقصد والمباح الى كل منى ، ومخصصه بالعقل المهيأ لقبول ما يرد (2) به لشرع مما يكسب (3) نضرة وسرورا ، نحمده والحمد أفضل ما عبده به الملائكة الكرام ، وأول ما نطق به مصطفاه (4) آدم عليه السلام ، وأجل ما افتتح به نطق فى ابتداء مهم ، وجرت به في المهارق الأقلام ، « وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا » (5) .

ونشهد أن لا اله الا هو وحده لا شريك له ، اله تفرد بالوحدانية ، فلا شبيه ولا نظير ، ونفذت أحكامه فى بريته حسبما سبق به قضاؤه ، وهو على كل شيء قدير ، وأحاط بكل شيء علما ، « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (6) ، وتنزه عن سمات المحدثات ، وتعالى عما يقول الظالمون علـوا كبيرا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي اصطفاه من أشرف بيت فى مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وبعثه الى الخلق كافة من الأحمر والأسود والانس والجان . وأوضح به معالم الديانة ، وحدود الشريعة ، ومهد به قواعد الايمان وخصه بأوصاف الكمال اذ جعله « شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » (7) ، فأخبر عليه السلام أن الخلافة فى قريش وأوجب لمن قام بها على كل مخلوق نصره (8) وأتباعه ، واعلم أن أهل الغرب منهم لايزالون ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة (9) ، صلى الله عليه وعلى

---

2 ـ فى «ج» : يريد ، والأليق للسياق ما فى «ا» و «ب» .

3 ـ فى «ج» ، يكتب ، والصحيح ما فى «أ» و «ب» .

4 ـ بداية البتر فى «ا» .

5 ـ من القرآن الكريم ، سورة «الاسراء» ، آية رقم 44 .

6 ـ من القرآن الكريم ، سورة « الملك » ، آية رقم 14 .

7 ـ من القرآن الكريم ، سورة « الاحزاب » ، آية رقم 46 .

8 ـ فى «ب» و «ج» ، مخلوق ونصره . فحذفنا الواو .

9 ـ يشير المؤلف الى الحديث النبوي الذي اخرجه حسبما ذكر يحيى بن خلدون (البغية ، ج 1 ص 7ـ8) مسلم والدارقطني وغيرهما ، عن سعد بن أبي وقاص ، ان رسول الله (ص) قال : « لاتزال طائفة من امتي بالمغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ». وقد عثرنا على حديث مشابه لهذا الحديث عند مسلم « صحيح مسلم بشرح النووي ، ج 2 ص 171) وهو قوله (ص) ، « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق الى يوم القيامة » .

أهل بيته ، الذين أبان فضلهم فى محكم كتابه ، وأشاعه حيث يقول أجل من قائل « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » (10) .

وبعد حمد الله الذي هو أول كتابه وآخر دعوى ساكني دار ثوابه ، والصلاة والسلام على خيرته من بريته ، وعلى الصفوة من أصحابه وذريته فان من أجل ما يشتغل به خدمة من جمع الله له عز الملك الى بسطة العلم ، ونور الحكمة الى نفوذ الحكم ، وجعله مبرزا على ملوك العصر ومدبر ولاة الأمر ، وخصه من خصال الشرف والمجد وموجبات الشكر والحمد . بما لا يدخل أيسره تحت العبارات ، ولا تنهض بالقيام بأقله الاشارات ، وخوله من محاسن الأخلاق ما تحرسه ألسنة الاقلام ، وتدرسه ألسنة الليالي والايام ، الشريف السلفين ، الكريم الطرفين ، المتفرع من أشرف أرومة ، وأكرم أبوة وأمومة ، وارث المجد كابرا عن كابر ، وأخذ الفخر عن أسرة (11) ومنابر ، الذي جمع الى غرة النصاب مزية الأداب ، والى نباهة السلف (12) نزاهة الشرف ، والى ما طاب له من الأصول والاعراق سراوة النفس ، ومكارم الاخلاق الملك الأصيل ذي المجد الأثيل ، والأصل الراسخ ، والفرع الشامخ ، مولانا أبي عبد الله محمد أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين ابن مولانا أبي عبد الله محمد ابن مولانا أبي ثابت ابن مولانا أبي تاشفين ابن مولانا أبي حمو ابن موالينا الخلفاء الراشدين اطلع الله أفق المعالي سعوده ، وأدام فى ادراج العز صعوده . فهو الملك الذي انعقد على تفضيله الاجماع (13) ، وحل من فلك اليمن والسعد فى درجة الارتفاع ... »

الى أن قال : « ولما كنت من جملة من غمرته آلاؤه ، وتواترت عليه نعماؤه وألبست منها حللا ضافية ، وأوردت منها مشارع صافية ، نهضت

10 — من القرآن الكريم ، سورة « الاحزاب » ، آية رقم 33 .

11 — فى «ج» : أسيرة . وشطب الناسخ فى «ب» كلمة « أسيرة » فى المتن وكتبت فى الهامش اسرة .

12 — فى «ب» و «ج» : الشرف ، والتصحيح من مخطوط باريز (ورقة 2 و) .

13 — نقص فى «ب» و «ج» : الاجماع .

فى خدمته بقدر طاقتي ، واستعملت فى ذلك ما رجوت أن يكون نافقا من بضاعتي ، جاهدا فى مرضاته خاطري ولساني ، وأعملت فيما يزلف لديه ناظري وشأني ، جاهدا فى ذلك بما فى الوسع لدي ، عسى أن أقوم ببعض واجب حقه علي ، على اني لو استعرت الدهر لسانا ، واتخذت الريح ترجمانا ، لأشيع انعامه حق الاشاعة ، لقصرت به عن ادراك عشر عشره الاستطاعة ، فعزمت جعل الله الملك فيه وفى عقبه أبديا ، على أن أجمع له تصنيفا يكون ملوكيا أدبيا ، يشتمل على التعريف بنسبه وسلفه الكريم ، وبيان شرفه فى الحديث والقديم ، متبعا بجملة صالحة من مناقب الملوك ومآثرها ، ومحامدها ومفاخرها ، وسيرها وعوائدها ، وجوائزها وفوائدها، ومحاسن شيمها وشرف هممها ، وجميل آرائها وأفعالها ، وكريم تجاوزها واحتمالها، وعزمها وامضائها وحزمها وابقائها (كذا)(14)، مكملا بالحكايات البارعة ، والوصايا النافعة ، والمخاطبات الفائقة ، والاشعار الرائقة ، والنوادر المستغربة ، والأجوبة المستعذبة ، مختتما بحكم تجلو صدى الخواطر ، ومواعظ تبكي النواظر (15) • وقسمته الى خمسة أقسام •• »

ثم قال : « وسميته « نظم الدر والعقيان فى بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الاعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان » • والله تعالى المرجو والمسؤول ، ان يمن علينا فيه بالتمام والقبول ، لا اله غيره ولا مرجو الا خيره ••• »

---

14 ـ فى نسخة باريز (ورقة 2 ظ) انقائها • ولم نجد معنى يناسب السياق فى الكلمتين •

15 ـ فى «ب» و «ج» : الخواطر ، والتصحيح من مخطوط باريز (ورقة 2 ظ) •

الباب الاول في ذكر نسبه الطاهر

وبعد ما ذكر المؤلف أقسام كتابه المختلفة ، شرع فى الباب الأول من « القسم الأول فى التعريف بنسبه (المتوكل) الطاهر وشرفه الباهر ، فقال فى بداية هذا الباب (1) .

« فهو مولانا أبو عبد الله محمد بن محمد ، بن أبى ثابت ، بن أبي تاشفين عبد الرحمن أبي حمو موسى ، بن يوسف بن الاحمر ، بن يحيى ، بن يغمراسن ، بن زيان ، بن ثابت ، بن محمد ، بن زيدان (2) بن يندوكسن (3) بن طاع الله علي بن يمل بن برجي ابن القاسم ، ومن القاسم هذا تنسل جمهور بني عبد الواد ، وهم بنو طاع الله ، وبنو دلول ، وبنو مطهر ، وبنو وعزان ، وبنو معطى ، وبنو حجى . أما بقية بني عبد الواد وهم بنو ياتكتن ، وبنو وللو (4) ، ومصحوجة ، وبنو تومرت ، وبنو ورسطف ، فليسوا من ولد القاسم . ونسبهم فى قيس بن عيلان بن مضر . وانضاف اليهم الزرادلة لان زردال وعابد الواد اخوان وبهم تكمل اثنى عشر قبيلا المعدودة فى عبد الواد ، ستة فى ولد

---

1 - يبدأ هذا النص فى ورقة (2و) من نسخة « 1 » .

2 - فى « ب » : شطبث كلمة زيدان وكتب الناسخ فى الهامش زيان ، وفى « البغية » ج 1، ص 102 ، ابن زجدان . أما فى « العبر » ، ج 7 ص 150 ، فنجد ابن زكدان . وابقينا ما فى « أ » و « ج » .

3 - عند يحيى بن خلدون (المصدر نفسه) : نيكوكسن (بالنون فى البداية) ، وذكر محقق « البغيـة » فى الهامش الرواية الموجـودة فى « أ » و « ب » و « ج » : « يندوكسن » ، أما أخوه عبد الرحمن (المصدر نفسه) فذكر : تيندوكسن (بالتاء فى الاول) .

4 - فى « ب » و « ج » : ولو بلام واحد . ويوافق « أ » ما فى « البغية ، ج1 ، ص 95 وما فى « العبر » ج 7 ، ص 149 .

القاسم ، وخمسة فى ولد عابد الواد ، وواحدة فى ولد زردال أخيه ، وغلب اسم عبد الواد على الجميع » (5) .

والقاسم جد أمير المؤمنين ، اتفق النساب على انه من ولد عبد الله الكامل ، بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، بن أمير المومنين علي بن أبي طالب . ولكن اختلفوا فى طريق اتصاله به ، فقيل انه القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل ، وقيل انه ابن محمد بن ادريس ابن ادريس بن عبد الله وقيل انه ابن محمد بن عبد الله بن ادريس بن ادريس ابن عبد الله . قال صاحب « بغية الرواد » (6) . وهذا القول أشهرها (7) . والذي صححه صاحب « ترجمان العبر » (8) ، أنه القاسم بن محمد ابن أحمد بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل ، واحتج على ذلك بما سنذكره فى الباب السادس من هذا القسم ان شاء الله تعالى — فبان بهذا القول ان القاسم من ولد عبد الله الكامل // بلا خلاف ، وانما الخلاف هل هو ولد ادريس بن عبد الله أو من ولد أخيه سليمان بن عبد الله . وادريس هذا هو الذي تملك المغرب الأقصى وسليمان هو الذي تملك المغرب الأوسط على ما يأتي بيانه ان شاء الله ... »

---

5 — نقص فى ب و ج : انضاف .. الجميع ، واعتمدنا لتحقيق هذه الفقرة على نسخة « أ » وقابلناها بنسخة باريز .

6 — تقدم ذكر هذا الكتاب ومؤلفه يحيى بن خلدون فى الفصل الذي أفردناه لمصادر « نظم الدر » .

7 — قال يحيى بن خلدون (« البغية » ، ج 1 ، ص 101) : « وهو احب الى لاشتهاره واجماع المشيخة عليه » .

8 — تقدم ذكر هذا الكتاب فى الفصل الذي خصصناه لدراسة مصادر التنسي .

الباب السابع فى بيان شرف بني زيان وتتبع دولهم الى دولة مولانا المتوكل فخر الزمان

* * *

استيلاء بني عبد الواد على الحكم

أول من قام بوظيفة الملك ، ونظم درره بعد التفرق فى أوثق سلك ، وأحيى من خلافة آبائه رسما كان دارسا ، وأيقظ من الدولة الحسنية جفنا طال ما كان ناعسا (1) ، الملك الهمام الأسد الضرغام ، فخر الملوك وتاج الأعيان : أمير المسلمين أبو يحيى يغمراسن (2) بن زيان ، نهض فاستولى وحل من تراث آبائه فى الملك ، فكان خليفة الله المرتضى ، وسيف حمايته المنتضى ، شرق بشروق ولايته ملوك المشرق والمغرب ، وتمنى الكون فى اياالته أهل مكة ويثرب ، ولم لا وهو سليل سبطي الرسول ، وثمرة غصني الزهراء فاطمة البتول . بويع فى سابع عشر جمادي الأخيرة من سنة سبع وثلاثين وستمائة (3) .

---

1 ـ يثبت المؤلف فى استهلال هذا الفصل شرف بني عبد الواد ، ويذكر أنهم أحيوا ملك آبائهم العلويين . وقد رأينا سابقا فى الفصل الخامس بمحتوى « نظم الدر » أن المؤلف تدرج فى الأبواب الستة السابقة من الكلام عن العرب ثم عن قريش ثم عن بني هاشم الى أن وصل الى الأدارسة الذين جعل بني عبد الواد من سلالتهم . ربيع كلامنا السابق عن قضية شرف بني زيان فى الفصل الخاص بقيمة « نظم الدر » .

2 ـ انظر فيما يلي تعليقنا رقم 16 ، عن ضبط هذا الاسم .

3 ـ اي فى سنة 1239 ـ 1240 م أما فى « ب » : فى سابع جمادي ، ونجد فى « البغية »، ج1، ص110 ـ 111 ، « بويع يوم وفاة أخيه أبي عزة زيدان المذكور آنفا يوم الأحد الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة » . اي 1236 م . ونجد التاريخ نفسه فى « العبر » ، ج 7 ، ص 162 ، أما ابن الأحمر « روضة النسرين » ، ص 45 ، فقد ذكر أن البيعة كانت سنة 631 هـ / 1233 م .

وكان السبب الموصل الى ذلك أنه لما ضعف أمر بني عبد المومن (4) ، لما كان بينهم من الفرقة ، تطاول بنو عبد الواد الى الاستيلاء على قطر تلمسان ، اذ كانوا بمقربة منه ، فجاسوا خلاله ، وأوجفوا عليه بالخيل والركاب ، واحتاز كل فريق منهم جانبا من القطر ، وأمن أهله على خراج يؤديه اليه كل سنة (5) ، وأمر جميعهم الى كبيرهم جابر بن يوسف بن محمد وهو ابن عم زيان والد أمير المسلمين يغمراسن بن زيان بن ثابت ابن محمد •

ولاية جـــابر بن يوسف

وكان الوالي اذ // ذلك بتلمسان أبا سعيد عثمان بن يعقوب المنصور لأخيه المامون ادريس بن المنصور (6) • فاحتال على جماعة من رؤساء بني عبد الواد فأخذهم واعتقلهم • فبعد مدة شفع فيهـم أحـد (7) لمتونة (8) الكائنين بتلمسان ، فردت شفاعته فأنف وجمع قومه وهجم عليهم ، وسرحهم وانتقل الأمير أبا سعيد موضعهم ، وخلع طاعة بني عبد المومن ، وتطاول لاحياء الدولة اللمتونية ، (9) فسولت له نفسه أن ذلك

4 ـ بنو عبد المومن أو المومنيون : اسم للخلفاء الموحدين أصحاب مراكش ، هذا وقد أطلق أمراء بني حفص بافريقية على أنفسهم اسم الموحدين ، ونهج نهجهم هذا بعض المؤرخين •

5 ـ استوطن بنو عبد الواد ناحية تلمسان حسبما فى « البغية » (ج 1 ، ص 104) فى العشر الثاني من المائة السادسة ، بعد ما قضوا مدة من الزمان فى الصحـــراء يعيشون عيشة الرحل ، راجع عن هذا الموضوع « العبر » (ج 7 ، ص 159) •

6 ـ تولى الخليفة الموحدي ادريس المامون : الحكم من سنة 624 هـ / 1227 م الى سنة 630 هـ / 1232 م •

7 ـ اسمه حسب « البغية » (ج 1 ، ص 106) و « العبر » (ج 7 ، ص 152) ابراهيم ابن اسماعيل بن علان الصنهاجي •

8 ـ لمتونة ، قبيلة صنهاجية منها يوسف بن تاشفين مؤسس الدولة المرابطية أو اللمتونية ، ويدعى المرابطون أيضا بالملثمين •

9 ـ كانت حينذاك نار فتنة ابن غانية مضطرمة فى الناحية الشرقية من المغرب الأوسط • فمما قال ابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 152) ، عن الحادث : « وشفع ـ ابن علان ـ عندهم فى المشيخة المعتقلين من بني عبد الواد ، فردوه ، فغضب وحمى أنفه ، وأجمع الانتقاض والقيام بدعوة ابن غانية » •

لا يتأتى له الا اذا قرض كبار بني عبد الواد ، فبعث الى جابر بن يوسف وأكابر قومه ، وطلبهم فى حضور وليمة عنده ، فجاؤوه رعيا لما صنع بهم ، فلما قربوا من البلد ، نمى اليهم ما عزم عليه ، فتوقفوا خارج البلد يأتسرون ، واذا هو قد بلغه قدومهم ، فخرج اليهم مسرعا ليدخلهم البلد ، فما دبروا أحسن من القبض عليه ، فأخذوه مع ثمانية من أصحابه ، وشدوهم وثاقا ، ودخل جابر وقومه البلد فى الحين بدعوة ادريس المامون (10) • وضبط أمرها وبعث بذلك الى المامون ، فقنع منه بالخطبة والسكة ، فاستولى على أحواز تلمسان وعلى بني راشد (11) وعلى حواضر ذلك القطر سوى ندرومة (*) ، فزحف الى حصارها ، فهلك هنالك بسهم أصابه من داخلها لثلاث من أمرته (12) •

فولى ابنه الحسن بن جابر ستة أشهر ثم خلع نفسه لعمه عثمان لكبر سنه فأساء المملكة ، فأخرج من تلمسان ، واتفق بنو عبد الواد على تقديم أبى عزة زيدان بن زيان (13) ، فاستولى على تلمسان وأعمالها ، فنكث عنه بنو مطهر (14) ، وظاهرهم بنو راشد ، فكانت بينه وبينهم حروب قتل فى بعضها فحينئذ قدم بنو عبد الواد أخاه أمير المسلمين (15) // 132 يغمراسن بن زيان وبايعوه بيعة الملك المستقل وخلعوا بني عبد المؤمن •

---

10 – وقع استيلاء جابر على تلمسان ، حسبما فى « البغية » (ج 1 ، ص 106 – 107) فى سنة 627 هـ / 1229 – 30 م • وقد لاحظنا تشابها كبيرا فى المعنى وفي اللفظ أيضا بين النصين الخاصين بهذه الأحداث فى « نظم الدر » و « البغية » وقد أشرنا الى ذلك فى الفصل السابق الخاص بمصادر كتاب التنسي •

11 – بنو راشد : بطن من قبيلة زناتة ومن أبناء عمومة بني عبد الواد ، وقد كانوا قاطنين بالصحراء ثم استوطنوا الجبال الموجودة شرقي تلمسان وقد جاء فى « العبر » (ج 7 ، ص 315) بأنهم « لم يزالوا أحلافا لبني عبد الواد ومن جملتهم ، فكانت أخبارهم من أخبارهم » •

12 – أي فى سنة 629 هـ / 1231 – 1232 م •

13 – فى « البغية » (ج 1 ص 108) ما عند التنسي اما فى « العبر » (ج 7 ،ص 153) زكران بن زيان بن ثابت الملقب بأبي عزة •

14 – بنو مطهر من زناتة أيضا ومن أبناء عمومة بني عبد الواد . راجع « العبر » (ج 7 ، ص 149 – 150) •

15 – نقص فى « ب » و « ج » ، أمير المسلمين •

دولة يغمراسن بن زيان (16)

فلما بويع أمير المسلمين يغمراسن بن زيان ، أوضح للخلافة الحسنية الآثار ، ورفع لمن ضل عن سبيل هداها أعلى منار ، فابتهج الدهر بوجوده ، وأشرق من فلك اليمن نجم سعوده ، وأخضر للملك ما كان قد ذبل من عوده ، وأنجز الزمان للبيت النبوي ما كان يكثر التسويف بـه مـن موعوده ، فظهرت به أبهة الخلافة فى بيته ، واستعمل ما يورث الملك كمالا وجمالا فى هديه وسمته فانتخب الوزراء والحجاب ، وانتقى القواد ، والكتاب ، ونازعه بنو مطهر وبنو راشد ، فأظهره الله علىَ الجميع •

---

16 – تولى يغمراسن بن زيان الحكم من سنة 633 هـ / 1236 م الى سنة 681 هـ / 1283 م . وان هذا الاسم مازيغي الأصل الا أنه اختلف فى نطقه ، ومحل الخلاف فى شكل الغين . فذكر ابن تاويت الطنجي (التعريف بابن خلدون ، ص 152) . ان مؤلف كتاب العبر قد ضبط هذا الاسم فى أغلب الاحيان بياء فغين مفتوحة تتبعهما ميم ساكنة فراء مفتوحة تليها سين مفتوحة فنون ساكنة (يغمراسن) ، ويؤكد هذا النطق الشكل الذي جرى عليه صاحب النسخة الخطية التي اعتمدناها أصلا لتحقيق هذا الكتاب ، ولها من الجودة ما ذكرناه فى محله عند وصفنا للنسخ الخطية التي اعتمدناها .

أما الشكل الذي جرى عليه المؤرخون الغربيون فهو كالتالي : ياء مفتوحة تليها غين ساكنة فميم مضمونة ، ولا نعلم من أين استخرج أولائك المؤرخون ضبطهم •

وحتى نطمئن الى نطق صحيح رجعنا الى صديقنا الاستاذ مبارك أمازوز لما له من دراية وباع فى اللغة المازيغية ، فسألناه عن النطق من حيث اللغة ، فقال : ان هذا العلم ينبغي أن نشكله وننطق به بألف مكسورة فى أول الكلمة عوضا عن الباء وضم العين ثم تسكين الميم (اغمراسن) .

واعتمد الاستاذ على دليل لغوي وذلك ان الكلمة حسبما ذكر تأتي قياسيا فى اللغة المازيغية على وزن افعلالن (ألف مكسورة وفاء مضمونة الخ) وهي صيغة جمع ومفردها افعلال (بفتح الالف وضم الفاء ثم تسكين العين) . ولدينا أمثلة من هـذا الوزن معروفة حتى عند من ليس له المام كبير باللسان المازيغي ، مثلا : أمقـران (بمعنى كبير) فجمعه امقرانن (بميم مضمومة) وكذلك أغصمار (بمعنى الفك) فجمعه : اغصمارن .

وبالاضافة الى هذا الدليل اللغوي ، احتج الاستاذ أمازوز بالنطق الحـالي فى الجزائر ، خاصة فى بلدية يسر بولاية تيزي وزو حيث توجد قبيلة بأكملها تحمل هذا الاسم الذي ينطق به بغين مضمومة ونجد النطق نفسه فى تونس الشقيقة حيث تحمل بعض الأسر هذا الاسم .

أما فى تلمسان حيث ما زال أهل عاصمة بني زيان يطلقون هذا الاسم على أولادهم ، فاننا نجد النطقين ، فبعضهم يستعملونه بغين مفتوحة وآلآخرون بغين مضمومة الا أن جميعهم يحذفون الياء من أول الاسم . ونجد الظاهرة نفسها عند الشعراء (أنظر مثلا تعليقنا رقم 74) ، ولعل هذا الاستعمال فى الحالتين من باب التخفيف .

وفى الختام نقترح نتيجة لكلامنا السابق أن يكون نطق هذا العلم الذي يحمله مؤسس الدولة الزيانية بغين مضمومة تتبعها ميم ساكنة مع الاحتفاظ بالياء فى البداية لأن كل المؤرخين القدامى استعملوا الاسم بالياء (يغمراسن) .

وكان استقلاله بالملك فى أيام الرشيد عبد الواحد بن ادريس المامون (17) فبعث اليه الرشيد بهدية عظيمة مؤملا ما كان ممن قبله من الخطبة لهم (18) فلم يجبه الى ذلك (19) ، وأظهر كل واحد عداوة الآخر • فهم الرشيد بالتحرك نحوه ، فعاجلته منيته • فتولى الأمر أخوه السعيد بن المامون (20)

ثم اتفق أن بعث الأمير أبو زكرياء بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي (21) هدية (22) الى السعيد ، حين ظن أنه استوسق (23) له ملك المغرب ، فتعرض لها أمير المسلمين يغمراسن وأخذها ، فانتظر الأمير أبو زكرياء انتصار السعيد لنفسه فى ذلك . فلم يكن منه الى ذلك نهوض ، فخلع حينئذ طاعته واستقل بنفسه (24) •

---

17 – تولى الخليفة الموحدي الرشيد الحكم من سنة 630 هـ / 1232 م الى سنة 640 هـ / 1242 م •

18 – لهم : اي الموحدين •

19 – لم يذكر الأخوان يحيى وعبد الرحمن بن خلدون أن يغمراسن قطع كل علاقة مع الخليفة الموحدي بمراكش ، قال ابن خلدون (« العبر » ج 6 ، ص 162 – 163) « ومحا – يغمراسن – آثار الدولة المومنية ، وعطل من الأمر والنهي دستها ، ولم يترك من رسوم دولتهم والقاب ملكهم الا الدعاء على منابره للخليفة بمراكش » وجاء فى « البغية » ج 1 ، ص 112 وفى « العبر » (ج 7 ، ص 164 – 165) أن تقرب خليفة مراكش من الأمير الزياني واتحافه بالهدايا هو الذي أحفظ الأمير أبا زكريا الحفصي المستقل بحكم افريقية . ومما ورد فى « العبر ، ج 7 ، ص 164 ، عن توطد العلاقات بين تلمسان ومراكش : « وقال يغمراسن منذ تقلد طاعة آل عبد المومن أقام دعوتهم بعلمه متحيزا اليهم سلما لوليهم وحربا على عدوهم » . وقد ذكر ابن خلدون (المصدر نفسه) أن سبب تقاربهما هذا ، هو اتفاقهما على عداوة بني مرين الذين كانوا خطرا على كلتا الدولتين . وكان هذا التحالف بين الخليفة بمراكش والحكم الجديد بالمغرب الأوسط هو الحافز الحقيقي للامير الحفصي لينازل تلمسان سنة 645 هـ / 1247 – 1248 م حسبما سيذكره المؤلف فيما يلي .

20 – تولى الخليفة الموحدي السعيد الحكم من سنة 640 هـ / 1242 م الى سنة 646 هـ / 1248 م • وهو الذي لقي حتفه فى معركة ضد جيش يغمراسن كما سنرى .

21 – ابو زكرياء : مؤسس الدولة الحفصية بتونس ، انظر فيما يلي تعليقنا رقم 47 .

22 – لم يذكر غير التنسي على ما نظن ، خبر هذه الهدية .

23 – فى « ب » : استوثق ، والصحيح والأليق ما فى « أ » و « ج » لأن استوثق الأمر : انتظم ، واستوسق له الأمر : تمكن منه .

24 – من المعروف عند جل المؤرخين أن أبا زكرياء كان قد استبد بالحكم تدريجيا ، فنبذ طاعة صاحب مراكش سنة 625 هـ / 1228 م ، ثم أسقط اسم الخليفة الموحدي من الخطبة سنة 627 هـ / 1229 م ، واقتصر على الدعاء على المنابر للخلفاء الراشدين وللمهدي • وفى سنة 634 هـ / 1236 – 1237 م ، استبد بالأمر وعقد البيعة لنفسه ، وذلك فى عهد الرشيد وليس فى عهد أخيه وخلفه السعيد كما قال التنسي . راجع على الخصوص « العبر » (ج 6 ، ص 594 – 595) .

مهاجمة أبي زكـريا لتلمسان

وجهز هو جيوشا من عرب افريقيا وغيرهم ، وتحرك الى تلمسان ، فنزلها سنة خمس وأربعين (25) بجيوش يضيق عنها الفضا فيها ثلاثون ألف رام (26) . وقسم قبائل جيوشه على مسافتها ، وأمر رماته بالرمي دفعة واحدة . فكان الهر على صغر جرمه تجييء فيه العشرون سهمـا وأزيد ، فهال ذلك أهل البلد من الجند وغيرهم ، فسأل أمير المسلمين يغمراسن عن أهل كل مسافة // 133 فأخبر أن « باب علي » (27) تولاها العرب ، فالتف فيمن معه من الجند وخرج وحرمه وماله بين يديه ، من « باب علي » فأفرج له العرب ، لما علموا من بأسه (28) وصعد الى جبل ورنيد (29) . فدخل أبو زكرياء البلد ، فعرض ولايتها على جميع

25 — تحرك أبو زكريا الى تلمسان فى عهد الرشيد سنة 639 هـ / 1241 — 42 م على ما جاء فى « العبر » (ج 7 ، ص 165) وفى « تاريخ الدولتين » (ص 21) . امـا فى « البغية » ، ج 1 ، ص 113 ، تحرك سنة 640 هـ / 1242 م . بينما انفرد التنسي بتحديد منزلة تلمسان فى سنة 645 هـ / 1247 — 1248 م .

26 — فى « البغية » (ج 1 ، ص 113) وبعسكره اثني عشر الف رام مترجلة سوى الركبان وفى « تاريخ الدولتين » (ص 21) « فى جيش جملته أربعة وستون الفا من الفرسان » أما فى « العبر » (ج 7 ، ص 165) فنجد : ونهض ... فى عساكر ضخمة وجيوش وافرة » .

27 — فى « البغية » (ج 1 ، ص 112) وفى « العبر » (ج 7 ، ص 166) « قصد باب العقبة » . ولا يشير هذان الاسمان الى باب واحد . بل ان « باب العقبة » كان فى أكادير (*) وهو اسم لمدينة بجنب تلمسان فى الشمال الشرقي منا سبقت عاصمة بني زيان كما هو معروف . وقد انهارت بقايا الباب فى أواخر القرن الميلادي الماضي. راجع :
W. et G. MARÇAIS, *Les Monuments arabes de Tlemcen*, p. 14 et p. 123-124.
أما « باب علي » ولعله هو الذي سمي فيما بعد « بباب الزاوية » « وباب سيدي الحلوي » كذلك ، فكان موقعه شمال تلمسان ، انظر فى آخر هذا الكتاب « المخطط التقريبي لتلمسان فى القرن التاسع » . ومايزال حي بتلمسان يعرف باسم باب علي ، ويقع أيضا شمال المدينة ، على مقربة من الموقع المحتمل « لباب علي » القديم .

28 — فى « العبر » (ج 7 ، ص 166) « واعترضته عساكر الموحدين ، فصمم نحوهم وجندل بعض أبطالهم فافرجوا له »

29 — فى « أ » ورنيد ، والصحيح : ورنيد من « ب » و « ج » : ومن عبد الرحمن بن خلدون الذي ذكر هذا الاسم عدة مرات (راجع على الخصوص « العبر » ، ج 7 ، ص 109) وكذلك من النطقالمحلي اليوم . وورنيد اسم لبطن من بطون زناتة ، ومازال بنو ورنيد قاطنين جنوب تلمسان فى الجبل الذي كانوا نازلين به فى زمن هذه الأحداث . وقال ابن خلدون (« العبر » ج 7 ، ص 166) : ان يغمراسن « لحق بالصحراء » ولم يقل أنه التجأ الى جبل بني ورنيد . اما أخوه يحيى (« البغية » ، ج 1 ، ص 112) فقال : « انحاز الى جبل بني يزناس ، وقيل الى ترنى من جبل بني ورنيد » .

خواصه ، فامتنعوا منها خوفا من أمير المسلمين يغمراسن • فقال حينئذ « ليس لها الا صاحبها » ، فبعث اليه بالصلح ، والرجوع الى موضعه (30) فأخلى له وعقدا بينهما صلحا ، تعاقدا فيه على عداوة بني عبد المومن • وأقطعه بلادا من افريقية جبايتها مائة ألف دينارا اعانة على موافقة بني عبد المومن (31) • فكانت له ولعقبه تأتيهم تلك الجباية كل سنة ، لم يقطعها الا موت الملك أبي تاشفين واستيلاء بني مرين (32) • فلما انصرف الأمير أبو زكرياء ، أقام في طريقه ملوكا من تجين ومغراوة ومليكش (33) جعلهم أسوارا حاجزة بينه وبين أمير المسلمين يغمراسن •

مهاجمة السعيد لتلمسان

فلما بلغ السعيد ما وقع بينهما وما تعاقدا عليه ، أقسم أن لابد له من الاستيلاء على مملكتهما جميعا • فنهض من مراكش في بحار زاخرة من الجيوش ، وانقادت بنو مرين وأعطوه رهائنهم وساعدوه بالتحرك معه ؛ فلما سمع أمير المسلمين يغمراسن بما هو عليه من القوة خرج منحازا (34) الى حصن تامزيزديت (35) ، فاعتمد السعيد حصاره في الموضع المذكور،

---

30 ـ قال ابن خلدون (المصدر نفسه) : « وخاطب يغمراسن خلال ذلك الامير أبا زكريا راغبا في القيام بدعوته بتلمسان ، فراجعه بالاسعاف واتصال اليد على صاحب مراكش » .

31 ـ نقص في « ب » : « واقطعه ... بن عبد المومن » .

32 ـ استولى السلطان أبو الحسن المريني على تلمسان وقتل ملكها أبا تاشفين بن أبي حمو سنة 737 هـ / 1337 م ، كما سنرى في محله .

33 ـ توجين ، كتبها عبد الرحمن بن خلدون كذا بالواو ، أما عند أخيه يحيى فالكلمة من دون واو أيضا كما هي عند التنسي . وتوجين ومغراوة ، ومليكش من بطون صنهاجة : قال ابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 135) : ولما قفل (أبو زكريا) الى الحضرة عقد مرجعه لأمراء زناتة كل على قومه ووطنه .

34 ـ في « ب » و « ج » : مجتازا ، والأنسب للمعنى ما في « أ » .

35 ـ قال ابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 19) ، « قلعة تامززدكت قبلة وجدة » وقال أخوه يحيى (« البغية »، ج 1 ، ص 169) : « جبل تامزردكت بمجاورة جنوب وجدة » . واختلف المؤرخون في كيفية هذه الكلمة . ونجد أيضا في « العبر » (ج 7 ، ص 522) ، أن أبا تاشفين بن أبي حمو « ابتنى بوادي بجاية (*) من أعلاه حصن بكر ثم حصن تيمزيزدكت يليه . ثم اختط بتيكلات على مرحلة منها بلدا سماه تيمزيزدكت على اسم المعقل الذي كان لأوليهم بالجبل قبالة (هكذا في الطبعة اللبنانية

فنزل بوادي ايسلي (*) وطلب منه الدخول فى طاعته والتزم الخطبة والسكة ، فأبي من ذلك • فزحف اليه السعيد بجيوشه حتى تعاقوا بالجبل ، والسعيد نفسه يحرضهم • فتعرض اليه أمير المسلمين بمن معه من قبيلة وغيرهم، فمنحهم الله النصر عليهم ، وقتل//134 السعيد على يدي يوسف بن خزرون (36) ، وأتى أمير المؤمنين برأسه فأدخله على أمه ، وكانت أمرته بطاعة السعيد ، فأقسم لها أن يأتيها برأسه ، فأبر الله قسمه ، وذلك فى يوم الثلاثاء منسلخ صفر سنة ست وأربعين وست مائة (37) •

وكان الوزير أبو علي الحسن بن خلاص (38) صاحب سبتة (*) ، قد خلع دعوة السعيد ، ودعا لأمير المسلمين يغمراسن • فلما توجه السعيد نحو تلمسان أرصد الطلائع لتحسس (39) الأخبار فوافاه البشير يوم الأحد سادس يوم الوقيعة ، فأصبح شاعره يوم الاثنين بقصيدة يقول فيها :

بشرى بعاجـل فتـح أوجب العرسـا
وأسفـر الدهـر عنـه بعد ما عبسا (40)

والصواب قبلة) وجدة » (*) • اما الحسن الوزان J.-L. L'AFRICAIN, *Description de l'Afrique*, tome II, p. 326.

(*) فسماه تمزكزت وذكر انه حصن موجود بين صحراء انكاد وناحية تلمسان ، وقد تم بناؤه قديما على هضبة صخرية ، وقد مكنت هذه المعلومات والارشادات كلها الباحثين من أن يحددوا موقع حصن تامزردكت ، فذكروا انه كان على بعد نحو 20 كلم جنوب وجدة (*) على الكدية المسماة اليوم بجبل المحصر ، راجع: L. VOINOT, *Oujda et l'Amalat*, p. 243 et 256. Colonel G. SAMUEL, *Une Enigme : le Jebel Mahseur*, in Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc, n° 4-5, 1972-73, p. 21-36.

36 ـ لم نتوصل لمعرفة هذا الشخص ويسميه ابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 169) ، يوسف بن عبد المومن الشيطان .

37 ـ « البغية (ج 1 ، ص 113) : « فى يوم الثلاثاء عاشر صفر » . أما أخـوه عبد الرحمن فى « العبر » (ج 6 ، ص 541) : فلم يذكر تاريخ اليوم من شهر صفر . ووافق ابن أبي زرع (« روض القرطاس ، ص 185) التاريخ الوارد عند التنسي .

38 ـ عين الخليفة الموحدي الرشيد ، أبا علي بن خلاص واليا على سبتة ، ولما استفحل أمر أبي زكريا الحفصي سنة 640 هـ / 1242 م واستولى على تلمسان ، بايعه ابن خلاص . راجع أخباره فى « العبر » (ج 6 ، ص 614 ـ 615) .

39 ـ فى « ب » و « ج » : لتجسس ، والأليق ما فى « أ » لأن تحسس : تسمع وتبصر ، وتحسس الخبر : سعى فى ادراكه .

40 ـ هذا البيت ناقص فى « ب » و « ج » . والقصيدة من البحر البسيط ولم نتمكن من معرفة قائلها .

فتــح توقفت الأذهـــان ذاهلـــة
في كنه ما لم يخله حادس (41) حدسا

فتح تبجست (42) الأنــواء صادقـــة
بودقه ومحت (43) أنواره الغلســا (44)

فتح تفتــح بــاب السعــد عــن كثب
عنه وأنجز فيــه اليمــن مــا التمســا

فتح جرى في الورى مجرى الحياة فقــد
سرى فمازج منــا النفــس والنفســا

فتح أعاد شبــاب الديــن مــن هــرم
وقــاد جامح دهر طــال مــا شرســا

فماس دالف (45) ذا وانقاد مصعب ذا
من بعد ما قد عتا هــذا وذاك عســا

ويل الغــوي لقــد شالت نعامتـــه
وحان اذ حــان أمــر الله وابتأســا

فمــد للحتف قدمــا لا يعــوج عــلى
رسم ورسم هــداه للــردى طمســا

---

41 ــ في « ب » : حاسر ، والمناسب للمعنى ما في « أ » و « ج » .

42 ــ في « ب » : تبحست (بالحاء) ، والأليق ما في « أ » و « ج » لأن انبجس وتبجس الماء : انفجر وتفجر .

43 ــ في « ب » : ضحت و في « ج » : صحت ، والأنسب للمعنى ما في « أ » .

44 ــ في « ج » : العلسا (بالعين المهملة) ، والصحيح والأنسب للمعنى ما في « أ » و « ب » لأن الغلس : ظلمة آخر الليل كما هو معروف .

45 ــ في « ج » : ذالف (بالذال المعجمة) ، والصحيح ما في « أ » و « ب » لأن دلف (بالدال المهملة) مشى كالمقيد وقارب الخطو في مشيه . وهي تطابق الكلمة السابقة ، يقال ماس الرجل : مشى وهو يتمايل ويتبختر .

يا ويحــه راكبــا للحتف كودنــه (46)
والنصر أرســل فى أعقابــه الفرســـا

لم يــدر والدين بالأدجال (47) يطلبه
أن الحمــام يناديـــه صبــاح مســـا

دعتــه تربتـــه فاحتلهـــا تربـــــا
من الذخائــر الا اللــوم والدنســـا

مضى كفرعون خــاض اليــم متخــذا
للحتــف فيــه طريقــا ظنهــا يبســـا

رجــا تلمســـان أن تغــدو فريستــه
فثل (48) من دونها للوجه وافترســـا

بوجدة (*) ظــل نهبا وجده وأســـا
بذاك (49) للدين وجدا أهلــه وأســـا

بتامززديت (50) قــــد تمت مزادتـــه
وأوجس الغور فيهــا مــاؤه وجســـا

فســن غمرته غمــراسن (51) وســطا
برحابه أي قرن اذ سطى وطسا // 135

46 ــ فى « أ » : دوكنه وفى « ب » : كردونه وفى « ج » : كردنه . والسياق يقتضي القراءة التي ذهبنا اليها حسبما ارتأينا . لأن الكودن والكودني : الفرس الهجين والفيل والبغل .

47 ــ فى « ب »و « ج» : الاخلال ، والأنسب للمعنى ما فى « أ » لأن الدحل ج ذحول وأحال : الثأر . تقول « لي عندهم ذحول » أي ثأر .

48 ــ فى « ج » : فتل بالتاء المثناة ، والصحيح ما فى « أ » و « ب » لأن ثل القوم : أهلكهم . ويقال : ثل الله عرشهم : هدم ملكهم .

49 ــ فى كل النسخ : بذلك . وهذه الكلمة لا توافق الوزن فصححناها .

50 ــ انظر تعليقنا السابق عن قلعة تامززدكت رقم 35 .

51 ــ غمراسن : يعني السلطان يغمراسن ، انظر عن ضبط هذا الاسم تعليقنا السابق رقم 16 .

لما انتحى قلعه عن سفح قلعته
أهدى لفحمته (52) من رمحه قبسا

كالكوكب انقض فى جنح الدجى فرمى
شيطان غي سماء العز قد لمسا

رام استراق سماع فى سماء علا
لم يدر أن ذراها (53) ملئت حرسا

فخر منعفرا (54) للخد أسلمه
أشياعه وانبرى كل ليملسا (55)

لله أي زكي لا يخيس له
عهد غدا طعنه فيه زكا (56) وخسا

جالت هنالك خيل الله معملة
عزائما تقطف الخطية الدعسا

من كل مدرع بالحزم مترس
بالعزم لم يدر لا درعا ولا ترسا

وهي طويلة انتخبنا منها ما يليق //136 بغرضنا وهو لبابها وتركنا ما سوى ذلك .

---

52 ـ فى « ب » : للمحبة و فى « ج » للمجته ، والصحيح ما فى « أ » لأنه يقال : فحمة الليل : أشد سواده .

53 ـ فى « أ » : دراها (بدال مهملة ومفتوحة) وفى « ج » : ذراها (بدال معجمة) . فى « ب » : شطب كلمة دراها وكتب بالهامش بخط مخالف لخط الناسخ : ذراها (بالذال المعجمة) ورجحنا أنه الصواب لأن الذري بالذال المفتوحة : الملجأ وكل ما استترت به . ويجوز أن تكون الكلمة بذال مضمومة أو مكسورة فتصبح جمعا لذروة ومعناها معروف : المكان المرتفع .

54 ـ فى « ب » و « ج » : فجر منعفر : والأنسب للمعنى ما فى « أ » لأن السياق يقتضي فخر منعفرا . وانعفر فى التراب : تمرغ فيه .

55 ـ فى « ب » : ليلتمسا و فى « ج » ، ليمتلسا ، والأنسب للوزن والمعنى ما فى « أ » أي ليملسا بتشديد الميم ، لأن املس وانملس من الأمر : افلت وتخلص .

56 ـ فى « أ » : زكى بالألف المقصورة و فى « ج » : زكا . والسياق يقتضي زكا وخسا لأن الزكا الزوج من العدد والخسا الفرد .

مصحف عثمان بن عفان

فلما استولى أمير المسلمين على محلة السعيد (57) برمتها ، علت يده ، وضخم ملكه ، وبعد صيته ، والملك بيد الله يوتيه من يشاء والعاقبة للمتقين •

وكان من جملة الذخائر (58) التي ظفر بها هنالك العقد اليتيم (59) وغدار زمرد ، و « مصحف عثمان بن عفان » رضي الله عنه الذي خطه بيمينه وكان بين يديه حين استشهد ، وقطر دمه منه على قوله تعالى : « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » وعلى قوله : « فعقروا الناقة » (60) •

وكان هذا « المصحف » صار بعد موت عثمان رضي الله عنه ، الى بني أمية أيام تملكهم • فلما قام عليهم بنو العباس واستولوا على الملك ، وقتلوهم في كل موضع ، فر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الى المغرب ، فدخل الأندلس واستولى عليها ، فكانت شقيقته أم الأصبع تبعث بدخائر (61) قومه من الشام شيئا اثر شيء ، فكان من جملة ما بعثت به اليه « المصحف العثماني » ، فأوقفه عبد الرحمن بجامع قرطبة • وكان الامام يقرأ فيه بعد صلاة الصبح في كل يوم الى أن استولى عبد المومن بن علي على الأندلس ، فنقله الى حضرة ملكه مراكش ، فأزال غشاءه الذي كان جلد ، وغشاه بلوحين عليهما صفائح الذهب ، نظم في مواضع منها لآلىء (62) نفيسة ، وأحجار ياقوت وزمرد

57 ـ في « ب » : الأمير ، مكان « السيد » .

58 ـ في « أ » : الدخائر ، والصحيح ما في « ب » و « ج » . لأن فعلها ذخر غير أنهم يقولون اذخر وادخر .

59 ـ قال ابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 170) : « العدد المنتظم من خرزات الياقوت الفاخرة والدرر ، المشتمل على مئين متعددة من حصائه يسمى بالشعبان » .

60 ـ نقص في « : » و « ج » : « وهو السميع العليم » والزيادة من « ب » والآية الأولى من سورة « البقرة » ورقمها 137 ، والثانية من سورة « الأعراف » ورقمها 77.

61 ـ في « أ » : دخائر (بالدال المهملة) . انظر تعليقنا السابق رقم 81 .

62 ـ نقص في « ب » و « ج » : لآلىء .

من أرفع ما كان عنده ، واقتفى أثره فى ذلك بنوه فمـا زالوا (63) يتأنقون فى زيادة الجواهر وفاخر (64) الأحجار ، حتى استوعبوا دفتيه بذلك .

وكانوا يحضرونه فى مجالسهم فى ليالي رمضان ، يباشرون القراءة فيه ، ويستصحبونه فى حركاتهم متبركين به ، ولهم فى ذلك ترتيب حسن ، // 137 وذلك أنهم في سفرهم أول ما يتقدم بين يدي (65) الأمير ، راية عظيمة بيضاء على أطول ما يكون من العصي ، ويتلوها « المصحف » الكريم ، محمولا على أضخم بختي ، يوجد مجعولا فى قبة حرير مربعة ، بأعلاها جامور أبدع ما يكون ، فى رأس ركن من أركان القبة ، راية عظيمة تخفق بأقل ريح ، ولو لم يكن الا حركة الجمل فى سيره ، ويتلوها بغل من أفره (66) البغال ، يحمل ربعه كبيرة مربعة مغشاة بحرير ، ضمنت « الموطـأ » و « البخاري » و « مسلما » و « الترمذي » و « النسائي » و « أبا داود » ، ويليها الأمير فى صدر الجيش والعساكر خلفه ، وعن يمنه ويساره ، فلما كانت وقعة السعيد ، انتهب « المصحف » الكريم فى جملة ما انتهب ، فأخذ ما عليه من الحيلية الموجبة لغـنى الدهر ، وطرح عاريا ، فوجده رجل ، ودخل به تلمسان ، وهو غير عالم بمقداره ، وعرضه للبيع ، فكان السمسار ينادي عليه بسوق بيع الكتب (67) ، بسبعة عشر درهما ، فرآه بعض من يعرفه ، فأسرع الى أمير المسلمين يغمراسن ، وعرفه به ، فبادر بالأمر بأخذه ، وأمر بصونه ، والاحتياط عليه ، والقيام بحقه . فكان المرتضى (68) متولي مراكش

---

63 ـ نقص فى « ب » و « ج » : فما زالوا .

64 ـ نقص فى « ب » و « ج » : فاخر .

65 ـ فى « ب » و « ج » : بيدي ، والصحيح ما فى « أ » .

66 ـ فى « ب » و « ج » : ابدع ، ومع أن الكلمة . قد تجوز ابقينا ما فى « أ » .

67 ـ يبين لنا هذا الخبر أن سوقا لبيع الكتب بالمزاد كانت موجودة بتلمسان على غرار المدن الاسلامية القديمة الأخرى . ومما لاشك فيه أنه عنى الدلال بقوله السمسار .

68 ـ تولى الخليفة الموحدي المرتضي : الحكم بعد السعيد من سنة 646 هـ / 1249 م الى سنة 665 هـ / 1266 م .

بعد السعيد ، والمستنصر (69) صاحب تونس ، وابن الأحمر (70) صاحب الأندلس ، يطيلون البحث عليه ، ويكثرون الحرص فى تحصيله ، حتى ماتوا كلهم متأسفين عليه وبقي بعدهم فى يد من اختاره الله له ، اذ هم أهل البيت الذين أنزل عليهم ، فكانوا يتوارثونه • قلت ولم نجد له فى وقتنا هذا خبرا ، والغالب على أن سبب ذهابه استيلاء بني مرين على تلمسان ، والله (71) أعلم (72) •

عبقرية السلطان يغمراسن

وكان دينا فاضلا ، محبا فى الخير وأهله // 138 ، وهو بنى الصومعتين بالجامعين الأعظمين من آجادير (*) (73) وتاجرارت (*) (74) ، وهي تلمسان الحديثة • وسئل أن يأمر بكتب اسمه فيها (75) ، فأبى وقال : « علم ذلك عند ربي » (76) •

---

69 – تولى الأمير الحفصي المستنصر الحكم من سنة 647 هـ / 1249 م الى سنة 675 هـ / 1277 م •

70 – ابن الأحمر : يعني ابا عبد الله محمد الغالب من بني الأحمر (ويسمون أيضا بني نصر) ملوك غرناطة ، الذي تولى الحكم من سنة 629 هـ / 1232 م الى سنة 671 هـ / 1273 م •

71 – زيادة فى « ب » و « ج » : « تعالى » فقال : « والله تعالى أعلم » ، وفضلنا الاحتفاظ بما فى « أ » .

72 – قال ابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 170) : « ... مصحف عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، يزعمون أنه أحد المصاحف التي انتسخت لعهد خلافته ، وأنه كان فى خزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل ، حتى صار فى ذخائر لمتونة فيما صار اليهم من ذخائر ملوك الطوائف بالأندلس ، ثم الى ذخائر الموحدين من خزائن لمتونة ، وهو لهذا العهد فى خزائن بني مرين بفاس فيما استولوا عليه من ذخيرة آل زيان حين غلبهم اياهم على تلمسان ، واقتحامها عنوة على ملكها منهم عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن فريسة السلطان أبي الحسن ، مقتحما غلابا سنة سبع وثلاثين (وسبعمائة) » • راجع أيضا عن الموضوع المراكشي «المعجب» ص 253 •

73 – فى « ج » : أجادير بجيم مثلثة من تحت ، وتكتب أيضا بالكاف •

74 – فى « ب » و « ج » : تاجراوت بجيم مثلثة تحت وتكتب أيضا بالكاف •

75 – فى « ب » : سئل أن يكتب اسمه فيها والصحيح ما فى « أ » و « ج » •

76 – قال يحيى بن خلدون (« البغية » ، ج 1 ، ص 116) ، ولقد استؤذن فى كتب اسمه بهما ، فقال بالزناتية : « يسنت ربي » أي علمه الله .

وكان كثيرا ما يجالس الصلحاء ، ويكثر من زيارتهم ، وارتحل لزيارة الولي الشهير أبي البيان واضح (77) فى موضعه بجبل آفرشان (78) ملتمسا بركته ، والدعاء له ولعقبه • وله فى أهل العلم رغبة عالية ، يبحث عليهم أين ما كانوا ، ويستقدمهم الى بلده ويقابلهم بما هم أهله ، ومن أعلم من كان فى زمانه أبو اسحاق ابراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي (79) كانت الفتاوي تأتيه من افريقية وتلمسان الى تنس (*) ، فكان أمير المسلمين يغمراسن يكاتبه كثيرا ، ويرغبه فى سكنى تلمسان • ويمتنع الى أن نشأت فتنة مغراوة (80) فورد مرة على تلمسان ، فكان يجتمع اليه فقهاؤها ، ويأخذون عنه العلم • فبلغ خبره أمير المسلمين • فركب بنفسه وجاء اليه ، واجتمع معه بالجامع الأعظم ، ومعه فقهاء تلمسان وقال له :

— « ما جئتك الا راغبا منك أن تنتقل الى بلدنا تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاج » •

ووافق ذلك غرض فقهاء تلمسان ، فعظموا عليه حتى أمير المسلمين ، واتيانه اليه • وعزموا عليه أن يفعل • فقال لهم :

— « ان رجعت الى أهلي تسببت فى الانتقال » •

---

77 — لم نتوصل الى العثور على ترجمة هذا الرجل • وقد ترجم أحمد بابا (« النيل » ، ص 382) لرجل سماه : « واضح بن عثمان بن محمد بن عيسى بن فركون المغراوي » أبو البيان الفقيه القاضي غير انه زاد أن الونشريسي ذكر فى وفياته : توفي سنة ست وخمسين وثمانمائة ، بينما كانت وفاة يغمراسن سنة 681 هـ •

78 — لم نعرف هذا الجبل ولا يوجد حاليا بناحية تلمسان جبل يحمل هذا الاسم أو اسما يقاربه •

79 — فى « ج » : التونسي • وأبو اسحاق ابراهيم بن يخلف التنسي عالم وصالح • ألف كتبا كثيرة ، توفي بتلمسان حسب التنسي كما سنرى وأحمد بابا (« النيل » ، ص 9) ويحيى بن خلدون (« البغية » ، ج ، ص 48) وابن مريم (البستان) ، ص 68) الذي قال : « توفي فى حدود الثمانين وستمائة ، وقبره رحمه الله بالعباد » (*)

80 — دوخ يغمراسن بلاد مغراوة الواقعة شرقي نهر شلف عدة مرات ابتداء من سنة 666 هـ / 1267 — 1268 م • راجع أخبار هذه التحركات فى « العبر » ، (ج 7 ، ص 181) •

فقال له أمير المسلمين :

ــ « نحن لا ندعك ترجع ولكن نرسل الى أهلك من ينقلهم الينا » • فكان كذلك وأقطعه أمير المسلمين اقطاعات من جملتها تيرشت (81) التي أقطعت بعد انقراض عقبه ، لابني الامام (82) • وكان عنده أثير المنزلة لا يوجه فى الرسائل غيره ، وكذلك كان عند ولده أمير المسلمين أبي سعيد // 139 بن يغمراسن • وفى أيامه مات وحضر جنازته بنفسه •

وكان أبو اسحاق هذا (83) واحد عصره علما ودينا ، له كرامات عديدة عرف بها الخطيب بن مرزوق (84) وقبره بالعباد (*) مزارة يتبرك به ، وكان أخوه أبو الحسن (85) أيضا مثله علما ودينا ، ورد عليه من المشرق بعد سكناه تلمسان ، وهو ورث موضعه بعد موته •

ولما اشتهر اعتناؤه بالعلم وأهله ، وفد عليه من الأندلس ، خاتمة أهل الأداب ، المبرز فى عصره على سائر الكتاب ، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن داود بن خطاب (86) ، فأحسن نزله ومثواه ، وقربه من بساط العز وأدناه ، وجعله صاحب القلم الأعلى (87) ، ومقام ابن خطاب هذا فى

81 ــ فى « ب » و « ج » : ترشت ، ولم نتوصل الى معرفة هذا المكان .

82 ــ الفقيهان ابو زيد عبد الرحمن وابو عيسى ابنا الامام محمد بن عبد الله بن الامام من أهل برشك (*) نزلا تلمسان فى أيام السلطان أبي حمو الأول وتوفي عبد الرحمن حسب احمد بابا (« النيل » ، ص 141) سنة 743 هـ / 1342 م وأخوه سنة 749 هـ / 1348 م • راجع ترجمتهما فى « النيل » ، (ص 139 ــ 142) ، وفي « البستان » (ص 123 ــ 127) .

83 ــ نقص فى « ب » و « ج » : هذا

84 ــ شمس الدين بن محمد بن مرزوق المشهور بالجد أو الخطيب ، من أسرة تلمسانية مشهورة بالعلم . توفي سنة 781 هـ / 1379 ــ 1380 م وترجم له كثيرون : راجع على الخصوص « العبر » (ج 7 ، ص 648 ــ 652) ، و « البستان » (ص 190 ــ 814) .

85 ــ أبو الحسن بن يخلف بن عبد السلام أخو ابراهيم بن يخلف المتقدم الذكر ، لم نجد ترجمة له فى كتب التراجم الكثيرة التي رجعنا اليها .

86 ــ محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب عالم تولى الكتابة للملك يغمراسن وتوفي حسب « البغية » ، ج 1 ص 70 ، سنة 636 هـ / 1238 م .

87 ــ ورد فى « البغية » (ج 1 ، ص 111) ، أن أبا بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب المرسي كان من جملة كتاب الانشاء ليغمراسن .

العلم شهير ، لاسيما الأدبيات ، واستوفى التعريف به ابن رشد (88) قال : « وبوفاته انقرض علم الكتابة » .

وأما حروبه مع العرب وزناتة فأمر لا يكاد يصدر من أحد سواه . وما ذلك الا لشرف همته ، فذكر صاحب « بغية الرواد » أن له فى العرب وحدهم اثنين وسبعين غزاة ، وكذلك له مع تجين ومغراوة .

وفـــاة يغمراسن

وكان خطب من الأمير أبي اسحاق بن أبي زكريـــاء (89) صاحب تونس ، ابنته ، لولده الأمير أبي سعيد (90) ، فأنكحها اياه ، وبعث للاتيان بهـــا ولده الأمير أبا عامر ، فجاء بها . وخـــرج أمير المسلمين يغمراسن (91) للقائها ، حفاية (92) بها ، وبأبيها . فلقيها (93) بمليانة (*) فلما عاد أدركه الأجل المحتـــوم برهيو (*) من شلـــف (*) منسلخ ذي قعدة سنة احـــدى وثمانين وستمائة (94) فأخفى ابنـــه أبو عامر موته وجد به السير فى محفة على أنه مريض حتى لقيه أخو

88 ـ فى «ب» ، ابن راشد . وابن رشيد هو أبو عبد الله محمد بن عمر الفهري المعروف بابن رشيد ، والمتوفى بفاس سنة 721 هـ / 1321 م ، قال عنه ابن القاضي (درة الحجال ، ص 201) : وكان له تحقق بعلم الحديث وضبط أسانيده ، وميز رجاله ، ومعرفة انقطاعه واتصاله . ومن مؤلفاته الكثيرة : « ملء العيبة ، واحضار ما جمع بطول الغيبة ، فى الوجهة الى مكة وطيبة » ، وقال ابن القاضي (المصدر نفسه ، ص 202) عن هذا الكتاب : انه « رحلة حافلة » ذكر فيها أشياخه ، وجمع فيها من الفوائد الحديثة ، والفوائد الأدبية ، كل غريبة وعجيبة » . راجع ترجمته عند ابن القاضي (المصدر نفسه ، ص 201 ـ 203) وعند المقري « أزهار الرياض » ، ج 2 ، ص 347 ـ 356) .

89 ـ تولى الأمير الحفصي أبو اسحاق ابراهيم ، الحكم من سنة 678 هـ / 1279 م الى سنة 692 هـ / 1283 م . وكان يغمراسن قد استقبله بتلمسان بحفاوة ، ومد له يد المساعدة لخلع ابن أخيه الواثق والاستيلاء على عرش تونس .

90 ـ أبو سعيد : ابن يغمراسن وخلفه فى الحكم .

91 ـ فى «ب» و «ج» : أمير المسلمين (من دون يغمراسن) .

92 ـ فى «ج» : حباية . وفضلنا ابقاء ما فى «أ» لانه أنسب للمعنى .

93 ـ نقص فى «ب» و «ج» : فلقيها .

94 ـ فى « البغية » (ج 1 ، ص 116) ، « يوم الاثنين التاسع والعشرين لذي القعدة » .

الأمير أبو سعيد بيسر (95) (*) فأعلن بموته ، وهو ابن ست وتسعين سنة • ومدة خلافته // 140 أربع وأربعين سنة وخمسة أشهر واثنا عشر يومـا (96) •

دولة أبي سعيد عثمان (97)

ثم بويع ابنه الملك الأسعد ، الهمام الأنجد ، ذو الهمم العلية ، والشيم الرضية ، والمآثر الحسان ، أمير المسلمين أبو سعيد عثمان ، فاستكثر من الانصار ، ودوخ المعاقل والأمصار ، انعقدت له البيعة فى أوائل ذي الحجة من السنة المذكورة ، فاقتفى فى الجد وترك الركون الى الدعة ، سنن أبيه • ولم تكن له همة الا فى اشادة بيت مجد يعليه ، فشمر في غزو الأعادي ذيله (98) ، حتى أقام من كل ذي زيغ ميله (99) فقتل ابن عبد القوي ملك تجين ، وانتزع وانشريس (*)والمدية (*) من أيديهم • وأخذ من أيدي مغراوة (100) مازونة (*) وتنس (101) (*) وبرشك (*) وفر ملكهم (102) ابن ثابت بن منديل فى البحر ، ثم نزل (103) بجاية وقطع جناتها ، وحرق قراها ، وهاداه صاحب تونس

95 – فى «ب» و «ج» : بيسير ، والصحيح ما فى «أ» .

96 – كانت مدة حكم يغمراسن بن زيان كما تقدم من سنة 633 هـ / 1236 م الى سنة 681 هـ / 1283 م • فطال حكمه اذن 48 سنة وليس 44 كما ذكر التنسي .

97 – تولى أبو سعيد عثمان الحكم من سنة 681 هـ / 1283 م الى سنة 703 هـ / 1303 م.

98 – قام أبو سعيد عثمان بعدة تحركات شرق المملكة لاخضاع القبائل الثائرة عليه . فمما قال عنها ابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 192) : « فاستولى على سائر عمل مغراوة كما استولى على عمل توجين ، فانتظم بلاد المغرب الاوسط كلها وبلاد زناتة الاولى » . راجع أخبار هذه التحركات المذكورة بالتفصيل فى « البغية » (ج 1 ، ص 118 – 119) ، وفى « العبر » (ج 7 ص 190 – 192) .

99 – نقص فى «ب» و «ج» : حتى أقام ... ميله .

100 – تقدم ذكر هذه القبيلة والتعليق عليها (رقم 33 من هذا القسم) .

101 – فى «ب» : تونس ، والخطأ واضح .

102 – فى «ج» : ملوكهم .

103 – يعني السلطان أبا سعيد عثمان : راجع « البغية » (ج 1 ، ص 118) ، « والعبر » ، (ج 7 ، ص 193 – 194) .

خاطبا سلمه . ولما غزا العرب (104) وتبعهم الى تغالين (105) من بلد الصحراء ، فاقتحموا البلاد المتلفة فرارا منه .

الحصـــار الطـويل

وحرك عليه يوسف بن يعقوب المريني (106) خمس مرات رجع في كل واحدة من الأربع الأول مفلولا ، وجاء فى الخامسة بجيوش تملأ الفضا فاستولى على جميع أعمال تلمسان ولم يبق له غيرها ، فبنى عليها مدينة مســورة شيد فيها القصــور والحمامات والفنادق والأسواق ، وسماها تلمسان الجديدة (107) ، وضيق بتلمسان تضييقا لم ير مثله . وكان سبب موجدته على الأمير أبي سعيد أن أبا عامر بن أبي يعقوب (108)

---

104 ـ ان المؤلف استعمل كلمة العرب بمعنى العرب الرحل وكان أغلبهم من بني هلال وبني سليم كما هو معروف . وقد استعمل عبد الرحمن بن خلدون الكلمة بهذا المعنى . وما زال سكان الجزائر يستعملون فى العامية كلمة عرب بمعنيين : الاول الجنس العربي على العموم والثاني سكان الأرياف . وقد يستبد / لونها فى بعض النواحي بكلمة العروبية وكلمة العربان .

105 ـ لم نتوصل الى تحقيق هذا الاسم . وقال يحيى بن خلدون (« البغية » ج 1 ، ص 120) : « وفيها (اي سنة 696 هـ) غزا السلطان ابو سعيد العرب فنزل اثرهم ماء تغالين وجبل جنش فى صحراء (كذا ») . هذا ولم يرد اسم « تغالين » عند ابن خلدون .

106 ـ تولى السلطان المريني ابو يعقوب يوسف الحكم من سنة 695 هـ / 1286 م الى سنة 706 هـ / 1307 م . راجع أخبار هذه التحركات فى « البغية » ، (ج 1 ، ص 119 ـ 121) وفى « العبر » (ج 7 ، ص 194 ـ 195) .

107 ـ تلمسان الجديدة المشهورة باسم « المنصورة » . قال يحيى بن خلدون (« البغية » ، ج 1 ، ص 121) : « وشرع سلطانهم أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق فى بناء منصورته ». أما أخوه عبد الرحمن (« العبر » ج 7 ، ص 196) فقال : « وضرب يوسف بن يعقوب عليها سياجا من الاسوار محيطا بها ، وفتح فيه أبواب مداخـل لحربهـا ، واختط لنزله الى جانب الاسوار مدينة سماها المنصورة » . وقد حطمها اهل تلمسان بعد ما انفض الحصار ثم أعاد بناءها السلطان أبو الحسن المريني اثناء الحصار الذي ضربه على عاصمة بني عبد الواد من سنة 735 هـ / 1335 م الى سنة 737 / 1337 م كما سنرى . وما زالت آثار المنصورة على بعد كيلومترين غربي تلمسان ، وهناك أيضا الى جانب الاطلال ، قرية عصرية سميث بالمنصورة .

108 ـ سماه يحيى بن خلدون « البغية » (ج 1 ، ص 118) : عبد الله العمري بن يعقوب بن عبد الحق . اما أخوه عبد الرحمن « العبر » (ج 7 ، ص 441) وابن أبي زدع (روض القرطاس ، ص 278) فقالا : « أبو عامر » .

هذا ، نافق على أبيه مع وزيره ابن عطوا (109) ، وقام بمراكش فلما توجه اليه أبوه فر مع ابن عطوا وقدما تلمسان فأكرم السلطان أبو سعيد مثواهما ثم ان أبا عامر // 141 عفا عنه أبوه ، فرجع اليه فطلب أبو يعقوب أن يمكن من ابن عطوا فأبى عليه الملك أبو سعيد . وكان نزوله اياها (110) عام ثمانية وتسعين وستمائة . فلما كان عام ثلاثة بعد سبعمائة توفى الملك أبو سعيد والحصار متصل لنزلة (111) أصابته في الحمام ، بعد ملك احدى وعشرين سنة .

دولة أبي زيان محمد (112)

فلما توفي ، بويع ابنه الملك الجليل الحسيب الأصيل الأمجد الأنجد ، أمير المسلمين أبو زيان محمد ، فنهض فى حرب عدوه وجد ، ودافع عن حرمه بالساعد الأشد ، غير أنه لم تطل به أيامه ، بل (113) فاجأه في أثناء الحصار حمامه لمرض اعتراه لم يطل فيه مقامه (114) .

---

109 ـ سماه ابن خلدون (المصدر نفسه) ابن عطو وقد كتب من دون الف فى النسخة المطبوعة من « العبر » . وسماه ابن أبي زرع (المصدر نفسه) محمد ابن عطوا (بالالف البربري الجاناتي) . وسواء كتب الاسم بالالف أو من دون الف نرجع أن نطقه بضم الطاء . راجع أخبار قيام أبي عامر والوزير ابن عطو على أبي يعقوب يوسف فى « العبر » (ج 7 ص 441 ـ 442) ، وفى « روض القرطاس » (ض 278) .

110 ـ يعني نزول السلطان أبي يعقوب يوسف بتلمسان لضرب الحصار عليها .

111 ـ قال عبد الرحمن بن خلدون (« العبر » ، ج 7 ص 196 ـ 197) : « أخبرني شيخنا عبد الرحمن بن خلدون (« العبر » ، ج 7 ص 196 ـ 197) : « أخبرني شيخنا العلامة محمد بن ابراهيم الابلي وكان فى صباه قهرمان دراهم (أي بني زيان) قال : « هلك عثمان بن يغمراسن بالديماس وكان قد أعد لشربه لبنا ، فلما أخذ منه الديماس وعطش ، دعا بالقدح وشرب اللبن ونام ، فلم يكن بأوشك أن فاضت نفسه . وكنا نرى معشر الصنائع أنه داف فيه السم تفاديا من معرة غلب عدوهم اياهم » .

112 ـ تولى أبو زيان محمد الحكم من سنة 703 هـ / 1303 م الى سنة 707 هـ / 1308 م .

113 ـ نقص فى « ب » : بل .

114 ـ خالف المؤلف فى هذا الخبر كل المؤرخين الذين كتبوا عن بني عبد الواد أمثال الأخوين ابن خلدون ، وابن أبي زرع . فقد اتفقوا كلهم على أن مدة تولي أبي زيان كانت من سنة 703 هـ / 1303 م الى سنة 707 هـ / 1308 م . قال يحيى بن خلدون « البغية » (ج 1 ، ص 126) « توفي (أبو زيان) صبيحة يوم الأحد الحادي والعشرين من شهر شوال من السنة (707 هـ) ، فكان عمره ثمانيا وأربعين

دولة أبي حمد موسى الأول (115)

فولي بعده أخوه الملك الأمجد ، ذو الغرة الميمونة والجبين الأسعد ، الذي فرج الله بيمن طلعته الشدة ، وآل الأمر من بعد الضيق الى السعة فى أقرب مدة ، وغمر (116) أهل مملكته اليمين والأمان ، أمير المسلمين أبو حمو موسى بن عثمان ، فأقام عمود الملك بعدما أشرف على الهلاك ، وقارع الثوار ، واقتحم الأنجاد والأغوار •

وكان على أهل تلمسان بلاء عظيم من غلاء الأسعار ، وموت الرجال ، وتثقيف من يخاف منه الفرار ، بلغ فيها الرطل من الملح دينارين ، وكذلك من الزيت والسمن والعسل واللحم • وذكر بعضهم أن الدجاجة بلغت ثمانية دنانير ذهبا • وكانوا يوقدون خشب دورهم ينقضونها لذلك وفر أكثر أهلها ، فلم يبق فيها من الرعية الا نحو المائتين • وكان فيها من المقاتلة نحو الألف ، وكانوا فى كل يوم يطلبون القتال من محاصريهم ، ويخرجون اليهم رجالة • قال صاحب « درر الغرر » (117) وكان مع المحاصرين لها ، « ما قاتلوهم يوما الا وكان // 142 الربح للمحصورين، ولقد رأيتهم يحملون وهم رجالة على الفرســـان فيفرون أمامهم ، ولا يقدرون أن يكروا عليهم ، فما أكاد أقضي العجب من شجاعتهم » •

سنة وملكه أربع سنين غير سبعة أيام » . وقال ابن خلدون « العبر » (ج 7 ص 202) ، « هلك أخريات شوال من سنة سبع » .

أما ابن أبي زرع « روض القرطاس » ،(ص 286) فانه قال بعدما تحدث عن موت السلطان المريني أبي يعقوب فى سنة 706 هـ : ان خلفه أبا ثابت « بعث الى أبي زيان محمد بن يغمراسن فصالحه وصرف عليه جميع البلاد التي كان أخذها جده » . وسيعود التنسي الى الموضوع ويقول انه اعتمد على رواية صاحب « درر الغرر » وهو أقعد بالقضية اذ كان حاضرا للحصار المذكور » . انظر الورقة 143 من النص المحقق فيما يلي •

115 ـ تولى أبو حمو موسى الأول الحكم من سنة 707 هـ / 1308 م الى سنة 718 هـ / 1318 م •

116 ـ فى « ب » و « ج ج » : عجز ، والصحيح ما فى « أ » .

117 ـ تقدم ذكر هذا الكتاب فى الفصل الخاص بمصادر « نظم الدر » . وقلنا اننا رغم الأبحاث الطويلة ، لم نتوصل الى معرفة حقيقة هذا الكتاب الذي هو فى حكم المفقود ، وقد انفرد التنسي بذكره •

يــوم الفـــرج

وتمادى بها الحصار ثماني سنين وثلاثة أشهر ، وحرك الله تعالى في آخر تلك المدة الولي الشهير أبا زيد عبد الرحمان الهزميري (118) من مدينة أغمات (*) ، حتى ورد على يوسف بن يعقوب ، وهو فى مدينته محاصرا لتلمسان ، فكلمه فى الانصراف عنهم ، ورغبه فيه غاية الترغيب فأبى الا التصميم على ما هو عليه ، فلما يئس منه قام عنه مغضبا وقال : « يجيء سعادا (119) يقضي هذا » وانصرف مغربا (120) .

وكان يوسف بن يعقوب قتل الفقيه العالم أبا علي الملياني (121) واستصفى أمواله ، ومن جملة ما أخذ له خصي اسمه سعادا ، كان رباه أبو علي الملياني (122) ، فكان الملياني يقول له : « أنت أخي » فلما أخذه يوسف بن يعقوب ، صيره من جملة الخصيان المتصرفين بين يديه .

---

118 – يقول ابن القاضي (« درة الحجال » ، ص 354) : « عبد الرحمن الهزميري الولي الصالح ابو زيد ، توفي بمدينة فاس بعد انصرافه من تلمسان ودفن عند مسجد الصابرين سنة 709 وقيل فى السنة التي تليها بعدها فى اولها » .

119 – فى « ج » : سعاد . وفى « العبر » (ج 7 ، ص 484) : « مولى من العبدي الخصيان من موالي بن الملياني يسمى سعادة » . وفى « روض القرطاس » ، (ص 285) : سعادة أيضا .

120 – لا توجد هذه القصة عند يحيى بن خلدون ولا عند اخيه عبد الرحمن . .

121 – أبو علي الملياني : رجل من مغراوة ، استبد بمليانة بعد منتصف القرن السابع الهجري ثم أجلاه عنها بنو حفص ، فلحق بيعقوب بن عبد الحق المريني ، فاكرمه واقطعه مدينة اغمات . ثم استعمله يوسف بن يعقوب على جباية المصامدة فساء تصرفه فيهم وقال ابن خلدون « العبر » (ج 7 ، ص 479) عن ذلك : « وسعى به مشيختهم عند السلطان انه احتجن المال لنفسه وحاسبوه فصدقوا السعاية ، فاعتقله السلطان فاقصاه ، وهلك سنة ست وثمانين » . راجع اخباره فى « العبر » (ج 7 ، ص 136 – 137 ثم ص 479) . ولا يذكر عبد الرحمن بن خلدون أن أبا علي كان « فقيها عالما » . وانما قال (« العبر » ، ج 7 ، ص 136) : أن أباه « العباس أحمد الملياني كان كبير وقته علما ودينـا وروايـة » . وقـد « انتهت اليه رياسة بلده » . أما عن ابنه علي فقال (المصدر نفسه) : انه « نشأ ... فى جو هذه العناية وكان جموحا للرياسة طامحا للاستبداد » .

122 – فى « أ » : ابو الملياني ، والتصحيح من « ب » و « ج » .

فلما كان يوم الأربعاء السابع من ذي قعدة من عام ستة بعد سبعمائة ، دخل الخصي المذكور على يوسف بن يعقوب وهو نائم ، فألقى الله (123) فى قلبه طلب ثأر مولاه ، فوجأه (124) بسكين فى بطنه . فكان فى ذلك له الحتف ، ولأهل تلمسان اللطف . فلما وصل الهزميري فاسا ، ونزل بجامع الصابرين (125) بلغهم الخبر . فدخل عليه خديمه وقال له :

ـ « السلطان أبو يعقوب مات ، وفرج الله على أهل تلمسان ، فبسم الله نرجع الى بلادنا » .

فقال له :

ـ « وعبد الرحمن يموت » ـ يعني نفسه . فمات رضي الله عنه لأيام قلائل ودفن فى روضة الأنوار ، ازاء جامع الصابرين (126) .

ولما انفذ الله حكمه فى يوسف بن يعقوب ، عاجل الفرج أهل تلمسان // 143 . فيقال أن صاع القمح بيع فيها أول النهار بدينارين وربع ،

---

123 ـ زيادة فى « ب » و « ج » : « تعالى » بالله .

124 ـ فى « ب » و « ج » : « فوجسه » ، والصحيح ما فى « أ » لأنه يقال : وجأ فلانا بالسكين : صوبه فى أي موضع كان .

125 ـ يقع « جامع الصابرين » داخل باب الفتوح بجوار باب الحمراء من مدينة فاس القديمة . وهو من مؤسسات المرابطين ، ولم تبق منه الا بعض الأطلال . وعلى مر الايام أصبحت الارض المجاورة للمسجد مقبرة كبرى تمتد من « باب الحمراء » الى « باب الفتوح » ، وقد دفن فيها عدد كبير من العلماء والصالحين تعرف اسماؤهم من مراجعة « سلوة الانفاس » لمحمد بن جعفر الكتاني ، فسميت هكذا البقعة المحيطة « بجامع الصابرين » باسم « روضة الانوار » تيمنا بمن دفن فيها من أهل العلم والصلاح . راجع عن الموضوع عبد القادر زمامة « معالم وأعلام من فاس القديمة » ، فى « البحث العلمي » ، ج 13 ، يناير 1968 ، ص 85 ـ 92) . ويطلق اسم الروضة عند أهل المغرب الأقصى على المقبرة الواقعة الى جنب ضريح لأحد الأولياء .

126 ـ انظر عن « روضة الانوار » التعليق السابق رقم 148 ، وراجع فى « العبر » ج 7 ، ص 199 ـ 200) ، الاخبار المفصلة لنهاية الحصار . ولم يذكر عبد الرحمن بن خلدون ولا أخوه يحيى كما ذكرنا فى حاشية سابقة ، قصة أبى زيد عبد الرحمن الهرميري . أما ابن أبي زرع (« روض القرطاس » ، ص 285) فقد ذكر أن قاتل السلطان ، خصى من فتيانه اسمه سعادة كان لأبي علي الملياني وقد ذكر المقري (« أزهار الرياض » ، ج 2 ، ص 335 ـ 336) القصة الواردة فى « نظم الدر » بتفصيل أكبر .

وبيع آخر النهار ثمانية أصع قمح بثمن دينار ، فسبحان اللطيف بعباده ، لا اله الا هو •

وما ذكرناه من أن السلطان أبا زيان مات أيام الحصار ، وان موت يوسف بن يعقوب كان فى أيام الملك أبي حمو ، هو نص صاحب « درر الغرر » ، وهو أقعد بالقضية اذ كان حاضرا للحصار المذكور ، وهو خلاف ما زعمه صاحب « بغية الرواد » من أن موت يوسف بن يعقوب كان أيام السلطان أبي زيان (127) •

ولما قتل يوسف بن يعقوب ، ولى مكانه ابنه أبو سالم ، وكان ابن أمة ، فلم يرض أبو ثابت بن أبي عامر (128) المتقدم الذكر ، فبعث الى السلطان أبي حمو أن يعينه بالطبول والرايات ، وما أمكنه من الجيش مصطلحين ما عاشا ففعل (129) • وغلب أبو ثابت وقتل عمه وانصرف موفيا بما التزم •

العمليات العسكريـة

فلما انصرف كان أول ما بدأ به الملك أبو حمو ، هدم مدينة يوسف بن يعقوب ، واصلاح ما تثلم من تلمسان ، وبنى الأسوار والستائر (130) وحفر الخنادق ، وخزن فيها من الطعام والادام والملح والفحم والحطب

---

127 — انظر كلامنا السابق عن هذا الخبر فى القسم الاول ، فى الفصل الخاص بمصادر « الباب السابع » .

128 — تولى السلطان المريني أبو ثابت الحكم من سنة 670 هـ / 1307 م الى سنة 708 هـ — 1308 م . وهو حفيد السلطان يوسف بن يعقوب وكان والده وهو أبو عامر قد فر الى تلمسان ، واشار المؤلف الى هذا الحادث فى أخبار دولة أبى سعيد عثمان .

129 — فى «ج» : ففعلا . والاليق ما فى «أ» و «ب» .

130 — فى «ب» و »ج» : الستار ، وابقينا ما فى «أ» والستارة هي حائط قصير دون سور المدينة وقدامه ، ويسمى أيضا بالفصيل . قال عبد الله التجاني فى وصفه لمدينة طرابلس الغرب : « ويحيط بهذا السور الآن فصيل آخر اقصر منه على العادة فى ذلك يسمونه الستارة (رحلة التجاني ، ص 240) .

ما لا حد له ولا حصر • ثم اشتغل بتمهيد الملك فتابع (131) الحركات بنفسه على تجين ومغراوة اذ كانوا خلعوا الدعوة أيام الحصار ، فأطاعوه وأخذ منهم مراهينهم ، ونزل وادي شلف (*)، وقدم علجه مسامحا (132)، فدوخ متيجة (*) وأخذ الجزائر (*) وذلل مليكش (133) • فبلغه أن الأمير أبا سعيد المريني (134) يريد الحركة على تلمسان (135) • فعاد اليها وجاء أبو سعيد ، فنزل وجدة (*) ، ففر عنه أخوه يعيش الى تلمسان، فرجع من هنالك (136) •

وثار عند ذلك راشد بن محمد المغراوي بشلف (*) ، فنهض اليه بنفسه 144// ، واستخلف ولده السلطان أبا تاشفين ، فاستعصم راشد ببني بوسعيد (137) فنزل أمير المسلمين وادي تهل (138) لحصارهم ،

---

131 – كان أول عمل قام به الملك الزياني بعد فك الحصار « البغية » (ج 1 ، ص 126) و « العبر » ، (ج 7 ، ص 202) هو التحرك نحو الشرق لمعاقبة مغراوة وتوجين على نقضهم طاعة بني عبد الواد فى زمن حصار تلمسان • ولم يهتم بترميم عاصمته وتجديد تحصينها الا بعد عودته من هذه الحركة الى الجهات الشرقية من المملكة • ونود أن ننبه الى أن صاحب هذه التحركات هو أبو حمو عند التنسي وأبو زيان عند يحيى ابن خلدون • أنظر كلامنا عن هذا الموضوع فى القسم الأول ، فى الفصل الخاص بمصادر الباب السابع » •

132 – فى « العبر » (ج 7 ، ص 201) : « مسامح مولاه » • والعلج كلمة تدل كما هو معروف على الاعجمي الكافر غير أنها كانت تعني بالمغرب العربي فى العهد الاسلامي الاول ثم فى العهد العثماني : الافرنجي الذي اعتنق الاسلام •

133 – دفع الميل الى الاختصار المؤلف الى ذكر تحركات مختلفة فى حركة واحد • فان الهجوم على متيجة ، وتملك الجزائر واخضاع مليكش ، كلها احداث لم تقع عقب نهاية سنة 706 هـ / 1306 م ،وانما وقعت فى سنة 712 هـ / 1312 م • راجع « البغية » ، (ج 1 ، ص 128) و « العبر » ، (ج 7 ، ص 209) •

134 – تولى السلطان المريني ابو سعيد عثمان الحكم من سنة 710 هـ / 1310 م الى سنة 731 هـ / 1331 م •

135 – وقعت هذه الحركة سنة 714 هـ /1314 – 1315 م •

136 – قال ابن خلدون « العبر » (ج 7 ،ص 505) عن هذا الحادث « وكان معه (أي مع أبي سعيد) فى عسكره أخوه يعيش بن يعقوب ، وقد أدركته بعض الاسترابة بأمره ، ففر الى تلمسان ، ونزل على أبي حمو ورجع السلطان على تعبئته الى تازة » •

137 – فخذ من أفخاد قبيلة مغراوة •

138 – لم نتوصل الى معرفة هذا الوادي •

وبني هنالك قصره المعروف به (139) ، ففر راشد الى زواوة (140) منحازا الى الموحدين (141) . فأمر ابن عمه مسعود بن أبى عامر بن يغمراسن وابن عمه محمد بن يوسف بن يغمراسن والعلج مسامحا بالتوجه فى جيوش عظيمة ، الى تدويخ بلاد الموحدين والتضييق ببجاية (*) وما وراءها . وأرسل موسى بن علي الغزي (142) بجيش آخر مع العرب كافة على الصحراء لمصارختهم . ودوخت كل فرقة ما بين يديها ، واجتمعوا بظاهر بلد العناب (*) . ثم قفلوا ، فاستباحوا الجبل المصاقب (143) لقسنطينة (*) فوقعت بين الرؤساء منافسة كادت تثير فتنة . فلما بلغوا الملك أبا حمو بشلف (*) ، أوغر موسى الغزى صدره على محمد بن يوسف (144) فعزله عن مليانة (*) اذ كان بها عاملا . فطلب أن يزور ابن أخته أبا تاشفين بتلمسان ، فأذن له وكتب بتثقيفه (145) . فأستقبح الملك أبو تاشفين (146) ذلك ، وأمر خاله بالمسير

---

139 — قال عبد الرحمن الجيلالي (« تاريخ الجزائر العام ») ، ج 2 ، ص 134) : « ونزل (أبو حمو) بوادي « نهل » (كذا بالنون) من شلف (*) ، وهناك ابتنى قصره المعروف الى اليوم باسمه « حمو موسى » قبل أن تحرفه العامة الى « عمي موسى » . وتقع قرية عمي موسى الحالية على بعد 25 كم فى الجنوب الشرقي لمدينة وادي رهيو (*) المتقدمة الذكر .

140 — زواوة : اسم لبطن من بطون الامازيغ اطلق على سكان الجبال وعلى الجبال نفسها أيضا الممتدة من شرقي الجزائر العاصمة الى بجاية .

141 — يعني بالموحدين ملوك بني حفص ببجاية .

142 — فى « ب » و « ج » : العزفي ويقول يحيى بن خلدون (« البغية » ، ج 1 ، ص 129) الغزي أيضا . أما ابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 213 ، فيسميه موسى بن علي الكردي . والغز أو الاغزاز قوم من الاتراك . (راجع مقال : GHUZZ فى « دائرة المعارف الاسلامية » بالفرنسية ، الطبعة الجديدة ، ج 2 ، ص 1132 — 1137) . أما الاكراد فموطنهم معروف وهو مقسم فى عصرنا بين العراق وتركيا وايران، وكان موسى بن علي قائد حرب لأبي حمو الأول ثم لابنه تاشفين ، وكان يتمتع برتبة عليا فى الجيش الزياني .

143 — فى « ب » : المصاحب وفى « ج » : المطابق ، والانسب للمعنى ما فى «أ» لأن المصاقب هو القريب .

144 — هو محمد بن يوسف بن يغمراسن . راجع « البغية » (ج 1 ص 129) .

145 — فى « ب » : تشقيفه . وفى « ج » : بتشقيفة ، والاصح ما فى «أ» ويقول يحيى بن خلدون (المصدر نفسه) : « وأوعز الى ولده بأخذه » وقال أخوه (« العبر » ، ج 7 ، ص 213) : « وأوعز الى ابنه بالقبض عليه » .

146 — قال المؤلف « الملك أبو تاشفين » مع أنه كان ولي عهد أبيه حينذاك .

الى أمير المسلمين • فلما قدم عليه لم ير منه ما كان يعتاد ، وسمع (147) القول القبيح فيه من الأطراف ، ففر الى المدية (*) (148) ، وثار بها مع بعض تجين • فتبعه أهل تلك النواحي (149) • فرجع الملك أبو حمو الى تلمسان واجدا على ولده أبي تاشفين ، لعدم امتثال أمره في خاله حتى نشأ منه ما نشأ • فجعل يؤثر ابن عمه مسعود بن أبي عامر على ولده أبي تاشفين ويقدمه عليه في كل أمر سرا وجهرا على رؤوس الملا (150) • فكان ذلك موجبا لانفاذ حكم الله تعالى الذي لا راد لحكمه •

اغتيال ابى حمو

وقد كانت للأمير أبي تاشفين بطانة نجباء من الاعلاج وغيرهم ، أولو شهامة وجرأة // 145 كهلال القطلاني (151) وغيره ، فاذا رأوا منه الانقباض لما يرد علية من ذلك ، أشاروا بقتل مسعود المذكور ، واعتقال أبيه ، وموالاته بعد الاستيلاء على الملك بما يصلح خاطره وسهلوا عليه ذلك حتى وافقهم • فعزموا على ذلك يوم الاربعاء الثاني والعشرين لجمادي الاولى سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، وقصدوا السلطان بداره معه (152) مسعود المذكور ، وبنو الملاح (153) ، وغيرهم من بطانته

---

147 — في «ج» : وساء ، والصحيح ما في «ا» و «ب» .

148 — في «ج» : المدينة ، والصحيح ما في «ا» و «ب» .

149 — راجع اخبار هذه الثورة في « البغية » ، ج 1 ، ص 129 — 130 .

150 — في « ج » : جاءت الجملة « سرا وجهرا على رؤوس الملا » من بعد كلمتي « فجعل ويؤثر »

151 — القطلاني : نسبة الى قطلونية وهي مقاطعة بالشرق الشمالي من جزيرة الأندلس . وهي اليوم مقسومة الى قسمين : الأول تابع لاسبانيا والثاني لفرنسا ، واكبر مدن المقاطعة برشلونة .

152 — نقص في «ب» : معه .

153 — بنو الملاح أسرة منها عدة موظفين سامين خدموا الدولة الزيانية ، أولهم عبد الرحمن ابن محمد بن الملاح الذي تولي منصب « صاحب الأشغال » للسلطان يغمراسن . قال يحيى بن خلدون (« البغية » ، ج 1 ، ص 127) : « هم بيت سراوة من أهل قرطبة احترافهم السكاكة وأولو امانة فيها ودين » .

فدخلوا عليهم والسلاح مشهرة . فأول ما بدا الاعلاج بقتل السلطان رحمه الله خيفة منه ان بقى (154) . واستأصلوا الباقين والأمر لله .

وكان هذا السلطان المرحوم صاحب آثار جميلة وسير حسنة ، محبا فى العلم وأهله، ورد عليه بعد موت يوسف بن يعقوب الفقيهان العلمان (155) الجليلان أبو زيد وأبو موسى ابنا الامام (156) ، فلم ير ما يؤدي به شكر الله على النعمة التي من الله عليه بها ، من قتل عدوه ، وتعجيل الفرج ، الا الاعتناء بالعلم ، والقيام بحقه ، فأكرم مثواهما واحتفل بهما وبنى لهما المدرسة التي تسمى بهما (157) . وكان يكثر من مجالستهما والاقتداء بهما ، وهذان الفقيهان من بلدة برشك (*) ، سافرا الى المشرق ، فحصلا علوما شتى نقلية وعقلية ، ورأسا بدمشق . وكان لهما بالشام والحجاز ومصر صيت عظيم ثم دعتهما دواعي الأوطان بالرجوع الى المغرب ، فأعرضا عن بلدتهما ، وتوجها الى تلمسان ، فكانت لهما بها الرياسة كما قدمنا ، ونشرا بها من العلوم ما بقيت آثاره الى الآن .

دولة عبد الرحمن ابى تاشفين (158)

ثم بويع (159) ثاني يوم الوقيعة الملك الأرفع ، ذو الجناب الأمنع ، والحباء (160) الأوسع //146 ، والحسام الأقطع ، قامع المبغضين ،

154 -- فى «ب» : فى الهامش : مقتل السلطان ابي حمو بن عثمان .

155 -- فى «ب» و «ج» : العالمان .

156 -- انظر تعليقنا السابق رقم ص 82 .

157 -- فى «ب» و «ج» : به . ولم يبق من هذه المدرسة اي اثر ، غير أن المسجد بمنارته الذي كان الى جنب المدرسة مازال قائما ، وهو معروف اليوم عند أهل تلمسان باسم « جامع سيدي أولاد اليمام » ، وهو يقع فى الناحية الغربية من المدينة فى اتجاه باب كشوط القديم (باب سيدي بوجمعة حاليا) . انظر بعد النص المحقق : المخطط التقريبي لمدينة تلمسان فى القرن التاسع .

158 -- تولى أبو تاشفين الاول الحكم من سنة 718 هـ / 1318 م الى سنة 737 هـ / 1337 م .

159 -- فى «ب» : بالهامش : بيعة ابي تاشفين .

160 -- فى «ب» : الكلمة ممحية وفى «ج» : الحياء . وفضلنا رواية «ا» لموافقتها للسياق . وفى القاموس : حبا ما حوله : حماه ومنعه ، وحبا فلانا : اعطاه بلا جزاء ولا من .

ومدوخ المارقين ، وممهد الأرضين ، ولده أمير المسلمين أبو تاشفين • فاستولى على البدو والحضر ، واستخدم ربيعة ومضر، وثاقب (161) عداه شرقا وأطاب الغبوق والصبوح ، الى أن بلغت أيامه أقصى مداها ، فعاجلته (162) بمحتوم (163) رداها ، وأمكنت من معاقله عداها ، فكان ممن عاش سعيدا ومات شهيدا (164) •

آثاره الفنية

وكان مولعا بتحبير (165) الدور ، وتشييد القصور ، مستظهرا على ذلك بآلاف عديدة من فعلة الأساري ، بين نجارين ، وبنائين ، وزليجين (166) ، وزواقين (167) • فخلد آثارا لم تكن لمن قبله ولا لمن بعده ، كدار الملك ، ودار السرور ، وأبى فهر (168) ، والصهريج الأعظم (169) ، كل ذلك لملاذه الدنيوية •

161 ــ فى «ب» و «ج» : ثاقب ، والملائم للمعنى ما فى «ا» لأن ثاقفه ، غالبة فى الحذق . يقال « ثاقفه فثقفه » اي غالبه فغلبه .

162 ــ فى «ب» و «ج» : فعاجاته ، الاصل ما فى «ا» .

163 ــ فى «ج» : بمختوم ، والمناسب للمعنى ما فى «ا» .

164 ــ فى «ب» و «ج» : ومات حميدا شهيدا ، وفضلنا الاحتفاظ بما فى «ا» .

165 ــ فى «ب» : بتحير . وفى «ج» : بتجير ، والانسب للمعنى ما فى «ا» لأن حبر الخط : حسنه وزينه .

166 ــ التزليج : التبليط بالخزف . وما زالت الكلمة مستعملة بهذا المعنى بتلمسان ، والزلايجة زلايج عند أهل تلمسان : البلاطة من الخزف . اما بالمغرب الاقصى فيقولون زليجة ج زليج (بتشديد اللام ايضا) .

167 ــ فى « البغية » ، ج 1 ، ص 134 ، « مستظهرا على ذلك بآلاف عديدة من فعلة أسرى الروم بين نجارين وزلاجين وزواقين » .

168 ــ فى «ب» و «ج» : أبى فير وعند يحيى بن خلدون (« البغية » ، ج 1 ، ص 134 : « أبى فهر » أيضا .

169 ــ لم يبق بتلمسان من هذه الآثار الا الصهريج الاعظم الذي ما زال موجودا غربي المدينة قريبا من باب كشوط القديمة (المسماة اليوم باب سيدي بوجمعة) . ويطلق عليه اليوم أهل تلمسان اسم « صهريج مبدى » (بميم ساكنة تليها باء مفتوحة فدال مفتوحة ومشددة) ولم نتوصل الى معرفة معنى هذه الكلمة الاخيرة . ومن آثار هذا الملك الفنان ، المدرسة التي تحمل اسمه بتلمسان وصومعة المسجد الاعظم بالجزائر العاصمة . انظر فيما يلي تعليقنا رقم 175 على المدرسة التاشفينية .

وكانت عنده شجرة من فضة (170) ، على أغصانها جميع أصناف الطيور الناطقة ، وأعلاها صقر . فاذا استعمل المنفاخ فى أصل الشجرة ، وبلغ الريح مواضع (171) الطيور ، صوتت (172) بمنطقها (173) المعلوم لمشابهها . فاذا وصل الريح موضع (174) الصقر صوت فانقطع صوت تلك الطيور كلها . وحسن ذلك كله ببنائه المدرسة الجليلة العديمة النظير (175) التي بناها بازاء الجامع الأعظم . ما ترك شيئا مما اختصت به قصوره المشيدة ، الا وشيد (176) مثله بها ، شكر الله له صنعه وأجزل له عليه ثوابـــه .

فقد كان له بالعلم وأهله احتفال (177) ، وكانوا منه بمحل تهمـم واهتبال (178) . وفد عليه بتلمسان الفقيه العالم المتفنن (179) الجماعة ، أبو موسى عمران المشذالي (180) ، أعرف أهل عصره بمذهب مالك ، فأكرم نزله(181)//147 وأدام المبرة به والحفاية بجانبه ، وولاه التدريس

170 ــ فى «ب» : بالهامش : اتخاذه شجرة من فضة على أغصانها جميع أصناف الطير .

171 ــ فى «ب» : موضع ، والصحيح ما فى «أ» و «ج» .

172 ــ فى «ب» و «ج» : صررت . وصر الشيء : صوت . وصر الرجل : صاح شديدا . وفضلنا ابقاء ما ، «أ» .

173 ــ فى «ب» و «ج» منطقها ، والأصح ما فى «أ» .

174 ــ فى «ب» و «ج» : مواضع .

175 ــ تؤكد الوثائق المعاصرة أن المدرسة التاشفينية كما كان يطلق عليها بتلمسان الى القرن الميلادي الماضي ، كانت تحفة من الفن . راجع على الخصوص :
W. et G. MARÇAIS, *Les Monuments arabes de Tlemcen,* p. 21.
وقد هدمت فأس المستعمر هذه المدرسة من دون مراعاة للفن وللتاريخ سنة 1876 م . ونقلت بعض زخارفها الى متحف تلمسان والى متحف كلوني بباريز فى فرنسا .

176 ــ فى «ب» : شهد وفى «ج» : الكلمة غير واضحة . وما فى «أ» انسب للمعنى .

177 ــ فى «ج» ، «الاوضع مثله وكان له بأهل العلم احتفال » فى مكان ، « الا وشيد ... وأهله احتفال » .

178 ــ فى «ج» كانوا له بمحل اهتمال .

179 ــ فى «ب» : الكلمة غير واضحة .

180 ــ أبو موسى عمران المشذالي من أكبر فقهاء عصره أصله من «زواوة بجاية » قال يحيي ابن خلدون (البغية ، ج 1 ،) ص 72) ؛ «توفى في حدود خمس وأربعين وسبعمائة ، وقال عنه : « لم يكن في معاصريه أحد مثله علما بمذهب مالك ، وحفظا لأقوال أصحابه ، وعرفانا بنوازل الاحكام ، وصوابا فى الفتيا » .

181 ــ فى «ج» ، « العالى أبو موسى عمران فأكرم نزله » فى مكان « العالم المتفنن ... نزله » .

بمدرسته الجديدة . ولما ورد الفقيه العالم أبو العباس أحمد بن عمران البجائي (182) على تلمسان تاجرا ، دخل المدرسة القديمة ، فحضر مجلس أبي زيد بن الامـام (183) ، فألفاهم يتكلمون فى قول ابن الحاجب (184) فى الأصول فى حد العلم انه صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض فنادى :

ــ « يا سيدي هذا الحد غير مانع اذ ينقض بالفصل والخاصة » فقال له الشيخ أبو زيد :

ــ « من هذا الذي أنبأ (185) مقاله عن مقامه ؟ » .

فقال : ــ « محبكم أحمد بن عمران » .

فقال : ــ « أول ما نشتغل بضيافتك وحينئذ يقع الجواب » .

فأنزله منزل الكرامة (186) ، وسأله عن مقدمه ، فأخبره أنه جاء تاجرا . فعرف به أبو زيد أمير المسلمين أبا تاشفين . فرفع عنه كلفة مغرمه ومغرم من جاء معه ، وكان مائتي دينار . وأعطاه زيادة على ذلك مائتي دينار ذهبية . وجاء به أبو زيد الى أخيه أبى موسى مسلما عليه فقال له :

ــ « سمعنا أنك أوردت على أخينا سؤالا فأورده علينا » .

فلما قرره بين يديه قال له :

ــ « يا فقيه انما قال ابن الحاجب : صفة توجب تمييزا والخاصة انما توجب تميزا لا تمييزا .

---

182 ــ سماه يحيى بن خلدون (« البغية » ، ج 1 ص 75) : « أبا العباس أحمد بن عمران اليانوي » . وقال عنه أحمد بابا (النيل ، ص 47) « أحمد بن عمران البجائي اليانوي الامام العلامة المحقق أخذ عن ناصر الدين المشدالي وشرح ابن الحاجب فى ثلاثة أسفار » عاش فى القرن 8 هـ . ولم نتوصل الى معرفة تاريخ وفاته .

183 ــ أنظر تعليقنا السابق رقم 82 عن ابني الامام وكلام التنسي عنهما (ورقة 145 ب من النسخة الاصلية للنص المحقق) .

184 ــ ابن الحاجب (عثمان بن عمر) سبق ذكره ، أنظر تعليقنا رقم 8 من القسم الأول .

185 ــ فى «ج» : كلمة أنبأ ممحية .

186 ــ فى «ب» و «ج» : فانزل الكرامة ، والمناسب ما فى «أ» .

عملياتـه الحربيــة

وكان أول ما بدا به الملك أبو تاشفين أن نهض سنة تسع عشرة الى محمد بن يوسف (187) الثائر على أبيه والموجب لاحقاده عليه ، فألجأه (188) بمن معه فى ربوة توكال (189) من جبل وانشريس (*) حاصرهم هنالك الى أن أخذهم عنوة ، وقتل محمد بن يوسف ، وعفا عن الباقين (190) ، وتمادى الى أن نزل بجاية (*) ، وأخذ رياحا (191) فى طريقه ذلك أخذة رابية • ثم عاد وقد علا صيته وضخم ملكه وهابه البادي والحاضر •

ولم يزل فى كل سنة //148 يجهز الجيوش على قواده فيدوخون أرض الموحدين ، ويضيقون ببجاية (*) وقسنطينة (*) ، وأمر قائده موسى بن علي ببناء مدينة على وادي بجاية (*) فاحتفظ بها مدينة تامزيزديت (192) ، وقسم مسافاتها (193) على الجيوش • فبنيت فى أربعين يوما • وأوطنها ثلاثة آلاف فارس وزيادة ، فأناخت على أوطان الموحدين بكلكل ثقيل •

---

187 — محمد بن يوسف خال أبي تاشفين المتقدم الذكر فى أخبار أبي حمو • أنظر تعليقنا السابق رقم 144 .

188 — فى «ب» و «ج» : فافجاه ، والاليق ما فى «أ» .

189 — توكال : لم نتوصل الى معرفة موقع هذه الربوة التي ذكرها يحيى بن خلدون أيضا بمناسبة هذه الحركة (« البغية » ، ج 1 ، ص 134) وقال ابن خلدون « العبر » ، ج 7 ،ص220) « حصن توكال » .

190 — قال ابن خلدون (المصدر نفسه) ، « وقد اجتمع به (وانشريس) توجين ومغراوة مع محمد بن يوسف » .

191 — رياح : بطن من بطون بني هلال . كانت مستوطنة فى عهد أبي تاشفين سهول بجاية وقسنطينة . راجع فى « العبر » ، (ج) 6 ص 69 — 80) : « الخبر عن رياح وبطونهم من هلال بن عامر » .

192 — بني أبو تاشفين فى حركة سنة 721 هـ / 1321 — 1322 م حصنا قرب بجاية ، راجع « البغية » (ج 1 ، ص 135) . و « العبر » (ج 7 ، ص 221) ، ثم اختط فى حركة سنة 726 هـ / 1325 — 1326 م مدينة قرب بجاية أيضا سماها تامزيزديث . وذكر أيضا يحيى بن خلدون (« البغية » ، ج 1 ، ص 137) وأخوه (« العبر » ، ج 7 ، ص 223) . ان هذه المدينة تمت فى أربعين يوما . أنظر عن حصن تامزيزديت الواقع جنوب وجدة (*) تعليقنا السابق رقم 35 .

193 — فى «ب» و «ج» : مساحتها ، وتليق الكلمتان ، واحتفظنا بما فى «أ» .

ثم بعث يحيى بن موسى الجمى (194) بالجيوش (195) الى تونس مع ابن أبى عمران الحفصي (196) ، فلقيهم ملكها أبو يحيى (197) ، فهزموه هزيمة شنعاء (198) ، استولوا فيها على حرمه وذخائره (199) ومحلاته (200) ، وأفلت هو جريحا الى قسنطينة (*) ، وتمادوا (201) الى تونس فأخذوها (202) ودخلوها ، وأقاموا فيها أربعين يوما ، وأسلموها الى ابن أبى عمران وقفلوا (203) .

مهاجمة بني مرين للمملكة

فعند ذلك بعث الأمير أبو يحيى ابنه يحيى ووزيره ابن تافراجين (204) فى البحر الى الأمير أبي سعيد ، صاحب فاس راغبين، منه كف عادية السلطان أبى تاشفين عنهم معرضين له بمصاهرتهم ابنه الأمير

---

194 ـ « البغية » (ج 1 ، ص 138) : الجمى أيضا . ويسميه أخوه عبد الرحمن (« العبر » ، ج 7 ، ص 224) يحيى بن موسى السنوسي .

195 ـ فى «ب» و «ج» : بجيوش .

196 ـ محمد بن أبي بكر المعروف بابن أبى عمران أمير حفصي نهض من طرابلس ، مطالبا بعرش تونس . وتغلب فى عدة لقاءات على الخليفة الحفصي . راجع أخباره فى « العبر » (ج 6 ، ص 760 ـ 764 خاصة) .

197 ـ تولى الخليفة الحفصي أبو يحيى أبو بكر ، الحكم من سنة 718 هـ / 1318 م الى سنة 746 هـ / 1346 م .

198 ـ قال يحيى بن خلدون (« البغية » ، ج 1 ، ص 139) « لقيهم ملكها السلطان أبو يحيى بالواد شارفـمن بلاد افريقية » . أما أخوه عبد الرحمن (« العبر » ، ج 7 ، ص 224) فقال : « ولقيهم مولانا السلطان أبو يحيى بالرياس من نواحي بلاد هوارة » . واثبت المؤرخان هزيمة الجيش الحفصي .

199 فى «أ» : ذخائر (بالدال المهملة) والتصحيح من «ب» و «ج» . أنظر تعليقنا السابق رقم 81 .

200 ـ فى «ج» : محلته ، والأليق ما فى «أ» و «ب» .

201 ـ فى «ج» : تمادى ، والاصح ما فى «أ» و «ب» .

202 ـ دخل بنو عبد الواد تونس 730 هـ / 1329 م ، راجع « العبر » ، (ج 6 ، ص 775 ـ 776) .

203 ـ فى «ج» : وقبلوا ، والاصح ما فى «أ» و «ب» .

204 ـ فى «ب» و «ج» : ابن تافرجين . وسماه يحيى بن خلدون (« البغية » ، ج 1 ، ص 193) ابن تيفراجين . وقال أخوه عبد الرحمن . (« العبر » ، ج 7 ، ص 224) : « محمد بن تافراكين من مشيخة الموحدين» . وكتبه الزركشي (« تاريخ الدولتين » ، ص 55) كما يلي : ابن تافراجين مثلما فى «أ» .

أبا الحسن ، باحدى بنات الأمير أبي يحيى ، فأجابهم الى ذلك ، وبعث رسلا (205) الى الملك أبي تاشفين بالشفاعة ، يطلبه مسالمة الموحدين ، والاقلاع عن بجاية (*) (206) ، فلم تنجح شفاعته ومات السلطان أبو سعيد فى تلك السنة (207) ، فولى ابنه السلطان أبو الحسن (208) فبعث رسلا أيضا متشفعا (209) للموحدين اصهاره ، فردت رسله أسوأرد (210) فكان ذلك سبب تحركه الى تلمسان • فنزل تاسالا (*) وأطال بها اللبث وأرسل الى صهره (211) يقول شأنك وتامزيزديت (212)، فجاءها فى جموع عظيمة • ففر الذين كانوا فيها فاستولى عليها وهدمها (213) •

وثار على السلطان أبي الحسن أخوه بسجلماسة (*) ، فرجع اليه حتى قتله ، وتمهد له المغرب (214) ، فعاد الى تلمسان وحاصرها (215)

---

205 – لم يذكر ابن خلدون هذه السفارة التي أرسلها الملك أبو سعيد المريني •

207 – توفى أبو سعيد سنة 731 هـ / 1331 م •

208 – تولى السلطان المريني أبو الحسن الحكم من سنة 731 هـ – 1331 م الى سنة 749 هـ / 1348 م •

209 – فى «ب» و «ج» : مستشفعا •

210 – فى « البغية » ، (ج 1 ، ص 160) : فرد أبو تاشفين ارساله اسوأ رد قولا وفعلا ». وفى « العبر » (ج 7 ، ص 226) : « فابى (أبو تاشفين) وأساء الرد ، واسمع الرسل بمجلسه هجر القول • وأقذع لهم الموالي فى الشتم لمرسلهم بمسمع من أبي تاشفين » •

211 – لما أرسل السلطان الحفصي أبو يحيى رسله الى , السلطان أبي سعيد المريني يستصرخونه قال ابن خلدون (« العبر » ، ج 6 ، ص 777) : « أجاب دعاءهم الى محاربة عدوهم وعدوه على شريطة اجتماع اليد عليها ، وموافاة السلطان أبي سعيد والسلطان أبى يحيى بعساكرهما تلمسان لموعد ضربوه لذلك » • ويعني التنسي بقوله : صهره : السلطان أبا يحيى •

212 – أنظر عن هذا الحصن تعليقنا رقم 215 •

213 – ذكر يحيى بن خلدون (« البغية » ، ج 1 ، ص 140) أن تخريب الحصن وقع سنة 733 هـ / 1333 م بينما ذكره الزركشي (« تاريخ الدولتين » ، ص 56) فى احداث سنة 732 هـ / 1332 م •

214 – كان الامير أبو علي أخو السلطان أبى الحسن عاملا على سجلماسة فى حياة أبيهما أبى سعيد . وتغلب أبو الحسن على حركة أخيه التمردية سنة 734 هـ / 1334 م •

215 – نزل أبو الحسن تلمسان يوم 11 شوال سنة 735 هـ – يونيو 1335 م •

//149 وبنى عليها مدينته التي هي الآن محرث (216) ، واستمر على ذلك حتى دخلها • ولم يزل السلطان أبو تاشفين (217) يقاتل هو وأولاده ووزيره (218) بباب القصر ، الى أن استشهدوا جميعا (219) رحمة الله عليهم (220) • وذلك يوم الأربعاء الثامن والعشرون من رمضان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة (221) • فما أفظعه من حادث وما أشنعه من خطب كارث جر على الدولة الزيانية ذيل العفا ، وكدر على بيتها الحسنى ما كان صفا • فكأنه المعني بقول القائل (222) •

دار الغـــرور لقـــد شنئتـــك دارا
تبني الخطوب وتهـدم الأعمـارا (223)

مـا أدركتـني من زمانـك ساعـة
الا وزدت بغـــدرك استبصـــارا

---

216 - في « البغية » (ج 1 ، ص 141) : « ثم ابتنى غربها مدينة لسكناه نسبها الى النصر وهي مدينةالمنصورة » • ويرجح علماء الآثار ان الاطلال الحالية هي بقايا المدينة التي أسسها أبو الحسن ، أما المنصورة القديمة التي أسسها يوسف بن يعقوب فقد خربها بنو عبد الواد اثر انسحاب بني مرين عن تلمسان والمغرب الاوسط سنة 706 هـ / 1307 م • ويثبت لنا هذا النص ان المنصورة الثانية التي اختطها أبو الحسن كانت « محرثا » في عهد التنسي أي نحو 130 سنة بعد بنائها • ولاشك في أن المدينة تعرضت في هذه المرة أيضا الى تخريب قامت به الايدي ثم اتمت الطبيعة عمل الانسان • راجع •
G. et W. Marcais, *Les Monuments arabes de Tlemcen*, p. 192-201.

217 - في «ب» : عنوان في الهامش : مقتل أبي تاشفين •

218 - في « العبر » ، ج 7 ، ص 229 : « ولداه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن علي ».

219 - استشهد أبو تاشفين وأكثر الذين وقفوا معه من خاصته بباب القصر حسب ما ذكر التنسي هنا ويحيى بن خلدون (« البغية » ، ج 1 ، ص 141) • أما أخوه عبد الرحمن (« العبر » ، ج 7 ، ص 229) فذكر في أخبار بني عبد الواد أنهم « مانعوا دون القصر مستميتين الى أن استلحموا ورفعت رؤوسهم على عصى الرماح » غير أنه قال في أخبار بني مرين (« العبر » ، ج 7 ، ص 536) : « وأثخنت السلطان أبا تاشفين الجراحات ، ووهن لهافتقبض عليه واحتقبه بعض الفرسان الى السلطان ، فلقيه الامير أبو عبد الرحمن (ابن الملك أبي الحسن) صالي تلك الحروب ووارد غمرتها بنفسه ، فاعترضه وقد غص الطرق بموكبه ، فأمر به للحين ، فقتل واحتز رأسه » •

220 - في «ب» : رحمهم الله تعالى •

221 - 28 رمضان 737 هـ = 2 مايو 1337 م • وذكر ابن خلدون « العبر » ، ج 7 ، ص 536)أن أبا الحسن قد اقتحم تلمسان في 27 رمضان •

222 - لم نتمكن من معرفة ناظم هذه القصيدة •

223 - هذه الابيات من البحر الكامل •

عمري لقد فجيء الزمان بصدمة (224)
لم تبـق للبيض الرقـاق (225) غرارا

ذهبت بألبـاب البريـة (226) وقعـة
كـره الصبـاح لهولهـا الاسفـارا

نـور تبـدي ثـم أطفـأه الردى
أن المنيـة تطـفيء الأنـوارا

قد حيـر الرزء الأنـام جميعهم (227)
حتى الكـواكب لا تطيـق مـدارا

آهـا ولـو شفت الأسى رددتهـا
سرا عـلى حكـم الـردى وجهـارا

يـا حسـرة خبلت بقلب مشفـق
لـولا ضلـوع أمسكتـه لطـارا

يا حادثـا مـلأ المسـامع شنعـة
والجفن مـاء والجـوانح نـارا

سـقى الورى كـأس الأسى حتى لقد
سكـر الجميع وما هـم بسكـارى

بدر الملـوك وسرهـا الشهـم الذي
150 // دابا يجـر الفيلق الجـرارا

طوق المنيـة منـه (228) ليثا باسـلا
جـم المحاسـن نافعـا ضـرارا

---

224 ـ في «ب» و «ج» بصدري ، والكلمة غير صالحة في هذا المقام فأبقينا ما في «أ» .
225 ـ في «ب» و «ج» : الرقاب ، والكلمة غير صالحة في هذا المقام فأبقينا ما في «أ» .
226 ـ في «ب» و «ج» : الليلة ، ولا تصلح هذه الكلمة للوزن .
227 ـ في «ب» و «ج» : كلهم ، والاليق للوزن ما في «أ» .
228 ـ نقص في «ب» و «ج» : منه .

عجبـا لترب (229) صـار فيه شخصه
ما عذره (230) أن لا يصير نضارا (231)

قد أشرفت حـور الجنـان اليه مـن
شـره (232) وأبدت نحـوه استبشارا

وقد انبرى(233) رضوان يفتح(234)بابه
عجبـا وبـادر للقـاء (235) برارا

يـا أيهـا القـلب القـريح لفقـده
عفت المعـالم فانـدب الاثـارا

وتـرج عاقبـة الليـالي وانتظـر
فرجـا قريبـا وأرقب الأقـدارا

والجـأ الى الصبر الجميل فمن لجـأ
للصبر أدرك فى العدى (236) الأوتـارا

ولعـل أيـام السعـود قريبـة
فتكون أوقات النكوس قصـارا (237)

---

229 ـ فى «ب» و «ج» : الثوب ، والاليق للمعنى ما فى «أ» .

230 ـ فى «ب» و «ج» : فاعذره ، والاليق ما فى «أ» وذلك للوزن والمعنى .

231 ـ فى «ب» و «ج» : نصارا ، والصحيح ما فى «أ» لأن النضار معناه الذهب والفضة وقد غلب على الذهب .

232 ـ فى «ب» و «ج» : شدة ، والصحيح ما فى «أ» لمناسبته الوزن والمعنى .

233 ـ فى «ج» : أقبل ، والأصح ما فى «أ» و «ب» لمناسبته للوزن .

234 ـ فى «ج» : بفتح ، والاليق للوزن ما فى «أ» و «ب» .

235 ـ فى «ب» و «ج» : اللقاء ، والأصح للوزن ما فى «أ» .

236 ـ فى «ج» : الاعداء ، والاوفق للوزن ما فى «أ» و «ب» .

237 ـ فى «ب» و «ج» : بيت زائد :
ثـم الصـلاة عـلى المختـار من مضـر
مـا غنت الطيـر عـلى الأغصـان أسحـارا

ولم نضفه الى النص لأنه غير موزون ومخالف للقصيدة فى البحر ، وزيادة على ذلك فهو لم يذكر فى نسخه «أ» ، ومعناه بعيد عن السياق أيضا .

احيــــاء الدولــــة

ولما استولى السلطان أبو الحسن المريني على (238) تلمسان ، رأى أن (239) من كمال سلطانه ، استخدام بني عبد الواد ، حتى يعد في مفخره جمعه بين القبيلين مرين وعبد الواد ، فأحسن اليهم وأقامهم على مراتبهم . وكانت الامرة متوسمة منهم فى الأخوين أبي سعيد وأبي ثابت ولدى الأمير أبي زيد ابن الأمير أبي زكرياء ابن أمير المسلمين يغمراسن ، لأعراض أخيهما المولى أبي يعقوب عن الدنيا ، واقباله على الآخرة .

فلما تحرك السلطان (240) أبو الحسن الى افريقية ، كانت معه عبد الواد بأسرها ، فيها (241) الأميران أبو ثابت وأبو سعيد . فلما ملك تونس وأمصارها اشتدت وطأته على سليم (242) وأحلافهم ، // 151 فتألبوا وبايعوا أحمد بن أبي دبوس (243) من ذريـة عبد المومن بن علي فتوجه اليهم وهم بازاء القيروان . فلما تراءى الجمعان أمكنت عبد الواد الفرصة ، فما أفلتوها ، فانحازوا بأجمعهم

---

238 – في «ج» : اهل .

239 – نقص فى «ب» : ان

240 – تحرك أبو الحسن الى افريقية سنة 748 هـ / 1347 – 1348 م .

241 – في «أ» : باسرها فيهما . وفي «ب» و «ج» : باسرها فيهم فصححنا الخطأ .

242 – دخل بنو سليم المغرب مع بني هلال فى القرن 5 هـ / 11 م . دارت الأحداث المذكورة هنا مع بني كعب وهم من بني عوف بطن من بطون سليم ، وكان هؤلاء الكعوب نازلين حينذاك بجنوب بلاد افريقية . راجع أخبار الوقيعة بين الكعوب والسلطان أبي الحسن المريني فى « العبر » (ج 6 ، ص 155 – 156) .

243 – فى «ب» : ادريس . وابن أبي دبوس هو حسبما ذكر ابن خلدون « العبر » (ج 7 ، ص 571) « رجل من أعقاب أبي دبوس فريسة بني مرين من خلفاء بني عبد المؤمن بمراكش » . وأبو دبوس آخر خلفاء الدولة الموحدية ، تولى الحكم من سنة 665 هـ / 1266 م الى سنة 668 هـ / 1269 م . وكان قد تحالف مع يغمراسن ضد بني مرين . ودخل بنو مرين الى مراكش وقضوا نهائيا على الدولة الموحدية فى محرم 668 هـ / سبتمبر 1269 م . وابن أبي دبوس هذا هو فى الحقيقة حفيد الخليفة . فهو أحمد بن عثمان بن ادريس بن أبي دبوس . راجع « العبر » (ج 7 ، ص 572) ، و « تاريخ الدولتين » (ص 70) .

(244) وبكل من فى قلبه مرض من غيرهم الى العـــرب ، وقد كادوا ينهزمون ، فاشتد بهم ازرهم ، ووهنت قوى السلطان أبي الحسن ، فكانت عليه الهزيمة المشهورة (245) .

دولة ابي سعيد وأبي ثابت (246)

فبايع بنو عبد الواد الأمير أبا سعيد أحد الأخوين المذكورين فى شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، واستالفوا مغـــراوة وتجين وارتحلوا مغربين (247) . فلما حلوا شلف (*) ، فارقتهم تجين ومغراوة، بعد التحالف على المناصرة عند الحاجة اليها ، وتمادى (248) بنـــو عبد الواد بسلطانهم . وكان الأمير أبو عنان (249) أقام بتلمسان عثمان بن جرار أحد بني طاع الله (250) . فلما قرب السلطان أبو سعيد بمن

---

244 ـ قال يحيى بن خلدون « البغية » (ج 1، ص 146) : وقفت على كتب كثيرة من السلطان ابي الحسن لحواضر بلاده ، يعتذر لهم فيها عن هذه الوقيعة بانخداع عبد الواد ساعة اللقاء ومظاهرتهم العرب عليه . وقال الناصري « الاستقصاء » (ج 3 ص 160) : « وكان عسكر السلطان أبي الحسن يومئذ مشحونا بأعدائه من بني عبد الواد المغلوبين على ملكهم ، ومغراوة ، وبني توجين وغيرهم ، فدسوا الى العرب اثناء هذه المناوشة بأن يناجزوا السلطان غدا حتى يتحيزوا اليهم وينجزوا عليه الهزيمة » ، فأجابوهم الى ذلك ، وصبحوا معسكر السلطان من الغد ، فركب الهم فى التبعية ، ولما تقابلوا تحيز اليهم الكثير من كان معه واختل مصافه ، فانهزم هزيمة شنعاء .

245 ـ وقعت هذه الهزيمة حسب الزركشي « تاريخ الدولتين » (ص 70) يوم 2 محرم من سنة تسع واربعين . أما يحيى بن خلدون « البغية » (ج 1 ، ص 145) فقد قال انها وقعت «يوم الاثنين 7 محرم 749 هـ ـ 7 ابريل 1348 م » .

246 ـ تولى السلطان أبو سعيد واخوه أبو ثابت الحكم من سنة 749 هـ / 1348 م الى سنة 755 هـ / 1352 م .

247 ـ راجع فى « البغية » (ج 1 ، ص 148) ، تفاصيل مسيرة الملكين ابي سعيد وأبي ثابت من تونس الى تلمسان .

248 ـ فى «ب» : انادوا وفى «ج» : فنادى . والاليق ما فى «أ» .

249 ـ تولى السلطان المريني ابو عنان الحكم من سنة 749 هـ / 1348 م الى سنة 759 هـ / 1358 م . وعينه أبو السلطان أبو الحسن عند تحركه الى افريقية واليا على تلمسان والمغرب الأوسط .

250 ـ عثمان بن يحيى بن جرار من شيوخ بني عبد الواد وأولاد تيدوكسن بن طاع الله نزل بتلمسان بعد اندثار دولة بني عبد الواد سنة 737 هـ / 1337 م . وقد أغرق أبا عنان بعد نكبة أبيه في القروان ، حسبما ذكر ابن خلدون « العبر » (ج 7 ، ص

معه من تلمسان ، أخرج ابن جرار أخاه (251) فى جيش لمحاربتهم فالتقوا بأسكاك (*) (252) فقتل ابن جرار (253) وأخذ من كان معه الا اليسير وجاءوا (254) تلمسان فسأل ابن جرار الأمان فأمن (255) .

ودخل السلطان أبو سعيد حضرة ملكه فى جمادي الأخيرة من السنة المذكورة (256) ، فبرز فى سماء الخلافة بدرا كاملا ، وألحف (257) قومه واقليمه (258) من العافية بردا (259) شاملا ، وزان الملك وحلاه ؛ ورفعه فى منصة الحسن وأعلاه ، ومعه أخوه الأمير أبو ثابت ليث العرين العديم المماثل والقرين ، فصال الملك بهما وزها وأمر ونهى ، وارتفع وسما ، وأباح وحمى (260) ، وارتفعت بهما عن بيتها الشريف المعرة ،

---

578 – 579) بالتوثب على الملك وسول له الاستئثار به على اخوانه تيقنا بملك السلطان . وبعد ما دعا أبو عنان لنفسه قال ابن خلدون « العبر » (ج 7 ، ص 238) انه « استعمل عثمان بن جرار على تلمسان وعملها وارتحل الى المغرب .. ولما فصل دعا عثمان لنفسه وانتزى على كرسيه ، واتخذ الالة ، وأعاد من ملك بني عبد الواد رسما لم يكن لال جرار ، استبد أشهرا قلائل .. » .

251 – فى « البغية » (ج 1 ، ص 148) : عمران بن موسى بن جرار أخو عثمان المتقدم الذكر كما هو عند التنسي . أما فى « العبر » (ج 7 ، ص 243) : فعمران هذا ابن عم عثمان .

252 – فى «ب» فالتقوا بأنكاد (*) ، والاصح ما فى «أ» لأن « اسكاك » أو « سكاك » المذكور فى «أ» نهر صغير يصب فى نهر يسر الذي يصب بدوره فى نهر تافنة(*)وموقعه شرق تلمسان اي فى اتجاه السلطان الزياني القادم من افريقية بينما تقع منطقة انكاد (*) غرب العاصمة الزيانية فى ناحية مدينة وجدة (*) .

253 – عمران بن جرار الذي خرج على راس الجيش للقاء بني عبد الواد هو الذي لقى حتفه ، راجع « البغية » (ج 1 ، ص 148) ، و « العبر » (ج 7 ، ص 243) .

254 – فى «أ» و «ب» : جاءوا من دون ألف .

255 – فى « العبر » (ج 7 ، ص 583) : ولما بلغ بنو عبد الواد تلمسان « الفوا عثمان بن جرار قد انتزى بها بعد منصرف الامير أبى عنان ، ودعا لنفسه ، فتجهم له الناس لتوثبه على المنصب الذي ليس لابيه واستمسك بالبلد أياما يؤمل نزوع قومه اليه ، وثارت به الغوغاء ، وكسروا أبواب البلد ، وخرجوا الى السلطان ، فادخلوه القصر » .

256 – فى « البغية » (ج 1 ، ص 150) : « ملكا (أي الاخوان) تلمسان عشية يوم الاربعاء الثاني والعشرين لجمادي الآخرة سنة 749 .

257 – فى «ب» : والحفه .

258 – نقص فى «ب» : واقليمه .

259 – فى «ج» : برداء .

260 – فى «ب» و «ج» : صما ولا معنى لصما هنا .

وعادت اليه بعد مساوي الانكار المسـرة // 152 • وكانت الخطبة والسكة للسلطان أبي سعيد ، وكان أمـر الحرب واستتباع الجيوش للأمير أبي ثابت • وكان كل واحد منهما بارا بالآخر على أتم ما يرى ويسمع (261) • وكان أخوهما الأكبر المولى أبو يعقوب اختار سكنى ندرومة (*) مؤثرا للانقطاع لطريق الاخرة •

العمليات العسكرية فى هذا العهد

وكانوا تركوا السلطان أبا الحسن بالمشرق ، فلما استقروا ببلدهم ودوخوا ما والاهم ، ورد عليهم الخبـر أن السلطان أبا الحسن نزل بالجزائر (*) من البحر ، ومعه ونزمار بن عريف (262) ، وتبعتهم عرب تلك النواحي (263) ومعهم تجين وأنهم توجهوا مغربين • فخرج الأمير أبو ثابت بجيش ضخم (264) • ووجه الى علي بن راشد المغراوي للعقد (265) الذي كان بينهم ، فالتقى الجميع بتاغيت ان وتفيف (266) وتحدثنا

---

261 – قال ابن خلدون « العبر » (ج 7 ، ص 244) : « وعقد (أبو سعيد) لأخيه أبي ثابت الزعيم على ما وراء بابه من شؤون ملكهما ، وعلى القبيل والحروب ، واقتصر هو علي ألقاب الملك وأسمائه ولزم الدعة » • وعلق يحيى بن خلدون «البغية» (ج 1 ، ص 151) على العلاقات بين الاخوين فقال : « ولم أقف بتاريخ على مثل هذه الاخاوة بين أحد من ملوك الاسلام » •

262 – من شيوخ قبيلة سويد بقي على طاعة السلطان أبي الحسن • قال ابن خلـدون « العبر » (ج 6 ، ص 99) : « عقد السلطان (أبو الحسن) لونزمار بن عريف على سويد وسائر بني مالك وجعل له رئاسة البدو حيث كانوا من أعماله •

263 – قال يحيى بن خلدون « البغية » (ج 1 ، ص 56) : « أن السلطان أبا الحسن قد تحرك مغربا فى أمم لا يحصى العد (كذا) من سليم ، ورياح ، وسويد ، والديالم ، والعطاف ، وحصين وتجين •• » •

264 – لم يتكلم التنسي عن المدد الذي أرسله أبو عنان الى سلطان تلمسان • قال ابن خلدون « العبر » (ج 7 ، ص 592) : « وبعث ابو سعيد عثمان صاحب تلمسان الى الامير أبي عنان فى المد ، فبعث اليه بعسكر من بني مرين ، عقد عليهم ليحيى ابن رحو بن تاشفين بن معطي بن تيربيغين ، وزحف الزعيم ابو ثابت الى حرب السلطان أبي الحسن فيمن اجتمع اليه من عسكر بني مرين ومغراوة » •

265 – فى «ب» : العقد •

266 – شكل كاتب نسخة «أ» الكلمة على الشكل التالي : تاغيت أن ونفيف : تاء مفتوحة وممدودة فغين مفتوحة تتبعها ياء فتاء ساكنتان ثم همزة مفتوحة منفصلة عن التاء ونون ساكنة منفصلة أيضا تليها واو مكسورة ومشددة ثم نون ساكنة متبوعة بفاء مكسورة وممدودة ، ثم فاء أخيرة ساكنة • وفى «ب» : تاغية ونفيف و فى «ج» : تاغية ونفيفة • وفى « البغية » ، (ج 1 ، ص 156) : تاغيث ونفيف • ولم نتوصل الى معرفة موقع هذا المكان •

فى كيفية لقاء العدو ، فاكتفل الأمير أبو ثابت بلقاء السلطان أبي الحسن ، واكتفل علي بن راشد بلقاء ولده الناصر ، فالتقى الجمعان بتيعزيزين (267) وكانت حرب تشيب الوليد ، انهزم فيها المغراوي وثبت الأمير أبو ثابت بما لا يعهد بمثله حتى انهزم أبو الحسن ، وقتل ولده الناصر وأعيان دولته . ولولا انسدال ظلمة الليل عليهم ، ما نجا أبو الحسن (268) . فعند ذلك دخل ونزمار بن عريف الى الصحراء بالسلطان أبي الحسن الى أن خرج بسجلماسة (*) (269) ومر مغربا . وعاد الأمير أبو ثابت الى حضرته بالظفر والغنيمة .

ثم ان مغراوة قتلوا بعض بني عبد الواد غيلة فتوجـه اليهم الأمير أبو ثابت ، فضايقهم وهم بالجبل المشرف على تنس (*) ، فاقتحمه عليهم ، ففر على بن راشد // 153 الى تنس (*) فاقتحمها عليه ، فذبح علي نفسه (270) ، وبه انقرض ملك بني ثابت بن منديل (271) ، واستولى الأمير أبو ثابت على برشك (*) ومليانة (*) والمدية (*) والجزائر (*) ثم عاد الى حضرته .

وكان السلطان أبو عنان كتب الى الأمير أبي ثابت أيام حصاره لمغراوة، يشفع فيهم وسأله الاقلاع عنهم ، فلم يفعل . فلما بلغ السلطان أبا عنان

---

267 ـ فى «ب» و «ج» : : تعزبرين . وعند يحيى بن حلدون (المصدر نفسه) تيعزيرين من شلف (*) . أما عند أخيه عبد الرحمن (« العبر » ، ج 7 ، ص 249) : « التقى الجمعان بتعمرين منشلف . ونجد فى الباب الخاص ببني مرين مـن « العبـر » ، (ج 7 ، ص 593) : « والتقى الجمعان بشدبونه . ولم نتوصل الى معرفة موقع تيعزيرين .

268 ـ وهم التنسي فتحدث فى خبر واحد عن واقعتين كبيرتين مختلفتين . الاولى ضد الناصر ولد السلطان أبي الحسن سنة 750 هـ / 1349 م ، والثانية ضد أبي الحسن نفسه ومعه ابنه الناصر فى السنة نفسها . وقد تصالح أبو ثابت قبيل هذه الحركة الثانية مع مغراوة . راجع أخبار الحركتين بالتفصيل فى « البغية » ، (ج 1 ، ص 155 ـ 157 وص 252 ـ 253) .

269 ـ فى «أ» : سجلماسة من دون بناء . وكان التصحيح من النسخ الاخرى .

270 ـ ذكر يحيى بن خلدون (« البغية » ، (ج 1 ، ص 158 ـ 159) أن أبا ثابت دخل تنس عنوة على علي بن راشد فى 16 شعبان سنة 752 هـ / 1351 م « وأخذه وسجنه ثم أخذت عليا بن راشد العزة بالاثم ، وقبض الشيطان على يده فذبح نفسه بنفسه » .

271 ـ راجع أخبار بني منديل وملكهم بشلف فى « العبر » (ج 7 ، ص 131 ـ 146) .

موت علي بن راشد المغراوي ، حنق لرد شفاعته ، وشرع فى التحرك الى تلمسان . فبلغ خبره تلمسان فاستعدوا للقائه ، وحشدوا من عرب الشرق وقبائله أمما حملهم الاعجاب بها على أن خرجوا الى أنجاد (*) (272) للقاء العدو ، فنزلوا ايسلي (*) فالتقوا بوادي القصب (273) فلما حمى الوطيس خدعت بنو عامر (274) فكان سبب الهزيمة . فكبا بالسلطان أبي سعيد فرسه ، فأخذ وقتل يوم السبت حادي عشر جمادي الأولى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، رحمة الله عليه (275) .

واستمر الأمير أبو ثابت بمن معه ودخلوا تلمسان وأقاموا بها يوما ثم أجمع أمرهم على اللحوق بالجزائر فأتوها ، واجتمع اليهم بها أكثر جيشهم ، وانضاف اليهم كثير من أشياعهم الكائنين هنالك ، فنهض بهم الأمير أبو ثابت مغربا لقصد عدوه ، فتلقتهم جيوش بني مرين بوادي شلف (*) ، فكانت بينهم حرب تشيب الوليد ، فنكس بنو مرين على أعقابهم ، واذا بونزمار بن عريف (276) بالعرب كافة فحمل على بني

---

272 ــ فى «ب» : انجاد بجيم مثلثة من تحت .

273 ــ فى «أ» : واد من دون ياء . ولم نتوصل الى معرفة موقع هذا النهر .

274 ــ بنو عامر : بطن من بطون بني هلال وقد نقلهم يغمراسن الى جنوب تلمسان . ومما قال عنهم ابن خلدون « العبر » (ج 6 ، ص 105) : وأما بنو عامر بن زغبة فمواطنهم فى آخر مواطن زغبة من المغرب الأوسط قبلة تلمسان مما يلي المعقل . ثم كان موطنهم فىالسهول الواقعة بين تلمسان ووهران (*) وما زالت قرية بين وهران (*) وعين تموشنت تسمى العامرية . راجع أخبارهم فى « العبر » (ج 6 ، ص 105 ــ 116) .

275 ــ راجع الأخبار المفصلة لهذه الوقيعة في «البغية» (ج 1 ، ص 159 ــ 161) . وقد كان اللقاء حسب صاحب « البغية » وأخيه عبد الرحمن (« العبر » ، ج 7 ، ص 253) فى آخر ربيع الثاني سنة 753 هـ / يونيو 1352 م . وقال يحيى (« البغية ، ج 1 ، ص 161 » عن موت أبي سعيد « فأخذ ... وجيء به الى ملك المغرب فقتله » . أما أخوه عبد الرحمن (المصدر نفسه) ، فقال : « وتقبض على أبي سعيد ليلتئذ فقيد أسيرا الى السلطان ، فأحضره بمشهد الملا ووبخه ، ثم تل الى محبسه ، وقتل لتاسعة من ليالي اعتقاله » .

276 ــ أنظر عن ونزمار بن عريف تعليقنا رقم 262 . وقال عنه ابن خلدون (« العبر » ، ج 6 ، ص 150) : « ولما تغلب السلطان أبو عنان على تلمسان كما سنذكره ، رعى لسويد ذمة الانقطاع اليه ، فرفع ونزمار بن عريف على سائر رؤساء البدو من زغبة ... »

عبد الواد ، فردهم على الأعقاب . فكانت الهزيمة ، والحكم لله (277) . ففر الأمير أبو ثابت (278) معه ابن أخيه المولى أبو حمو ، والوزير يحيى بن داود بن علي بن مجن (279) . فكان من خبرهم ما ذكرناه في الباب الثاني (280) .

ولما أتي السلطان أبو عنان // 154 بالأمير أبي ثابت قال له :

— « كيف رأيت أبطال بني مرين ؟ »

— « والله ما أعانكم الا السعد ، وأما الرجلة فقد غلبناكم فيها » .

---

277 — لم يذكر ابن خلدون هذه الوقيعة في أخبار بني عبد الواد وانما أشار اليها في الباب الخاص ببني مرين (« العبر » ، ج 1 ، ص 161 — 162) وقال : ان اللقاء . كان يوم السبت 21 رجب753 هـ / 1352 م .

278 — ابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 253) : « نجا الزعيم أبو ثابت بمن معه من فل عبد الواد ، ومن خلص اليهم ذاهبا الى بجاية ليجد في ايالة الموحدين وليجة من عدوه ، فبيتته زواوة في طريقة . وابعد عن صحبه وأرجل عن فرسه ، وذهب راجلا عاريا ومعه رفقاء من قومه » .

279 — سماه ابن خلدون (المصدر نفسه) بالكاف : ابن مكن .

280 — قال يحيى بن خلدون (« البغية » ، ج 1 ، ص 162) : « وكان صاحبها (بجاية) الامير أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء بن أبي يحيى أبى بكر الحفصي شيعة السلطان أبى عنان ، فاخذت عيونه عليهم المراصد بأمر أبى عنان » . وفيما يلي ما قال التنسي عن هذه الحادثة في الباب الثاني من « نظم الدر » ، « في فضل العرب وخصوصا المضرية منهم » مخطوط «أ» ، ورقة (7 ظ) وورقة (8 و) : واحال عليه هنا . وقد قال : « لما استولى السلطان أبو عنان المريني على تلمسان بعد قتل سلطانها أبي سعيد بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن فر أخوه السلطان أبو ثابت وابن أخيه المولى أبو حمو موسى بن يوسف جد أمير المومنين (المتوكل) مشرقين ، معهما وزيره يحيى بن داود ، قد لبسوا ثياب التنكر كي لا يعلم بهم . واذا بصاحب بجاية قد قام لهم الارصاد ، فاخذوا بحوز بجاية . فقال لهم الذين أخذوهم :

— من هو السلطان أبو ثابت فيكم ؟ »

— فابتدر المولى أبو حمو وقال :

— « أنا وقد ظفرتم بحاجتكم مني ، فاطلقوا الرجلين » . يعني عمه ووزيره . فقد جاد بنفسه فاديا مهجة صنو أبيه ، بأنهم لم يطلبوا على السلطان أبي ثابت الا ليكون ماله القتل .

ثم ورد عليهم من كان يعرف السلطان أبا ثابت فعرفهم به ، فمالت أيدي الظنة (في نسخة «أ» : الضنة) اليه ، وسئل :

— « من الجائد بنفسه دونك ؟ »

فقال معميا من شأن ابن أخيه :

— « انه من خول نعمتنا ، وأنشدكم الله الا ما سرحتموه ، فقد ظفرتم بحاجتكم ، فخلوا سبيله » .

فمضى راشدا لما أعد الله له من خلافته ، وخلافة ذريته وحمل السلطان أبو ثابت ووزيره معتقلين . فكان مآل أمرهما القتل . رحمة الله عليهما » .

فأمر به فدفع لبني جرار (281) فقتلوه قصاصا فى ثالث عشر رمضان من السنة المذكورة (282) ، فكانت مدتهما أربع سنين وأشهر والبقاء لله وحده .

أعينـــا أمـــراء ترحـت عينــــه
ولا تعجبـا من جفون جمـــاد (283)

اذا القلـــب أحـرقـــه بثـــــه
فـــان المدامـــع تلـــو الفـــؤاد

يــود (284) الفتى منهـــلا خاليـــا
وسعـــــد المنيــــــة فى كــل واد

لقــد عثــر الدهـــر بالسابقين (285)
ولن يعجــز الموت ركــض الجـــواد

لعمــرك مـــارد (286) ريب الـــردى
أريـــب ولا جـاهـــد باجتهـــاد

281 ـ بنو جرار : أهل عثمان بن جرار الذي سبق ذكره والحديث عنه (أنظر التعليق رقم 250) والذي عينه أبو عنان عاملا على تلمسان عندما ثار على أبيه السلطان أبي الحسن اثر نكبته بالقيروان . ثم دعا عثمان لنفسه ونزع الحكم منه بنو عبد الواد سنة 749 هـ / وامنوه غير أن أبا ثابت القي القبض عليه وألقاه بسجن المطبق حسبما ذكر ابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 245) « الى أن مات ... ويقال قتيلا » ولم يذكر صاحب « العبر » أن أبا ثابت سلم لبني جرار . وانما ذكر (« العبر » ، ج 7 ، ص 254) ان الأسيرين أبا ثابت ووزيره يحيى قد سلما لابي عنان بظاهر المدية (*) ثم ان السلطان المريني « انكفا راجعا الى تلمسان ، فدخلها فى يوم مشهود ، وحمل أبو ثابت ووزيره يحيى على جملين يتهاديان بهما بين سماطي ذلك المحفل . فكان شانهما عجبا . ثم سيقا ثاني يومهما الى مصرعهما بصحراء البلد ، فقتلا بالرماح » .

282 ـ سنة 753 هـ / 1352 م .

283 ـ هذه الابيات من البحر المتقارب . ولم نتوصل الى معرفة قائلها .

284 ـ فى «ب» : يريد . وفى «ج» : ير ، والأليق ما فى «أ» .

285 ـ فى «ج» : السافين ، والاليق ما فى «أ» و «ب» لمناسبته للوزن والمعنى .

286 ـ زاد ناسخ «أ» : تاء فوق دال رد ، ولا يستقيم المعنى ولا الوزن بكلمة « ردت » .

سهـــام المنـــايـــا تصيب الفـــتى
ولـــو ضربـــوا دونـــه بالســـداد

أصبـــن عـــلى بطشهـــم جرهمـــا
وأصمين (287) فى دارهم قـــوم عـــاد

وأقعصـــن كـــسرى عـــلى عـــزه
فمـــا اعتز بالصافنات الجيـــاد (288)

دولة أبي حمو موسى الثاني (289)

ولما انفصل المولى أبو حمو من عمه الملك أبى ثابت على (290) الوجه الذي قدمنا (291) ، استمر فى ثوب التنكر حتى وصل تونس ، فرفع قدره السلطان أبو اسحق بن أبي يحيى بن أبي زكريا (292) ، وقابله بما يقابل به مثله (293) ، ثم ان السلطان أبا عنان تحرك نحو افريقية . فلما أخـذ قسنطينـة (*) وبلد العناب (*) وصبح أسطوله (294) تونس (295) ، ارتحل أميرها أبو اسحاق نحو الجريد (*) فصحبه

---

287 ـ فى «ب» و «ج» : : واضحين ، والمناسب ما فى «أ» لأن أصمى الصيد : رماه فقتله مكانه وهو يراه .

288 ـ هذا البيت نافص فى «ب» و «ج» .

289 ـ تولى أبو حمو الثاني الملك من سنة 760 هـ / 1359 م الى سنة 791 هـ / 1389 م .

290 ـ فى «ب» و «ج» : « ولما أقفل المولى أبو حمو ابن عمه الملك على الوجه الذي قدمناه » . ولا معنى لهذا الكلام .

291 ـ انظر عن هذا الحادث تعليقنا السابق رقم 303 .

292 ـ تولى السلطان الحفصي أبو اسحاق الحكم من سنة 750 هـ / 1350 م الى سنة 770 هـ / 1369 م .

293 ـ قال ابن خلدون « العبر » (ج 7 ، ص 255) « نجا (أبو حمو) الى تونس ونزل بها على الحاجب أبي محمد بن تافراكين ، فأكرم نزله وأحله بمكان اعياص الملوك من مجلس سلطانه ووفر جرايته ، ونظم معه آخرين من فل قومه » . وفى « زهر البستان (ورقة 5 و) : « دخل (أبو حمو) تونس . فى سادس شوال من عام ثلاثة وخمسين بعد سبعمائة (و) أقام بها أعواما » ومما تجدر الاشارة اليه أن « زهر البستان » قد ذكر بتفصيل كبير أخبار مسيرة أبي حمو واستيلائه على الحكم . راجع مقالنا : « مخطوطات لم تكتشف » : « زهر البستان فى دولة بني زيان » ، المذكور سابقا .

294 ـ نقص فى «ج» : اسطوله .

295 ـ وقعت هذه الأحداث سنة 758 هـ / 1357 م .

المولى أبو حمو // 155 فلما قفل بنو مرين رجعا الى افريقية (296) ، فورد على المولى أبي حمو هنالك سفير بن عامر (297) ، بقبيلة بني عامر (298) . والتفت به أيضا جماعة من زناتة ، فجاؤوا مغربين على جبل عياض (*) ، ومنه توجهوا الى الزاب (*) ووارجلا (*) (299) ثم غزوا أولاد عريف (300) . فكانوا يسيرون اليهم عشرة أيام لم يحلوا فيها سرجا ولا حطوا رحلا ، فصبحوهم بوادي ملال (301) فاستباحوا المال ، وقتلوا كثيرا من الرجال ، قتل فيهم عثمان بن ونزمار بن عريف . فكانت هذه الوقعة باكورة السعد . وبالمغرب ورد عليهم البشير بصوت

---

296 — النص غير واضح ، ونجد في « البغية » (ج 2 ، ص 20 — 21) وفي « العبر » (ج 7 ، ص 615 — 620) أن بني حفص استرجعوا ملكهم في تونس بعد تراجع جيش أبي عنان ، بينما واصل أبو حمو تنقلاته في جنوب أفريقية . ولابن خلدون « العبر » (ج 7 ، ص 619) كلام يبين لنا سبب تراجع ابي عنان المفاجيء . ويلقي ضوءا على نص التنسي . فمما قال عن حركة جيش أبي عنان الى تونس « وضاق ذرع العساكر بشأن النفقات والأبعاد في المذاهب ، وارتكاب الخطر في دخول افريقية ، فتمشت رجالاتهم في الانفضاض عن السلطان . وداخلوا الوزير فارس بن ميمون ، فوافقهم غليه ، واذن المشيخة والنقباء لمن تحت أيديهم من القبائل في اللحاق بالمغرب حتى تفردوا ، ونمى الخبر الى السلطان أنهم توامروا في قتله » الى أن قال : « راوي (السلطان) قلة العساكر ، وعلم بانفضاضهم ، فكر راجعا الى المغرب .. »

297 — في «ب» و «ج» : سفير بالفاء الموحدة ، وقال يحيى بن خلدون « البغية » (ج 2 ص 22) : « وشيخهم (أي بني عامر) يومئذ شيقر بن عامر ، وأورد محقق « البغية » بالهامش رواية أخرى وهي سفير . أما ابن خلدون « البغية » (ج 7 ، ص 255) فسماه صغيرا . وأكد صاحب « زهر البستان » ، (ورقة 7 ظ) ما في «أ» ، فقال : وكان يومئذ شيخ بني عامر أبو صالح سفير بن عامر » .

298 — قال يحيى بن خلدون (المصدر نفسه) « لقيه (أي لقي أبا حمو) قبيل بني عامر عرب وطنه ، وشيعه ملكه والجار الجنب لحاضرة خلافته ، حلفاء جلاء وطرداء خوف ، وشيخهم يومئذ شيفر بن عامر بن ابراهيم بن يعقوب ابن معـــرف وكان مصنوعا له .. » انظر عن بني عامر تعليقنا رقم 274 .

299 — في «ج» ، وارجلا بجيم مثلثة من تحت وكتبها ابن خلدون واركلا في عدة مواضع من كتاب « العبر » منها مثلا (ج 7 ، ص 98) وتكتب اليوم : ورقلة .

300 — أولاد عريف من قبيلة سويد من بني مالك بن زغبة من بني هلال . راجع أخبارهم في «العبر» (ج6 ، ص 95—105) . انظر أيضا تعليقنا السابق رقم 262 عن ونزمار بن عريف .

301 — في « البغية » (ج 2 ، ص 23) وفي « زهر البستان » (ورقة 29 و) : وادي ملال ايضا . أما ابن خلدون فانه لم يذكر مكان هذا اللقاء . فذكر « العبر » (ج 7 ، ص 627) أن رفاق ابي حمو التقوا مع سويد « بقبلة تلمسان » . غير أن هذه الاشارة لم تساعدنا على تحديد موقع « وادي ملال » هذا .

أبي عنان (302) ، فاستبشروا بنيل المراد ، فبايع المولى أبا حمو جميع من كان معه من عرب وغيرهم فى خامس محرم مفتتح سنة ستين وسبعمائة، وجاؤو مجدين حتى وصلوا أوماكرا (303) ، فتسامعت بهم أهل أوطان تلمسان فجاؤوهم « من كل حدب ينسلون » (304) ثم توجهوا الى تلمسان وبها محمد بن أبي عنان (305) ، فنزلوها وحاصروه مدة كانت فيها حروب ثم دخلوا أجادير (*) • فحين رأى ذلك بنو مرين طلبوا الأمان ، فأمنوا وأسلموا البلد (306) وبايعوا المولى حمو •

احياء الدولة من جديد

فدخلها بعد صلاة الظهر من يوم الخميس غرة شهر ربيع الأول من السنة المذكورة (307) ، والملك بيد الله يؤتيه من يشاء ، فاستقر رضي الله عنه من بلده بدار الملك والشرف واستولى تراث آبائه خلفا عن سلف ، شمر فى طلبه عن ساقه ، وجد كل الجد ، فما نكس له سنان ، ولا من شبا عزمه حد بل أقدم واقدام من يوقن بالظفر ، وطلب من لم

---

302 – توفي السلطان أبو عنان بفاس يوم الاربعاء 24 من ذي الحجة 759 هـ / 1358 م • راجع « العبر » (ج 7 ، ص 622) وقال يحيى بن خلدون « البغية » (ج 2 ، ص 24) : « وفى اليوم السادس منه (محرم) وافت البشرى بموت السلطان أبي عنان » •

303 – فى «ب» : أوكامر • ولا يعرف مكان اسمه أوماكرا وفى « البغية » (ج 2 ، ص 25 – 26) : « وخيم أبو حمو بأوماكرا من تل بني راشد » • ويوجد شرقي تلمسان نهر اسمه ماكرة يمر بمدينة سيدي أبي العباس ولعله المقصود هنا •

304 – من القرآن الكريم ، سورة « الانبياء » ، آية رقم 96 •

305 – كان محمد ابن السلطان أبي عنان أميرا على تلمسان •

306 – راجع تفاصيل استيلاء السلطان أبي حمو على تلمسان فى « البغية » (ج 2 ، ص 25 – 30) • وقد ذكر صاحب « البغية » (ص 29) على الخصوص أن قسما من جيش بني عبد الواد يقوده موسى بن علي بن برغوث دخل تلمسان من ناحية اكادير من باب العقبة أي من الشرق ، بينما دخلها أبو حمو مع قسم آخر من الجيش من باب كشوط الواقع غربي المدينة • انظر فى آخر هذا الكتاب مخطط تلمسان فى العهد الزياني •

307 – غرة ربيع الاول 760 هـ = 31 يناير 1359 م • وقال ابن خلدون (« العبر » ، ج 7، 256) : « ودخل السلطان الى تلمسان يوم الاربعاء لثمان خلون من ربيع الاول سنة ستين » •

تتله سآمة ولا ضجر ، فواصل التاويب والأسآد (308) وقطع الأغوار والأنجاد ، حتى أظفره (309) الله تعالى بنيل المراد وأقره بحضرة ملك الأباء والأجداد .

فألقت عصاهـا واستقر بهـا النـوى
كما قـر عينا بالايـاب المسافر (310)

وكان جده الأمير أبو زكرياء يحيى بن يغمراسن ولي عهد أبيه ولكنه مات في حياته ، وكان كثيرا ما يقول اذا نظرنا اليه : « بعقب ابني هذا تحيى دولة بني عبد الواد ، وفيهم يبقى ملكنا الى آخر الدهر » . وتأمر بسجلماسة سبع سنين . ولما توفي بتلمسان ترك ابنه أبا زيد عبد الرحمن ، فصرفه عمه السلطان أبو سعيد الى الأندلس تقية منه (311) ، وهنالك مات شهيدا في وقعة بين المسلمين والكفار ، وكان له فيها غناء عظيم . فترك بنيه الثلاثة هنالك أكبرهم المولى أبو يعقوب ثم المولى أبو سعيد ثم المولى أبو ثابت ، فكانت لهم هنالك في جهاد الكفار مواقف مأثورة ، وهنالك ولد المولى أبو حمو سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة . وفي هذه السنة استقدمهم السلطان أبو تاشفين ، فقدموا عليه فرفع منازلهم وأعظم لهم الجرايات الى أن كان من أمر الجميع ما قدمنا ذكره .

ولما استقر المولى أبو حمو من هالة في نصابها ، وانتزع دولته من يد غصابها ، ساس أهل مملكته بالسيرة الحسنى ، وغمر الرعية قسطاس عدله الأسنى ، وقسم أوقاته بين حكم يقضيه وحق يمضيه ، وعاق يرضيه ، وسيف لحماية الدين ينضيه ، وجفن عن عوراء الأمة يغضيه ، وسبيل الى رضاء الله تعالى ورسوله يفضيه .

---

308 – في «ج» : التوابيت والاساد ولا يستقيم الكلام الا بما في «أ» و «ب» وذلك أنه يقال آوب القوم : مشوا كل النهار ونزلوا الليل ، وأسادوا سآدا : ساروا ليلتهم كلها .

309 – ابتداء من كلمة الله تنقص «أ» ورقة كاملة . فاعتمدنا على (ب) و «ج» لتحقيق هذا القسم الناقص .

310 – هذا البيت من البحر الطويل ، وقائله مجهول لدينا .

311 – قال يحيى بن خلدون (« البغية » ، ج 2 ، ص 14) : « أجازه السلطان أبو سعيد ابن يغمراسن الى الأندلس بولده حذارا منه على سلطانه لمكان بنوته من ولي العهد سنة أربع وستين وستمائة » .

وله من النثر الرائق ، والشعر الفائق ، ما ارتفعت صنعته من بلاغة // 156 (312) الملوك ومن العلم العقلي والنقلي ما جلا نوره عن الدنيا مدلهمات الحلوك ، فليقظة حربه نام عمر الحروب (313) ، وبصرامـة أقدامه تجلت عن زيد الخيل (314) الكروب ، وليوم سلمه خلق الرخا ، والجود والسخا ، ومن ذكائه استعير ذكاء اياس (315) ، ومن حلمه كان للأحنف (316) اقتباس .

قريب النبي المصطفـى وابـن عمـه
وورث ما شاءت قريش وعدنـان (317)

تولـى فقـامت للمعـالي معـالم
وللخير أسـواق وللعـدل ميـزان

صنف (318) رضى الله عنه كتابا أدبيا ملوكيا لولده المولى أبى تاشفين ولي عهده سماه : « نظم السلوك فى سياسة الملوك » ، أتى فيه بالعجب العجاب وضمنه من رائق نظمه ما أزرى بالسحر الحلال (319) .

---

312 – يغلب على الظن أن التنسي يقصد هنا الشاعر الفارس « عمر بن معدي كـرب الزبيدي » المتوفى سنة 21 هـ / 651 م . واشتهر هذا الشاعر الجاهلي بالشجاعة والاقدام ، أدرك الاسلام وشهد وقعتي اليرموك والقادسية .

313 – يغلب على الظن أن التنسي يقصد هنا الشاعر الفارس « عمر بن معدي كرب الزبيدي » المتوفي سنة 21 هـ – 651 م ، واشتهر هذا الشاعر الجاهلي بالشجاعة والاقدام . أدرك الاسلام وشهد وقعتي اليرموك والقادسية .

314 – الشاعر زيد الخيل هو ابن مهلهل بن يزيد وقد سمي زيد الخيل لكثرة خيله ، ومنها الستة التي ذكرها فى شعره وهي الهطال ، والكميت ، والورد ، وكامل ، ودوول ولاحق . وقد توفي سنة 92 هـ / 650 م .

315 – فى «ج» : اباس (بالباء) والراجح ما فى «أ» و «ب» . ولاشك فى أن المؤلف يلمح الى المثل القائل : « أزكن من اياس » . وقد قيل هذا المثل فى اياس معاوية المتوفى سنة 122 هـ / 1793 م وكان قاضيا بالبصرة . وقد اشتهر بعدله فى القضاء فضرب به المثل .

316 – الا حنف بن قيس : من بني تميم كان حليما موصوفا بذلك ، وضرب به المثل فقيل : « احلم من الاحنف » وتوفى سنة 71 هـ / 691 م . ونشير الى أن أبا تمام قد ذكر الاحنف هذا واياس ابن معاوية وعمرو بن معدي كرب فى بيت مدح به أحد الأمراء ، فقال :

اقدام عمرو فى سماحة حاتم فى حلم احنف فى ذكاء اياس .

317 – هذان البيتان من البحر الطويل . ولم نتمكن من معرفة قائلهما .

318 – فى «ب» : صنع ، والأليق ما فى «أ» .

319 – هذا الكتاب معروف بالعنوان التالي « واسطة السلوك فى سياسة الملوك » ، وقد طبع طبعا رديئا من دون تحقيق علمي للنص ، ومن دون مقدمة وهوامش . سنة 1279 هـ / 1862 – 1863 م بتونس فى 175 ص من الحجم المتوسط . وترجمة أيضا الى الانسانية م . كاسبار ونشر بثراكوثا باسبانيا سنة 1899 م (1316 – 317 1هـ).

الاحتفال بالمولد النبوي

وكان يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويحتفل لها بما هو فوق سائر المراسم ، يقيم مدعاة يحشر لها الاشراف والسوقة ، فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وشمع كالأسطوانات ، وأعيان الحضرة على مراتبهم ، تطوف عليهم ولدان ، قد لبسوا أقبية الخز الملون ، وبأيديهم مباخر ومرشات ، ينال منها كل بحظه ، وخزانة المنكانة (320) ذات تماثيل لجين محكمة الصنعة ، بأعلاها أيكة تحمل طائرا فرخاه تحت جناحيه ، ويخاتله فيهما أرقم خارج من كوة بجذر (321) الأيكة صعدا ، وبصدرها أبواب موجفة (322) بعدد ساعات الليل الزمانية ، يصاقب

وقد قسم المؤلف كتابه الذي ضم : « وصايا حكيمة ، وسياسة عملية علمية . مما تختص به الملوك وتنتظم بها أمورهم انتظام السلوك » (ص 3 من النسخة المطبوعة) الى أربعة أبواب : الاول : في قواعد الملك والوصايا والآداب والحكم المرشدة الى طريق الصواب ، والثاني في قواعد الملك وأركانه ، وما يحتاج الملك اليه في قوام سلطانه والباب الثالث في الأوصاف التي هي نظام الملك وكماله ، وبهجته ، وجماله والباب الرابع والاخير : في الفراسة وهي خاتمة السياسة . وأنهى السلطان الكاتب تصنيفه بوصايا وأمثال موجهة لولي عهده . انظر عن هذا الكتاب عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني ، حياته وآثاره (ص 187 — 208) .

320 — ذكر يحيى بن خلدون « البغية » (ج 1 ، ص 56) : أن العالم الرياضي أبا الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الفحام هو مخترع هذه الساعة الدقاقة . فقال عنه : « أعرف أهل زمانه بفنون التعاليم . سبط سلف صالح ، ظهر على يديه من الاعمال الهندسية المنجانة المشهورة بالمغرب » وقد نقل صاحب « نظم الدر » حرفيا وصف هذه المنكانة من « البغية » ، (ج 2 ، ص 40 — 41) كما أشرنا الى ذلك في الفصل الخاص بقيمة الكتاب . ويظهر من كلام التنسي أن هذه الساعة لم تكن موجودة في عهده . فلم يسعه الا أن ينقل وصف يحيى بن خلدون الذي كان قد شاهدها ، غير أن مؤلف « نظم الدر » لم يذكر مصدره . وقد نقل المقري هذا الوصف عن التنسي ، في « نفح الطيب » (ج 6 ، ص 513 — 515) وفي « أزهار الرياض » (ج 1 ، ص 224 — 246) . والمنجانة أو المنقانة أو المنكلة معناها : الساعة والكلمة حسب دوزي

R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, Tome II, p. 617.

أصلها بنكان وهي كلمة فارسية معناها : آلة كان القدماء يقيسون بها الزمن هذا ومازال أهل تلمسان يسمون ساعة الحائط الكبيرة : مكانة ، أما في المغرب الأقصى فالكلمة تعني الساعة على العموم .

321 — في «أ» و «ب» ، بجدرها (بالدال المهملة) وفي «ج» ، بجدد . أما في « البغية » (ج 2 ، ص 40) : بجذر (بالذال المعجمة) ، والراجح أنه الأصح لأن معنى بجذر الأيكة : بأصل الشجرة .

322 — في «ب» : موجعة . وفي «ج» : مرجعة . وعند يحيى بن خلدون (المصدر نفسه) وأيضا عند المقري « نفح الطيب » (ج 6 ، ص 513) : موجفة كما هي في «أ» . وهذا هو الصحيح لأن أوجف الباب : أغلقه . أما عند المقري « أزهار الرياض » (ج 1 ، ص ص 245) : مرتجة .

طرفيها بابان مجفآن (323)//157 أطول من الأولى،وأعرض،وفوق جميعها دوين رأس الخزانة قمر أكمل (324) يسير على خط استواء سير نظيره فى الفلك ، ويسامت أول كل ساعة بابها المرتج فينقض من البابين الكبيرين عقابان بضي كل واحد منهما صنجة (325) صفراء ، يلقيها الى طست من الصفر مجوف بوسطه ثقب (326) ، يفضي بها الى داخل الخزانة ، فيرن وينهش الأرقم أحد الفرخين فيصفر له أبوه ، فهنالك يفتح باب الساعة الذاهبة (327) ، وتبرز منه جارية محتزمة كأظرف ما أنت راء ، بيمناها أضباره (328) فيها اسم ساعتها منظوما ويسراها موضوعة على فيها ، كالمبايعة بالخلافة (329) .

والمسمع قائم ينشد أمداح سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يؤتي آخر الليل بموائد كالهالات دورا ، والرياض نورا ، قد اشتملت من أنواع محاسن المطاعم على ألوان تشتهيها الأنفس ، وتستحسنها الأعين ، وتلذ بسماع أساميها الآذان ،

---

323 — في «ب» : مجفنان . وفي «ج» : مخفنان . وعند يحيى بن خلدون (المصدر نفسه) مجفآن أيضا مثل ما في «أ» ، وهذا هو الصحيح لأن أجفا الباب كأوجفه : اغلقه . أما عند المقري (المصدر نفسه) : كبيران .

324 — فى «ج» : أكحل : والأليق ما في «أ» و «ب» . وهذا ما نجده أيضا عند المقري (المصدان نفسهما) .

325 — فى «ج» : صفحة . وعند يحيى بن خلدون (المصدر نفسه) صنجة أيضا مثل ما فى « أ » و « ب » . وهذا هو الصحيح لان الصنج : آلة من النحاس الاصفر تضرب على أخرى مثلها للطرب .

326 — فى «ب» و «ج» : نقب . وجاء ما عند يحيى بن خلدون (المصدر نفسه) والمقري (المصدران نفسهما) موافقا لما فى «أ» . وهذا هو الأليق .

327 — عند يحيى بن خلدون (المصدر نفسه) : الراهنة . أما عند المقري (المصدران نفسهما) الذهبة . والصحيح ما فى نسخ « نظم الدر » المحفوظة .

328 — في ب و ج : اصبارة . وعند يحيي بن خلدون (المصدر نفسه) : اذبارة . وعند المقري (المصدران نفسهما) ما فى أ وهو الأليق . والاضبارة هنا ، الصحيفة .

329 — وقد نظم يحيي بن خلدون على لسان الدمي الموجودة في المنكانة ، قطعا شعرية تقولها كلما ظهرت على رأس كل ساعة . وقد استهل هذه المجموعة من القطع الشعرية بمقدمة قال فيها ، قلت وامرني أيده (أبو حمو) الله بنظم ابيات على لسان الجواري المعزفات ساعة المنجانة الغريبة الشكل المتقدمة اوصف ، فقلت في ذلك .. » ثم أورد الأبيات المتعلقة بكل ساعة من ساعات النهار . راجع « البغية » (ج 2 ، ص 218 — 222) ونقل المقري أكثر هذه الأبيات فى « نفح الطيب » (ج 6 ، ص 515 — 517) وفى « أزهار الرياض » (ج 1 ، ص 246 — 247) .

ويشره (330) مبصرها للقرب منها، والتناول وان كان ليس بغرثان (331)• والسلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتدأ جلوسه فيه ، وكل ذلك بمرأى منه ومسمع حتى يصلي هنالك صلاة الصبح •

على هذا الأسلوب تمضي ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم فى جميع أيام دولته أعلى الله مقامه فى عليين ، وشكر له فى ذلك صنعه الجميل آمين • وما من ليلة مولد تمر فى أيامه ، الا ونظم فيها قصيدا فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم //158 أول ما يبتديء المسمع فى ذلك الحفل العظيم بانشاده ، ثم يتلوه انشاد من رفع الى مقامه العلي فى تلك الليلة نظما •

أبو حمو يمدح الرسول (ص)

فمما له فى بعض تلك المواليد الشريفة قوله (332) :

قفـــا بين أرجـــاء القبـــاب وبالحي
وحي ديارا للحبيب (333) بها حي (334)

وعـــرج عـــلى نجد وسلع ورامـــة
وسائل فـــدتك النفس في الحي عن مي

وقل ذلك المضنى المعـــذب بالهـــوى
يمـــوت ويحيى فـــارث للميت الحـــي

وبث لهـــم وجـــدي وفـــرط صـــابتي
ورو (335) حديثي فهو أغـــرب مروي

---

330 ـ وفي «ب» : يشهر • وبالهامش كتب لناسخ : ويهش وفي «ج» : ويشهر أيضا • والأصح ما فى «أ» لأن شره الى الطعام وعليه كما هو معروف : اشتد ميله اليه •

331 ـ فى «ب» و «ج» ، غربان ، والصحيح ما فى «أ» لان غرث : جاع ، فهو غرثان •

332 ـ ان القصيدة التالية مذكورة كلها فى « البغية » (ج 2 ، ص 65 ـ 67) •

333 ـ فى «ب» و «ج» : ذيار الجيب ، ولا يستقيم الوزن بهذه الرواية •

334 ـ هذه الأبيات من البحر الطويل •

335 ـ في «ج» : روى ، وفي «البغية» (ج 2 ، ص 65) : والاليق ما في «أ» 1» لمناسبته للوزن »

يعــذبني شــوقي ويضعفني الهــوى
وقلبي (336) على جمر من الشوق محمي
لبست ثيــاب السقم فى دوحة الهــوى
وقد صبغت فى جبهم لــون عــودي
تحليت فى أهــل الهــوى بهواهـم
فمــالي ســوى زي المحبــة من زي
وصرت اذا هبت نسيمـــات أرضهـم
على شجرات البان أوقضب (337) نسري
أميل بهــا شوقــا اليهم وأنثــني
كما ينثني(338)قد الحسام(339)الفرندي
وأصبــو الى أرض الحبيب ومن بهــا
متى ما سرى عــرف النسيم الحجــازي
رعى (340) الله دارا بالحمى قد عهدتها
وسقى رثاها صــوب مزن سمــاوي
فكم نفحــة تحيي الفــؤاد بنشرهــا
أتت بنسيــم عاطــر النشر مســكي
أعــلل نفســي بالنسيــم اذا سرى
وبالبرق اذ يسري وسجع القامــاري

336 ـ فى «ج» : قلب ، والمناسب للمعنى ما فى «أ» و «ب» .

337 ـ فى «ب» : أقصب ، والأليق للمعنى والوزن ما فى «أ» و «ج» . وذلك لأن القضب بضم القاف كما أشكلها كاتب نسخة « أ » ، جمع . قضيب .

338 ـ فى «ج» : ينثني ، والمناسب للوزن ما فى «أ» و «أ» و «ب» .

339 ـ فى «ب» : قد الحسام . وفى «ج» : قد لحسام ، والمناسب للمعنى والوزن ما فى فى «أ» .

340 ـ فى كل النسخ : رعا . والصحيح : رعى .

// 159 أحبـة قلبي مـا أمـر فراقكم
عـلى قلب صب لا يطيـق عـلى شي

حيـاتي ومـوتي فى هواكـم وانني
أعـلل نفسي فيـكم بالأمـاني

لقد أقعـدتني عن حمـاكم قلائـد
وليس عنـاني عن هواكـم بمثـني

فيا أهل نجد أنجدوني عـلى الهـوى
فاني فى بحر من الشـوق لجي (341)

مقيم بأقصى الغـرب أشكو به الجـوى
وحالي عـلى حكم النوى غيـر مخفي

ويا حاديـا يحدو الركـاب اليهـم
أنـخ بربي نجـد وسلـم عـلى طي

وأخبرهـم أني أراعي ذمامهـم
فما لذمـامي عندهـم غير مـرعي

تناسيتـم عهـدي وحفـظ مـودتي
وحبـكم فى القلب ليـس بمنسـي

فيـا ليت شعـري والديار قصيـة
متى تسمح الأيـام لي بلقـا الحي

عسى الدهـر يدنيني ويسمح باللقـا
فيشفي غليـل القلب من ذلك الـري

---

341 ـ في «ب» : لهي . وفي «ج» : لحي وفي « البعثة (ج2 ، ص66) : لجى أيضا . وهذا هو الصحيح لأن اللجي نسبة الى اللج وهو معظم الماء .

فقد طـال هجراني وأعيى تعللي (342)
وأذكى أوار الشـوق لأعـج جمـري

وقد قطعت قلـبي القطيعة والنـوى
بأبيـض هنـدي وأسمـر خـطي

وتالله مـالي غيركـم ان هجـرتـم
فهجركم يـردي ووصلـكم يحـيي

سلام عـلى الدنيا اذا لم أراكم (343)
فمرآكـم فى الحسن أبـدع مـرئي

ويـا أسفي يـوم الحسـاب ويا أسى
اذا كان سـعيي عندكم غيـر مرضـي

// 160 وما أرتجي الا شفاعة خير من
أتى بالهـدى يهـدي بدين حنيـفي

به يرتجي العاصون غفـران ذنبهـم
ومـا عملوا فى الدهـر من عمـل سي

بمـولده قد أشـرق الكون كلـه
وكل سـنى شمس وبدر ودري (344)

---

342 – فى «ب» و «ج» : تدللي . وعند يحي بن خلدون (المصدر نفسه) : تعللي أيضا كما ورد فى «أ» . وهذا هو المناسب للمعنى .

343 – فى كل النسخ وكذلك فى « البغية » (ج 2 ، ص 67) : اراكم بالالف بعد الراء رغم دخول لم . ويصح هذا لمناسبته للوزن ولأن « لم » قد تهمل أحيانا وفى حالات قليلة حسبما ذكر ابن مالك مستشهدا بالبيت التالي :

لولا فوارس من نعم وأسرتهم يوم الصليفـاء لم يوفون بالجـار

بينما خصه نحاة آخرون بالضرورة الشعرية . واجع السيوطي (شرح شواهد المغني » ، ص 674) .

344 – فى «ب» و «ج» : ودوي . وعند يحيى بن خلدون المصدر نفسه) : درى أيضا كرواية «أ» . وهذا هو الصحيح لأن الكوكب الدري هو الثاقب المضيء كالدر . ودري السيف : تلالؤه واشراقه .

سـلام عـلى من بالبقيع وبالـحمى
سلام عـلى البـدر المنيير التهـامي

سلام من المشتاق موسى بن يوسف(345)
عـلى خير خلق الله هـاد ومهـدي

سـلام مشـوق أثقلته ذنـوبـه
وأخـر عن سيـر وقيد عن سـعي

بيثـرب قلبي والحجـاز مـودتي
وان عاقـني عن كل رشـد بـه غي

بنفسـي وروحي أرض طيبة انهـا
شفـاء من الآثـام والزيغ والبـغي

فيـا ليت شعـري هـل أزور محمدا
وأمنح ما أهواه فى منزل الوحي (346)

لئـن أخرتني عـن زيـارة أحمـد
قلائد أمـر قيـدتني عن السـعي

فـربي أرجـو أن يمـن بقـربـه
قريبـا وشـوقي لا يقـابل بالنـأي

عليـه سـلام الله مـا حن شيـق
الى قبـره يطوي الفـلا آيمـا طي

قصائد أخـرى فى المـدح

ومما رفع الى حضرته العلمية فى بعض تلك المواليد الشريفة قـول الأديب البارع المكثر المتفنن أبي عبد الله محمد بن يوسف الثغري (347)

345 – يعني نفسه : فهو أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن .

346 – هذا البيت والذي يليه ناقصان فى «ب» و «ج» . وقد أوردهما يحيى بن خلدون (المصدر نفسه) .

347 – أنظر عن هذا الشاعر تعليقنا رقم 84 من القسم الاول .

فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومدح المولى أبي حمو وولي عهده المولى أبي تاشفين .

// 161 سر المحبة بالدموع يترجم
فالدمع ان تسأل فصيح أعجم (348)
والحال تنطق عن لسان صامت
والصب يصمت والهوى يتكلم
كم رمت كتمان الهوى فوشى به
جفن يتم بكل سر يكتم
جفن تحامى ورده طير الكرى
لما جرى دمعا يمازجه دم (349)
آه وفي (350) شكوى الصبابة راحة
لو أنني أشكو الى من يرحم
وصل الأحبة لو يتاح (351) وصالهم
شهد (352) وهجران الأحبة علقم
والقرب منهم للمتيم جنة
والبعد عنهم للمشوق جهنم
خلوا (353) الصبا يخلص الي نسيمها
فعسى تسلي من عليه تسلم

348 — لقد انفرد التنسي بذكر هذه القصيدة . لم يوردها يحيى بن خلدون ولا مؤلف « زهر البستان » . وهي من البحر الكامل .

349 — البيت ناقص فى «ب» و «ج» .

350 — فى «ب» و «ج» : أ ارى فى ، والمناسب للمعنى والوزن ما فى «أ» .

351 — فى «ب» و «ج» : يباح وفضلنا ابقاء ما فى «أ» .

352 — فى «ج» : سحر ، والمناسب للمعنى ما فى «أ» .

353 — فى «ب» و «ج» : خلو (من دون الف) ، والصحيح ما فى «أ» .

واحيــــرتي بين الصبــابة والصبـــا

لا هذه تنسى ولا ذي تنســــم (354)

هذا الهــوى أذكى الجــوى بجوانحي

بعد النــوى فأنــــا المعني المغــــرم

لا أنس (355) تاريخ الفــراق وما لــه

من روعــة قلــبي بهــــا متـــألــم

مــا مقلتيـــاي جماديــــان وانمـــا

جفـني ربيـــع والمنــــام محـــرم

أستـــــودع الله الذين تحملـــــوا

بالقــلب لــم يلــووا ولـم يتلومــوا

ترمي بهــم أيدي النــوى فمطيهـــم

مثــل القسي وهـــم عليها أسهـــم

واذا جــرى ذكر الحمى اهتزوا كمـــا

يهتــز غصـــن في الريــاض منعـــم

// 162 قسما بزمزم والحطيم وما حوى

من رحمـــة ذاك الحطيـــم وزمـــزم

وبحرمة الحــــرم الشريف ورفعـــة

البيت المنيف ومــن بنجــد خيمـــوا

ومقــــام ابراهيـــم والركـــن الذي

تحمى بــه الآثـــام ســـاعة يلثــــم

---

354 ـ في «ج» : تقسم ، والأليق للمعنى ما في «أ» و «ب» .

355 ـ في «ب» : ما أنسى وفي «ج» ما أنس ، والصحيح ما في «أ» لمناسبته للوزن والقواعد النحوية لأن لا قد تكون ناهية مع فعل المتكلم وهو قليل . راجع السيوطي « شرح شواهد المغني » (ص 626) .

لقد انطوت نفسي عـــلى جمر الغضـــا
شوقـــا يشب عــلى الضلوع ويضرم
ايـه حديث لبـــانة مـــن دونهـــا
بيداء تنجـد بالركاب وتتهـــم (356)
هـل مــن سبيــل للسري حــتى أرى
مغــــنى به لأولي السعـادة مغنـــم
مغـنى يتيـم كل ســـال حسنـــه
قل كيف يسلـو عـن هـواه متيـــم
متنزل (357) الوحي الذي يتــلى فـلا
سمع يمــل ولا لسان يســـأم (358)
يتنــزل (359) الروح الأمين بــه عــلى
خيــر الورى صلـــوا عليه وسلمــوا
شمس الرسالة والنبـــوة والهـــدى
بـــدر الجلالة نورهـــا المتجســـم
هـــو رحمـــة الله التي يهـمي بهـــا
فى الخلــق بالحـــق المبين ويحـــكم
لمـا بـدت أنـــوار مولـــده خبت
نــار لفــارس لــم تــزل تتضرم
وتضعضع الايـــوان مـــن أرجائـــه
وغــــدت بــه شرفـــاته تتهـــدم

356 — البيت والذي يليه ناقصان فى «ب» و «ج» .

357 — فى «ب» و «ج» : منتزل ، والأوفق للمعنى والوزن ما فى «أ» .

358 — فى «ج» زيادة : بل ، فجاء الشطر كما يلي : سمع يمل بل ولا لسان يسام . وهذه الزيادة تفسد الوزن .

359 — فى «ب» و «ج» : يتنزله ، والصحيح ما فى «أ» .

وتساقطت أصنـــام مكــة رهبـــة
والجـــن بالشهب الثواقب ترجـــم

// 163 يا من له قبــل الولاد وبعده
آيـــات (360) ارشـــاد لمـــن يتـــوسم

لك رد قــــرص الشمس بعد غروبهـــا
وانشق بــدر الأفــق وهو متمم (361)

لك جن جـــدع النخــل اذ فارقتــه
شوقـــا كمـــا حنت عشـــار روم

لك أنطق الله الجمـــاد ولـــم يكـــن
لـــولاك يفصـــح بالخطـــاب ويفهـــم

لـــك يا رســـول الله كـــل دلالـــة
لم تبـــق مـــن شـــك لمـــن يتوهـــم

أنت الرؤوف بأمـــــة بشرتهـــــا
يـــوم القيامـــة أنهـــا بـــك ترحـــم

أنت المرفـــع والمشفـــع فى غـــــد
يرجـــو شفاعتـــك المســـيء المجـــرم

أنت المسوغ مشرع (362) الحوض الذي
يـــروى بكوثـــره التقـــي المسلـــم

أنت المبلـــغ حكمـــة الذكـــر الـــذي
بينت فيـــه مـــا يحـــل ويحـــرم

---

360 – فى «ج» : آية ، والصحيح ما فى «أ» و «ب» .

361 – فى «ب» : مقسم والكلمة غير واضحة فى «ج» . والمناسب للمعنى ما فى «أ» .

362 – «ب» : مشرب ، واحتفظنا بما فى «أ» و «ب» .

أنت الــذي نبــع الــزلال بكفــــه
حــتى تروى الجيــش وهــو عرمــرم

أسريت للسبـــــع الطبــــاق فأقبلت
أملاكهــا طــرا عليــك تسلــــم

وتبركت بصلاتـــــك الارســـــال اذ
صلت وأنــت أمامهــا المتقـــــدم

رفعت لك الحجب (363) العظيمة فاعتلى
بــك للعلــى ذاك المقــام الأعظــم

حتى سمعت صريف (364) أقــلام بمــا
فى اللوح محفــوظا تخط وترســم

فى حيــث لا ملــك ولا فلــك ولا
نجــم ولا علــم هنــالك يعلــم

// 164 تلك المراتب لم يكن لينالهــا
الا النبي الهاشــمي الأكـــرم (365)

مــاذا عسى يثــني عليــه مقصــر
وبمدحــه نــزل الكتــاب المحكــم

يا خاتم الرسل الكــرام وخير من (366)
يبدا به الذكر الجميــل ويختــم (367)

363 – في «ج» الحجة ، والمناسب للمعنى ما في «أ» و «ب» .
364 – فى «ب» : صرير . وأبقينا ما فى «أ» و «ب» . وصريف الباب : صريره ، وصريف القلم : صوت جريانه .
365 – هذا البيت والذي يليه ناقصان فى «ب» و «ج» .
366 – فى «ب» و «ج» : وخير من غدا . وزيادة كلمة غدا لا تناسب المعنى ولا الوزن .
367 – فى «ج» : الذكر والحكم يختم ، والصحيح ما فى «أ» و «ب» لمناسبته للمعنى وللوزن .

مــالي ســـوى حبي اليك وسيلـــة
ونظـــام مــدح فى عــلاك ينظـــم

اني بجاهـــك واثـــق متمســـك
بالعـــروة الوثـــقى التي لا تفصـــم

يا نفـــس صبـــح الشيب لاح وأنت في
ليل الغـــواية وهـــو ليـــل مظلـــم

واللهـــو طاربـــه غـــراب شبيبتي
وحمـــام شيبي للحمـــام يحـــوم

زجرتـــك بارقة الهـــدى لو ترعـــوي
ونهتك واعظة النـــهى (368) لو تعلـــم

وجـــلاء عقـــل المـــرء فهـــم ثاقب
يرضي التقي أفديـــك يا من يفهـــم

يا رب عفـــوا عن ذنـــوبي كلهـــا
عفـــوا تمـــن به عـــلي وتنعـــم

وانصر خليفتك (369) الذي لبس التقى
حلـــلا تطـــرز بالثنـــاء وترقـــم

وأقـــام ليلـــة مولد الهـــادي الذي
يزهـــو (370) به الدين الحنيف القيـــم

ظفر التقى والعـــدل من مـــوسى الرضى
بالجوهر الفـــرد الذي لا يتـــأم (371)

---

368 – فى «ب» : الندى ، ولا تناسب هذه الكلمة السياق .

369 – فى «ب» و «ج» : خليفتنا ، وابقينا ما فى «أ» .

370 – فى «أ» و «ب» : يزهى ، والصحيح من «ب» .

371 – البيت والذي بعده ناقصان فى «ب» و «ج» .

ملـك تقـــر لــه الملـــوك بأنـــه
بالدين أقـــوى والخلافـــة أقـــوم

يحمي (372) الأنـــام بعدله وحســامه
فالظلـــم يقصي والمعـــاند يقصـــم

// 156 مستشعر تقوى الاله فعنـده
يبني (373) التـــورع والتصنع يهـــدم

لـــولا سجايـــاه الجليلـــة لم تـــكن
تحكي المفاخر والمآثر تحكـــم (374)

لـــولا عطايـــاه الجزيلـــة لم تـــكن
تعلى الأكـــارم والمكـــارم تعلـــم

يـــا أيهـــا الملـــك التقي ومن لـــه
شرف عـــلى سمـــك السماك مخيـــم

أعطيت بالعـــدل الخـــلافة حقهـــا
فملوكهـــا فى حقهـــا لـــك سلمـــوا

بهرتهـــم أوصافـــك الزهـــر الـــتي
منها عـــلى زهر الكـــواكب ميســـم

جود واحســـان وقصد فى الهـــدى
حسن وعقـــد فى التقى مستحـــكم

وتواضع يعلي وقـــدر (375) يعتـــلي
ونـــدى يد تهـــمي وبشر يبســـم

372 ـ فى «ب» و «ج» : محي ، والانسب للمعنى ما فى «أ» .

373 ـ فى «ب» : يبث وفي «ج» بيتا ، والأليق للمعنى ما في «أ» .

374 ـ في «ب» و «ج» : وبه . وكتب الناسخ بهامش «ب» : وتواضع يعلى وأمر يعتلي .
وفضلنا ابقاء ما فى «أ» .

والحلم (376) أوسع والجناب مؤمل
والعز أمنع والسجية أكرم

والفخر أعظم والعلاء مؤثل
والفضل أكمل والعطاء متمم (377)

الله حسبك ما لمحمد غاية
الا وأنت لشأوها متقدم

أعددت للأعداء عدتها التي
بسلاحها يلقي العدو فيهزم

فكأنما تلك السيوف بوارق
تعري فتغمد فى العدو وتدغم (378)

وكأنما تلك الذوابل أغصن
وبكل عالية سنان لهذم

وكأنما تلك القسى أهلة
تنقض مثل الشهب عنها الأسهم

//166وكأن تلك العاديات اذا عدت (379)
سرب لشرب دم الأعادي حوم

وكأن سابحها (380) عقاب كاسر (381)
وعليه من أسد الفوارس ضيغم

---

376 ـ فى «ب» و «ج» : والحكم ، والأليق ما فى «أ» .

377 ـ البيت والذي يتبعه ناقصان فى «ب» و «ج» .

378 ـ فى «ب» : ترغم (بالغين المعجمة) وفى «ج» : ترعم (بالعين المهملة) . والأصح ما فى «أ» لأن دغم الشيء فى الشيء : أدخله فيه كما هو معروف .

379 ـ فى «ج» : عادت ، والأنسب للمعنى والوزن ما فى «أ» و «ب» .

فالبيـــض تمضي والذوابل تنثـــني
والخيل تـردي والفـــوارس تغنـــم

ولديك جيش (382) من سعـودك غالب
ان السعـــود كتـــائب لا تهــزم

وأسود حـرب من بنيك تخيــم عــن
أقدامها أســد الحـــروب وتحجــم

فكأنهـم وولي عهـــدك يدرهـــم
بسمـــاء حضرتك العليـــة أنجـــم

ما عابـــد الرحمن أن تســـأل بـــه
الا هزبـــر (383) فى الكريهة ضيغـــم

شهم يعل (384) البيض من مهج العدى
والسمر (385) فى ثغر النحور يحكم (386)

مــا أم يومـــا وجهـــة الا انثنـــي
بالنصر يقتـــاد الفتـــوح ويقـــدم

دامت (387) علاك لهم ودام بمدحكـم
طـير السعـــادة دائمـــا يترنـــم

---

380 – في «ج» : سامحها ، والأليق للمعنى ما في «أ» و «ب» .

381 – فى «ج» : كاسير ، والأنسب للمعنى والوزن ما فى «أ» و «ب» ، وذلك أنه يقال : عقاب كاسر ، اي منقض يكسر جناحيه أو يكسر ما يصيد كسرا .

382 – فى «ب» و «ج» : حسن ، والأليق للمعنى ما فى «أ» .

383 – فى «ج» : هزيز ، والأنسب للمعنى ما فى «أ» و «ب» . والهزير هو الأسد .

384 – فى «ب» ، يبل و فى «ج» : هل ، والأصح والأبلغ ما فى «أ» ، مع أن معنى بل ومعنى عل متقاربان ، وذلك أنه يقال عله اي سقاه .

385 – فى «ب» ، الصمر ، والأصح ما فى «أ» و «ج» لأن السمر كما هو معروف جمع الأسمر وهو الرمح .

واليـــك مـــن بـ ـدع البيـــان بديعـــة
قد حل فيهـــا السحـــر وهـــو محـــرم

روض مـــن الآداب جيـــد بجودكـــم
فغـــدت لكـــم أزهـــاره تتبســـم (388)

فاخلد ودم واهنـــأ بموســـم مولـــد
لمحمـــد الهـــادي فنعـــم الموســـم

وما قاله المولى (389) أبو حمو وقيل (390) فيه من الشعر كثير لا يحتمله هذا المجموع • ونحن نجمعه ان شاء الله فى كتاب يختص به بعد فراغنا من هذا المجموع (391) •

مـــآثر أبـــي حمـــو

وأما حروبه // 167 ووقائعه فى العرب ، وزناته ، وسوق عمال بني مرين اليه فى السلاسل ، وحركاته الى بلادهم ، وتحركهم عليه وما كان بينه وبينهم من الوقائع ، فأمر لا يحيط به هذا المجموع ، وقد تولى ذلك صاحب «بغية الرواد» (392) وصاحب « زهر البستان » (393) فلا نطول بـــه •

---

387 ـ فى «ب» ، دانت ، والأليق للمعنى ما فى «أ» و «ج» •

388 ـ فى «ب» ، تتنسم • وفى ج : تنسم • ومع نأ ما فى «ب» قد يجوز ، احتفظنا بما فى «أ» •

389 ـ نفس في «ب» : المولى •

390 ـ زيادة فى «ب» : وما • فقال : « وما قيل فيه » • ونقص فى «ج» : « وقيل فيه من الشعر » •

391 ـ سمى التنسي كتابه « راح الارواح فيما قاله أبو حمو وقيل فيه من الامداح » • راجع « البستان » ، (ص 248) • وهذا الكتاب فى حكم المفقود كما ذكرنا سابقا فى الفصل الخاص بآثار المؤلف •

وأما اعتناؤه بالعلم وأهله فأمر يقصر اللسان عن الاجابة به . وفي دولته كان الامام العالم المتفنن البحر ، الحبر ، شريف العلماء وعـالم الشرفاء ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحيى بن محمد بن القاسم بن حمود 394 ، من سبط أدريس بن ادريس (395) المتقدم ذكره فكان له محبا ومعظما وبه حفيا ومكرما ، اذ كان واحد عصره دينا وعلما نقلا وعقلا ، انتفع به الناس حيا ، وبتصانيفه (396) ، ميتا ، فكان يوجهه فى الرسائل للأمور المهمة (397) ، ويلتمس بركة بيته الشريف فى كشف الخطوب المدلهمة ، وله بنى مدرسته الكريمة حين توفي والده الى تلمسان ودفن بباب ايلان (399) ثم نقل الى جوار أخويه السلطانين
الى تلمسان ودفن بباب ايلان (399) ثم نقل الى جوار أخويه السطانين
أبي سعيد وأبي ثابت .

---

392 – « بغية الرواد فى ذكر الملوك من بني عبد الواد ، وما حازه مولانا أبو حمو من الشرف الشاهق الاطواد .. تأليف يحيى بن خلدون . وكان هذا الكتاب كما ذكرنا سابقا فى الفصل الخاص بمراجع « نظم الدر » ، أهم مصدر للتنسي .

393 – « زهر البستان فى دولة بني زيان » لمؤلف مجهول ذكرناه فى حديثنا عن مصادر « نظم الدر » .

394 – فى «ب» و «ج» : حمو . والصحيح حمود .

395 – ابو عبد الله الشريف من أشهر علماء عصره . وقد قال عنه ابن مريم (« البستان » ، ص 164) : « هو فارس المعقول والمنقول » . وتوفى سنة 771 هـ / 1369 – 1370 م . ترجم له يحيى بن خلدون (« البغية » ، ج 1 ، ص 57) . وخصص له ابن مريم (« البستان » ، ص 164 – 184) ترجمة طويلة . وقد ذكره المؤلف فى القسم السابق الخاص بالادارسة .

396 – ذكر له ابن مريم (« البستان » ، ص 173) من التآليف « مفتاح الوصال فى بناء الفروع على الاصول » (فى أصول الفقه) ، « وشرح جمل الخونجي » ، وتأليفا فى المعاطات (كذا) ، ثم قال ابن مريم (المصدر نفسه) : « كان قليل التأليف وانما اعتناؤه بالاقراء » .

397 – ذكر يحيى بن خلدون « (البغية » ، ج 2 ، الصفحات 101 – 132 – 166) أن ابا حمو وأسله للاثمرات فى مهمات .

398 – فى « البغية » (ج 2، ص 103) : توفى أبو يعقوب فى أوائل شعبان 763 هـ / أواخر مايو 1362 .

399 – ما زال اسم هذا الباب معروفا عند سكان تلمسان . ويطلقونه على حي من أحياء المدينة . وقد حرف الفرنسيون الاسم أثناء احتلالهم للجزائر ، فسموا شارعا فى حي باب ايلان باسم بابيلون وهو الاسم الفرنسي لمدينة بابل . وبما ان باب ايلان كان واقعا فى وسط المدينة ، وبعيدا عن كل الاسوار التي كانت تحيط بتلمسان ، افترض المستشرقان جورج واخوه ويليام مارسي أن يكون باب ايلان مثل باب الصرف وباب البنود : بابا لحي من أحياء المدينة . راجع :

W. et G. Marcais, *Les Monuments arabes de Tlemcen*, p. 117.

فلما كملت المدرسة (400) ، نقلوا ثلاثتهم اليها ، واحتفل بها وأكثر عليها من الأوقاف ، ورتب فيها الجرايات ، وقدم للتدريس فيها الشريف أبا عبد الله المذكور ، وحضر مجلس اقرائه فيها جالسا على الحصير ، تواضعا للعلم ، واكراما له . فلما انقضى المجلس أشهد بتلك الأوقاف وكسا طلبتها كلهم ، وأطعم الناس ، وطول الله مدته حتى ختم السيد أبو عبد الله المذكور تفسير القرآن العزيز فيها ، فاحتفل أيضا لحضور ذلك الختم ، وأطعم فيه الناس ، وكان موسما عظيما .

هـلاك أبـي حمـو

ثم//168 جرت (401) السعايات بينه وبين ولي عهده المولى أبي تاشفين بأمور يسمج (402) ذكرها ، فرأى اطفاء شر (403) تلك السعايات (404) بأن خلع نفسه لولي عهده ، وتوجه الى المشرق فى البحر مظهرا الحج . فلما نزل ببجاية (*) ، عاد متوجها الى تلمسان مستجيشا كل من ببلاده المشرقية ، من عرب وزناتة ، ففر المولى أبو تاشفين أمامه خائفا علاديته لأمور وقعت منه فى اخوته ، فلحق بفاس فاستجاش بني مرين ، فبعث معـه السلطان أحمد المريني (405) زيان بن عمـر الوطاسي (406) ،

400 – قام صاحب « زهر البستان » (ورقة 84 و) بوصف المدرسة فى كتابه . وقد انتهى بناؤها سنة 765 هـ / 1363 م حسبما جاء فى « البغية » (ج 2 ، ص 136) ، وكانت هذه المدرسة جزءا من مجموعة بنايات لم يبق منها الا مسجد سمى فيما بعد « بجامع سيدي ابراهيم » المصمودي المتوفى سنة 804 هـ / 1401 م .

401 – فى هامش «ب» : خلع السلطان أبي حمو وبيعة ابنه أبي تاشفين . ينتقل التنسي من أخبار سنة 765 هـ الى أخبار سنة 791 هـ التي قضى السلطان أبو حمو فيها نحبه، ومن بين الاخبار التي أهمل المؤلف ذكرها اغتيال يحيى بن خلدون . وقد ذهب يحيى ضحية مؤامرة دبرها ولي العهد أبو تاشفين سنة 780 هـ / 1378 م كما قدمنا فى الفصل الخاص بقيمة الكتاب .

402 – فى «ج» : بسمح ، والصحيح ما فى «أ» و «ب» لأن سمج : خبث .

403 – نقص فى «ب» : شر .

404 – قال ابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 298) : « اتهم أبو تاشفين بممالاة اخوته عليه » . راجع تفاصيل الازمة فى ج 7 ، ص ص 298 – 305 .

405 – تولى السلطان المريني أبو العباس أحمد المستنصر الملك مرتين ، الاولى من سنة 776 هـ / 1374 م الى سنة 786 هـ / 1384 . ثم للمرة الثانية من سنة 789 هـ / 1387 م الى سنة 796 هـ / 1393 م .

406 – في «أ» ، الواطاسي .

بجيوش عظيمة ، وجاؤوا متوجهين الى تلمسان فلما وصل خبرهم ، خرج المولى أبو حمو الى لقائهم بمن معه غير مكترث ، فلقيهم بجبل بني ورنيد (407) فاقتتلوا قتالا شديدا ، فاتفق أن كبا الفرس بالمولى أبي حمو (408) ، فاشتشهد رحمة الله عليه ، غرة ذي حجة سنة احدى وتسعين . فيا له من موقف هائل ، وخطب رزء شامل ، فى مثله يقول القائل (409) .

ما بعد يومك للمعنى المدنف
غير العويل وحسرة المتأسف (410)

كم لوعة ألفيتها مكتومة
فى قلبي المتلهب (411) المتلهف

عز العزاء فكل هم ثابت
مما ألم وكل صبر منتف

غلب البكاء فأي طرف لم يفض
أسفا وأية مقلة لم تطرف

قد خلت أن الدمع يطفي لوعة
حتى جرى فرأيتها ما تنطفي

هتف الأسى بقلوبنا فتصدعت
ليت الأسى بقلوبنا لم يهتف

407 – في «أ» : ورنيد . والأصح : ورنيد . راجع تعليقنا السبق رقم 29 . ومما قال ابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 304) « فخرج (أبو حمو) من تلمسان ... وقطع جبل بني ورنيد المطل على تلمسان » .

408 – نقص في «ب» و «ج» : « الى لقائهم ... أبي حمو » .

409 – لم نتوصل الى معرفة قائل هذه الابيات .

410 – هذه الابيات من البحر الكامل .

411 – فى «ب» و «ج» ، المتاهب ، والأليق للمعنى ما فى «أ» .

جار الزمـــان عـــلى الـــذي رعنـــا بـــه
//169 صرف الزمان اذا عرى بتحيف (412)

ما أجـــرأ الحدثـــان كيـــف عـــدا عـــلى
الأســـد المخوف سطـــا ولـــم يتخـــوف

مـــا أغـــدر الأيـــام كـــم قـــد أودعت
عهـــد الكـــرام فضيعتـــه ولـــــم تـــف

مـــا أسرع الأقـــدار فى تقويـــض مـــا
شادتـــه مـــن حسنـــى ولـــم تتـــوقف

من ذار رأى الأسد الهصور (413) فريسة
أو أبصر الصبـــح المنيـــر وقد خـــفي

مـــن كافـــل للمرملـــين ببرهـــم
مـــن بعـــده بترحـــم وتعطـــف

من للعلى من للنـــدى مـــن للهـــدى
من للطريـــد (414) أجـــل وللستضعف

مـــن للفقيـــه وللفقـــير اذا انتـــدى
النـــادي وللمتصـــون المتصـــرف

مـــن ثـــابت دون الكمـــاة ســـواه ان
زلت بهـــم أقدامهـــم فى المـــوقف

ما كان أسنى البـــدر لـــو لـــم يستتـــر
ما كان أبهى الشمـــس لـــو لـــم تكسف

---

412 ـ فى فى «ب» : اذا غرا يتخيف . وفى «ج» : اذا عرا فتحيف والأليق للمعنى فى «أ» لان عرى وعرا كما هو معروف الم ، والتحيف الجور والظلم .

413 ـ فى «ب» و «ج» : المصور . والمناسب للمعنى ما فى «أ» لان هصر الأسد فريسته : كسرهـــا .

414 ـ فى «ب» و «ج» : للضرير ، والكلمتان مناسبتان للمعنى فاحتفظنا بما فى «أ» .

ما كـان أنـدل كفـــه للمجتـــدى
مـا كـــان أبشر وجهـــه للمعتفـــي

مـا كـان أكثـره لنغمـــة سائـــل
طربـــا وأسمحـــه ببغيـة ملحـــف

عجبـا لأطـواد الجبـــال رواسيـــا
ثبتت ويوم نعيــه (415) لم ترجف (416)

رجف الفـؤاد لصـوت ناعيـه فمـــا
صدقتـــه بـل قلت فريـــة مرجـف

لهفـي عليـــه لمستضـــام يرتجـــي
الانصاف منــه ومــا لـه مـن منصف

لهفـي عليـــه لمستميـــح يبتغـــي
170// الاسعاف منه وما له من مسعف

لهفـي عليـه لمـن جفـــاه زمانـــه
فرجـــا لديـــه حفـــارة المتعطـف

لهفـي عـلى تلـك السجايـا انهـــا
كانت أرق من السلاف (417) القرقف

فجع الندى والباس منه بحاتـم (418)
وبحيدر (419) والحلم منه بأحنف (420)

---

415 ـ فى «ب» و «ج» : لغيه ، والانسب للمعنى ما فى «أ» .

416 ـ فى «ب» و «ج» : تزحف ، وابقينا ما فى «أ» مع أن ما فى «ب» و «ج» يناسب المعنى أيضا .

417 ـ فى «ب» و «ج» : السلافة ، والأنسب للوزن ما فى (أ) .
مأا فيما يخص المعنى فالسلاف والسلافة شيء واحد وهو « ما سال وتحلب قبل العصر وهو أفضل الخمر » .

418 ـ من المعروف أن حاتم الطائي المتوفي سنة 605 م شاعر عربي مشهور ، عرف بشجاعته وكرمه .

419 ـ يغلب على الظن أن الشاعر يعني بحيدر : الامام علي بن أبي طالب .

دولة أبي تاشفين الثاني (421)

ثم بويع الملك الكامل الأسد الباسل ، أشمخ الملوك أنفا ، وأعلاهم وأحقهم بالتقدم وأولاهم وأطهرهم (422) وأظهرهم وأقواهم وأقدرهم وأرجحهم رأيا ، وأنجحهم سعيا ، وأصدقهم قولا ، وأوسعهم طولا ، ذو الحكم العادل ، والفضل الشامل ، والثناء الطيب ، والجود الصيب ، والسياسة الشاملة ، والسعادة الكاملة ، الذي لم يزل فى معراج العلى يسمو ، مولانا أبو تاشفين بن مولانا أبي حمو • فسما أمره ، وعلا قدره ، وحلا ذكره ، وشمل الرعية خيره ، واتسعت مملكته فى الأقطار ، وطار الثناء عليه كل مطار ودوخ البربر والعربان ، وملك من ملوية (*) الى جبل الزان (*) (423) كان أعلى الله مقامه بكر أبيه الحظى لديه ، وعلقه النفيس العزيز عليه ، ولد له بندرومة (*) أيام كونه بها مع أبيه المولى أبي يعقوب زمن انقطاعه فيها للعبادة ، أول شهر ربيع الأول سنة / ثنتين وخمسين وتسعمائة (424) •

فلما كانت الوقعة التي قتل فيها السلطان أبو سعيد عمه ، وفر فيها المولى أبو حمو مع عمه المولى أبي ثابت كما قدمنا (425) ، لم يزل هو بندرومة (*) ، فأمر السلطان أبو عنان أن لا يعرض لهما • وقال فى المولى أبي يعقوب : « هو بقية // 171 الناس وممن سلك سبيل السلف الصالح » • ونقلها الى فاس ، فكانا بها مكرمين •

فلما كانت السنة التي تملك فيها المولى أبو حمو تلمسان ، وأخرج منها محمد بن أبي عنان ممتنا عليه كما قدمنا ، تألب بنو عريف بن

---

420 – سبق ذكره ، أنظر تعليقنا السابق رقم 316 .

421 تولى أبو تاشفين الحكم من سنة 791 هـ / 1389 م الى سنة 795 هـ / 1383 م •

422 – نقص فى «ج» : وأطهرهم .

423 – ذكر المؤلف هنا حدود المملكة الزيانية من الناحيتين الشرقية والغربية .

424 – 752 هـ = 1351 م •

425 – أنظر عن الحادث تعليقنا السابق رقم 280 .

يحيى (426) ، وكانوا شيعة مرين ، فنهضوا بأجمعهم على الصحراء ، حتى لحقوا ببني مرين فاستنهضوهم للتحرك على تلمسان ، وأميرهم يومئذ أبو بكر بن أبي عنان الملقب بالسعيد (427) صغيرا محجورا لقاتل أبيه الحسن بن عمر الفودودي (428) • فوجهوا معهم جيشا مرؤوسا بمسعود بن رحو الفودودي (429) ، فالتقوا بظاهر وجدة (*) (430) فهزم الله مرين ، واضطرب أمرهم وافترقوا ، فخلعوا السعيد ، وبايع أكثرهم منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق وبعثوا بالصلح • فانعقد بينهم وبين المولى أبي حمو وغربوا آمنين • فلما وصلوا دار ملكهم كان أول ما بدأ به منصور بن سليمان ارضاء المولى أبي حمو بارسال ولده ووالده اليه على أتم وجوه البر والاكرام ، فقدما عليه سابع عشر رجب (431) ، وكان يوما مشهودا •

فبعد سبعة عشر يوما من مقدمها ، تحرك المولى أبو يعقوب بجيش عظيم لجهة الشرق وافتكاكها من أيدي عمال بني مرين ، فمهد شلف (*) (432) وافتتح مليانة (*) والمدية (*) (433) والجزائر (*) وبهامات حسبما قدمناه •

---

426 – أنظر عن ونزمار بن عريف تعليقنا السابق رقم 262 وعن أولاد عريف تعليقنا رقم 300.

427 – ذكر ابن الاحمر (« روضة النسرين » ، ص 30) أن هذا السلطان المريني • بويع يوم الاربعاء 15 لذي الحجة من عام 759 وخلع يوم الثلاثاء 12 لشعبان سنة 760 » . وقال الناصري (« الاستقصاء ، ج 4 ، ص 3) » هذا السلطان أول من استبد عليه من ملوك بني مرين » الى أن قال : « بويع وأبوه (أبو عنان) مريض .. وكان محجوبا بوزيره حسن بن عمر الفودودي لا يملك معه ضرا ولا نفعا » .

428 – في «ب» : الفرددي . وفي «ج» : الفدودي . وعند الناصري (المصدر نفسه) وابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 257) : الفودودي ، وضبط كاتب نسخة «ا» الفاء من فودودي بضمة .

429 – مسعود بن رحو الفودودي هو ابن عم الوزير الحسن بن عمر السابق الذكر ابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 257) وسماه أيضا ابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 629) : مسعود بن رحو بن ماساي .

430 – دارت هذه المعركة في آخر جمادي الاولى سنة 760 هـ / بأريل 1350 م . واجع تفاصيلها في « البغيـة » ، (ج 2، ص 50 – 52) وفي « العبـر » ، (ج 7 ، ص 629 – 630) .

431 – 17 رجب من سنة 760 هـ = 4 يونيو 1359 م .

432 – في «أ» : شلفا ، والتصحيح من «ب» و «ج» ، وهو الأصح لأن الكلمة لا تصرف للعلمية والعجمة .

وكان يحتفل لليلة (438) مولد (439) المصطفى صلى الله عليه وسلم ، من دوحته ، يوليه محاربة الأعداء ، فيلبسهم أردية الردى الى أن ولاه عهده ، وفوض اليه أمره ونهيه ، فبنى لمعاليه أركانا ، واتخذ لها من المكارم أعوانا ، الى أن كان من أمره ما قدمنا ذكره •

فلما تملك كان عين // 172 الفضل والجـود والكرم ، ومعدن النزاهة (434) ورفعة القدر ، وعلو الفهم ، يشره الى تحصيل غـرر المعالي ، ويتناولها بظبات (435) الصفاح وأسنة العوالي ، ويقتدي بأبيه في كل مأثرة من القول والفعل ، ويحدو على مثال طريقته حذو (436) النعل بالنعل ، فسير جيوشه من مملكة أسلافه في البعد والقرب ، ودوخ ما كان استعصى على غيره بالشرق (437) والغرب •

الاحتفال بالمولد النبوي

وكان يحتفل لليلة (483) مولد (439) المصطفى صلى الله عليه وسلم ، بأعظم الاحتفال ، ونسجه ونسج أبيه في ذلك على منوال ، ويرفع اليه من المادح الغر الحجال ، ما يزري بأمداح سيف الدولة (440) وشمس

---

433 ــ في «ب» و «ج» : المرية (بالراء) والصحيح ما في «أ» ، والخطأ واضح لأن المدية (*) مدينة معروفة بالمغرب الاوسط قد مر ذكرها • أما المرية فهي مدينة معروفة أيضا بالأندلس •

434 ــ في «ب» : التزامه ، وفي «ج» : الرأفة ، والأليق ما في «أ» •

435 ــ في «ب» و «ج» : بصفات ، ولأصح ما في «أ» لأن معنى الظبة كما هو معروف : حد السيف والسنان •

436 ــ في «ب» : حدو بالدال المهملة ، والصحيح ما في «أ» و «ج» لأنه يقال « حذ النعل بالنعل » : قدرها بها وقطعها على مثالها • ويضرب المثل للمكافأة ومساواتها بقولهم : « جزيته حذو النعل بالنعل » •

437 ــ في «ب» : بالمشرق •

438 ــ في «ج» : ليلة ، والأليق ما في «أ» و «ب» •

439 ــ نقص في «ب» : مولد •

440 ــ سيف الدولة الحمداني المتوفى سنة 52 3هـ / 964 م صاحب امارة حلب • اشتهر بشجاعته وحمايته للادباء والشعراء ومنهم المتنبي الذي خصه بشطر وافر من أمداحه •

المعالي (441) ، ويثيب عليها من عظيم النوال ، بما لم يسمع بمثله في سالف الأحوال ، ومن أبدعها ما رفعه الى حضرته العلية أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري (442) في أول مولد أقامه صدر تملكه ، مادحا له ولوالده ومعزيا له به . وهي من حر قصائده وهو قوله (443) :

شـرف النفـــوس طلابهـــا لعلاهـــا
ولباسها التقوى أجل(444) حلاها (445)

فبهـــا تنـــال العـــز فى الدنيـــا اذا
دانت (446) بهـــا والفوز فى أخراهـــا

فاخلع لبوسك من ســـوى ثـــوب التقى
ما للنفوس حـــلى ســـوى تقواهـــا

أوصي بها نفسي ومـــا من أمـــة
الا وخالقهـــا بهـــا أوصـــاهـــا

من لي بنفـــس تـــدعى طلب العـــلى
قـــولا فيثبت فعلهـــا دعواهـــا (447)

من لي بنفس تمتطي خطر (448) السرى
// 173 لترى مناها عند خيف منـــاها

441 ـ فى «أ» : شمس المعال (من دون باء) وفى «ب» : شمس الحلل . وشمس المعالي هو قابوس بن وشمكير وهو ملك من ملوك جرجان وطبرستان ، تولي الملك سنة 366 هـ / 976 م ، وخلع سنة 403 هـ / 1012 م . ولقبه الخليفة الطائع لله « بشمس المعالي » . وكان قابوس من الملوك الادباء .

442 ـ أنظر عن هذا الشاعر تعليقنا السابق رقم 22 .

443 ـ انفرد التنسي بذكر هذه القصيدة . اذ اننا لم نجدها عند يحيى بن خلدون ولا فى « زهر البستان » ولا عند المقري .

444 ـ فى « ج » : جل ، والمناسب للمعنى والوزن ما فى « أ » .

445 ـ هذه الأبيات من البحر الكامل .

446 ـ فى « ب » و « ج » كانت والمناسب للمعنى ما فى « أ » لأن دان معناها عز .

447 ـ فى « ب » : مكان « قولا فيثبت فعلها » كلمتان لا معنى لهما . وفى « ج » : فولا فيثبتها والمناسب للمعنى والوزن ما فى «أ» .

448 ـ فى «ب» : خصر ، والمناسب للمعنى ما فى «أ» .

سعـدت اذا وردت نفـوس زمزمـا
وشفت بمنهلهـا غليـل صداهـا

وبسعيها سبعـا (449) ليقبـل سعيهـا
ما بـين مروتهـا وبـين صفاهـا

واذا هـي اعتـرفت عـلى عرفاتهـا
غفـرت خطاياهـا بحث (450) خطاهـا

طـاف الأنـام بكعبـة الله التـي
لـم يجعـل البيت الحـرام سواهـا

واختارهـا لنبيـه فى قولـه
لنولينـك (451) قبلـة ترضاهـا

طافـوا بهـا سبعـا ومهمـا قابلـوا
ركـن اليمانـي قبلـوا يمناهـا

ولدى (452) صلاتهـم اليهـا وجهـوا
من حيث داروا أوجها وجباهـا (453)

لله قـوم أيقظـوا عزماتهـم
فكأنهـا شهب تضـيء دجاهـا

وصلوا السرى بالعيس تنفخ فى البـرى
وفلوا بايدي اليعمـلات فلاهـا (454)

---

449 ـ فى «ب» و «ج» : ولسعيها ، والأليق للمعنى ما فى «ا» .
450 ـ فى «ب» و «ج» : تحث ، والمناسب للمعنى ما فى «ا» .
451 ـ فى «ب» : لنوليك ، وفى «ج» : نوليك والصحيح ما فى «ا» .
452 ـ فى «ب» و «ج» : واذا ، والأنسب للمعنى ما فى «ا» .
453 ـ فى «ج» ، حياها ، والأنسب للمعنى والوزن ما فى «ا» و «ب» .
454 ـ فى «ب» : الشطر الثاني من البيت مكتوب كما يلي :
وبأيدي الفلات فلاها . وفى « ج » : الشطر غير تام أيضا ولا معنى لما نقل الناسخ ، وابقينا ما فى «ا» لمناسبته للوزن والمعنى .

والى الحمى قبل الحمام سرت بهم
ظعن يسر الظاعنين سراها
نجب هواها فى الحجاز ووردها
ماء العذيب فخلها وهواها
تغنيك شدة شوقها عن سوقها
فاخلع براها فالغرام براها
أو ما تراها كالقسي ضوامرا
والركب مثل النبل فوق ذراها
دأبوا (455) على السير الحثيث وحثهم
شوق يذود عن الجفون كراها
حتى بدا القمر الذي لولاه ما
// 174 بدت النجوم ولا بدا قمراها
قمر بيثرب أشرقت أنواره
حتى أضاءت أرضها وسماها
وبدت لرأي العين أرض الشام من
أرض الحجاز وأبصرت بصراها
دنت النجوم اليه عند ولاده
وتود لو كان الثرى مثواها
كم آية قبل الولاد وبعده
دلتك أولاها على أخراها
قصرت بأرض الشام قيصرها كما
•كسرت بأرض الفرس من كسراها
أعلى الأنام علا وأحلاهم حلى
وأجلهم قدرا وأعظم جاها

هــو أحمــد ومحمـــد والمجتبـــي
والمصطفـى والمـــدح لا يتناهـــى

وافى مـــن الذكـــر الحكيـــم بآيـــة
تلت جبـــين الشرك حـــين تلاهـــا

والى جميـــع الخلـــق بلـــغ حكمهـــا
وعـــلى منصـــة الاشتهـــار جلاهـــا

والـــى سيـــادتـــه العظيمـــة أومـــأت
يا ســـين فيـــه والطهـــارة طاهـــا

يا مـــن تشرفت البسيطـــة اذ مشـــى
فيهـــا وداس بأخمصيـــه ثراهـــا

واليـــه حـــن الجـــذع عنـــد فراقـــه
وأتت لـــه الأشجـــار حـــين دعاهـــا

ان سبحت فى كفـــك اليمنـــى الحصـــى
فيهـــا الأنامـــل فجـــرت أمواهـــا

ان أفصحت لـــك فى الخطـــاب غزالـــة
فالضب أو ذئب الفـــلا مثلاهـــا

لولاك ما نطـــق الجمـــاد ولـــم تكـــن
175// بخطابها العجماء تفغـــر فاهـــا

يا من هـــدى بايات آيـــات الهـــدى
من ضل عن سبـــل الرشاد وتاهـــا

بسنـــاك أبصرت البصائر رشدهـــا
وأجلهـــم قـــدرا وأعظـــم جاهـــا

لك رد قرص الشمس يا شمس الهدى
لمـا توارى بالحجـاب ضياهـا (456)

لك فى انشقاق البـدر أعظـم آيـــة
لمـا تكامـــل حسنــه وتنـــاهى

يا من سمـا فوق السمـــوات العـلى
فى ليلـــة الأسرى التي أســراهـــا

ورقى بســـاط العز معتـــزا ولــم
يخلـــع بــه نعـــلا ولا ألقاهــــا

وكقـــاب قوسين اقتـــرابـــا كان أو
أدنى مقـــامـــا حيـــن نـــاجى الله

فى حضرة الحـــق المقـــدســـة التي
قصرت عقـــول الخلـــق عن معناهـــا

أوحى اليه بهـــا مـــن الأسرار مـــا
أوحى ونـــــور قلبـــه فوعـــاهـــا

أسرى وعـــاد وفجـــره لم ينفجـــر
وخطى الكواكب ما عـــدت مسراهـــا

كم معجـــزات للنبـــي محمـــــد
لم يحوهـــا عـــدد ولا أحصـــاهـــا

من خصـــه البـــاري بمـــا سمـــاه من
أسمـــائه الحسنى فليـــس يضـــاهي

وجبت شفـــاعتـــــه لأمتــــه التي
• صلة (457) الصلاة عليه هجيراها (458)

456 ـ لم يذكر هذا البيت فى «ب» مع باقي الابيات بل زيد فى الهامش بخط مخالف لخط باقي النص . وكتبت تراءى في مكان تواري . غير أن الناسخ زاده « لعله تواري » .

يا خيـــر مـأمــول شكيـة نـازح
بـانت أحبتـــه وشـــط نواهـــا

رام المـــزار فأقعدتـــه ذنـوبـــه
عـن طيبـــة الطيب التي يهـواهـــا

فغـدا يعـــلل نفســـه بنسيمهـــا
يا حبـذا منهـــا نسيـــم صباهـــا

يا سائـق النجب (459) المـذللة التي
عرفت هوادجهـــا قبـــاب قباهـــا

ان جئت خيـــف مـني وبلغت المـنى
وحـللت أرضـــا شرفت سكناهـــا

أبلـــغ الى خيـر الأنـــام تحيـــة
أذكى من المســـك الفتيـق شذاهـا

عن عابـد الرحمـــن مولانـــا الذي
حـاز الفضائل جملـــة وحـواهـــا

فهـــو الذي حـب الـنبي وآلـــه
ســـر جـوانحـــه عليه طواهـــا

سينال (460) فى الأخرى شفاعته كمـا
قد نـال فى الدنيا العـــلا والجاهـــا

---

457 ـ فى «ب» و «ج» : صلت ، والاليق للمعنى والوزن ما فى «أ» .
458 ـ في «ب» : محيراها ، والاليق للمعنى ما فى «أ» و «ج» لأن الهجيري : العـــادة والشأن . ويقال : هذا هجيراه اي دابه وشانه .
459 ـ فى «ب» و «ج» : النجد ، والاليق للمعنى ما فى «أ» وذلك لانه يعني بالنحت : النوق النجيبة أي الجيدة .
460 ـ فى «ب» و «ج» : لينال ، وأبقينا ما في «أ» مع أن ما فى «ب» و «ج» مناسب للمعنى أيضا .

ملك تقــر لـه بكـل فضيلــة

كل الملــوك وأنــه مــولاهــا

ملك تهاب الأسد سـورة (461) بطشه

ولعــز سطوتـه يــذل سطاهــا

ماضي العزائــم والظبى فسيـوفـه

كمضــائـه ومضــاؤه كظباهــا

زان الخلافـة بالمكــارم والنــدى

وحــمى بحــد المشرفي حماهــا

يــا وارث الخلفــاء في الملــك الذي

ســامى به كل الملــوك وبــاهى

يهنيـك بـل يهنـي خلافتـك التـي

177// بلغت بسعدك سولها(462) ومناها

وتعــز عمــن أدركتــه منيــة

الله قدرهــا لــه وقضاهــا

حيـى الالــه ضريحــه بتحيــة

وأطـاب تربتـه وجــاد ثراهــا

وأدام ملـك خليفــة الله ابنــه

وأعـز دولتــه ومــد مداهــا

ما عابــد الرحمــن الا رحمــة

لرعيـة قــد حاطهــا ورعاهــا

461 – فى «ب» و «ج» : صورة ، والصحيح ما فى «أ» و لك لأن سورة السلطان : سطوته واعتداؤه .

462 – فى هامش «ب» : « لعله بسعود سعدك » . وهذا لا يليق للمعنى ولا للوزن .

تنبيك سيرته الحميدة فيهم
عن سيرة قد سنها عمراها (463)

ترجو الجناة به النجاة من الردى
عفوا فيسعفها بنيل رجاها

كم من نفوس تستحق عقابها
لكن بفضل حيائه (464) احياها

ركب المجلي (465) فى الفضائل كلها
وجرى لغايتها فحاز مداها

أنسى مآثر من مضى بمآثر
رفعت له فى الخافقين لواها

ان كان موسى للخلافة بدرها
فالتاشفيني شمسها وضحاها

ان كان موسى للخلافة صدرها
فالتاشفيني قلبها وحجاها

ان كان موسى للخلافة سحبها
فالتاشفيني غيثها ونداها (466)

ان كان موسى للخلافة لحظها
فالتاشفيني نورها وسناها

---

463 ـ من المعروف أن العمرين هما أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما . وقد قيل أيضا أنهما عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز . راجع ابن منظور « لسان العرب » (ج 19 ـ 21 ، ص 608) .

464 ـ فى «ب» : « حبائه » (بالباء الموحدة) و فى «ج» : حمائه ، والصحيح ما فى «أ» لموافقة الكلمة للمعنى .

465 ـ فى «ب» : الحلي وفى «ج» : المحلى (بالحاء) والأليق للمعنى والوزن ما فى «أ» لان المجلى هو السابق فى الميدان من جلى الفرس سبق فى الميدان .

466 ـ فى «ب» و «ج» : عينها وبداها ، والمناسب للمعنى ما فى «أ» .

لا تحسن الدنيا بغير ثلاثة
ما فى الوجود اذا نظرت سواها

بدر الدجى والتاشفيني الرضى
// 178 والشمس فى اشراقها وعلاها

راقت محاسنها الثلاثة فاغتدت
للناظرين نظائر اشباها

ترجو البلاد القاصيات نواله
فنواله كحياتها وحياها

لم ترض منه بغير رؤية وجهه
شوقا فأسعفها بنيل رضاها

متوجها فيها بأسعد وجهة
حركاتها محمودة عقباها

هي وجهة بركات مولد أحمد
قدامها والنصر تحت لواها

هي دولة النصر العزيز فكل من
لم ياتها طوعا أتى اكراها

فاهنا بليلة مولد الهادي الذي
عظمت لأمته بها بشراها

وتعاضد النوران من شمع ومن (467)
شهب فطار بها غراب دجاها

فكأن فيها من نداك وحسنها
غيثا وروضا طاب (468) فيه جناها

467 ـ وضع كاتب النسخة «أ» كلمة شهب فى الشطر الأول من البيت وهذا غير مناسب للوزن .

468 ـ فى «ب» و «ج» : طاف ، والانسب للمعنى ما فى «أ» .

جعل الاله علاك عنوانا لما
ترجو بدار الخلد من علياها
وحباك منه بكل سعد مسعد
لا ينقضي أبدا ولا يتناهى

الاحتفال بالليلة السابعة للمولد

ولما كانت ليلة سابع المولد (469) المذكور ، احتفل لها أيضا أعلى الله مقامه ، بمثل احتفاله لليلة المولد أو أعظم ، ورفع اليه فيها أيضا أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري (470) ، قصيدة مدحه فيها ومدح نجله الكريم ، ولي عهده المولى أبا ثابت ، جد مولانا المتوكل نصره الله وهي :

// 179 أعلل نفسي والتعلل لا يجدي
وان كان أحيانا يسكن من وجدي (471)
فهل من سبيل والأماني ضلة
الى معهد بالأنس طال به عهدي
وأيام وصل كلهن أصائل
وماضي زمان كله زمن الورد
سمحت بدمعي للطلول مسائلا
رسوم الهوى لو أن تسآلها يجدي
ولم أبك أطلالا لهند مواثلا
بذي الاثل لكنني بكيت على هند

469 ــ مازال أهل تلمسان يحتفلون بالمولد النبوي احتفالا كبيرا ، ومازالوا يحتفلون أيضا باليوم السابع بعد ليلة المولد .

470 ــ أنظر عن هذا الشاعر تعليقنا السابق رقم 22 .

471 ــ هذه الأبيات من البحر الطويل .

وكـم كاتـم سـر المحبـة قد وشى
به مهراق(472)الدمع فى مهرق(473)الخد
ومـا هـاج شـوقي غير زم ركائب
تخب بأبراج الهوادج أو تخدي (474)
بدور طوتهـا حين جـدت بها النـوى
خدور (475)كما يطوى الكمام(476)على الورد
فجـدت بروحي حين ضنـوا بوصلهـم
وعـادت دمـوعي مثل منتثر العقـد
فلله من دمـع يجـود عـلى الثـرى
بياقوتـه القـاني وجوهره الفـرد
فرفقـا بصب فى يد الشـوق مفـرد
بأشجانه يا ساكني (477) العلم الفـرد
يكلـف عـراف اليمـامة بـرءه
ويعلم أن البـرء فى علـمي نجـد
فهل راجـع ما فـات فى زمـن الصبـا
وهيهـات مـا ان للشبيـة مـن رد
ومـا ان ذممت الشيب ادخل مفـرقي
فكـم من يد للشيب مشكورة عنـدي

---

472 — فى «ب» و «ج» : مجران ، والأليق للمعنى ما فى «أ» .

473 — فى «ب» و «ج» : مهدن ، والانسب للمعنى ما فى «أ» .

474 — فى «أ» : تخد . و فى «ب» : كتبت الكلمة من دون ياء ومن دون تنقيط . والتصحيح من «ج» اذ أن حدى (كوخد) الفرس أو البعير : أسرع .

475 — فى «ب» و «ج» : حدور ، والصحيح ما فى «أ» .

476 — فى «ب» : العمام ، وفى «ج» : الغمام (بالغين المعجمة) . والأنسب للمعنى ما فى «أ» لأن معنى الكمام هنا الغلاف الذي يحيط بالزهر فيستره ثم ينشق عنه .

477 — فى «ب» و «ج» : ساكن ، وأبقينا ما فى «أ» مع أن الكلمتين مناسبتان للمعنى والوزن .

ينفـر شيـــطان الغوايـــة نـــوره
اذا حل فى فودي(478) ويهدي الى الرشد

//180 اذا ابيض فودي (479) زاد طبعي رقة
كما وصفوا البيض الرقـاق من الهنـد

ولكـــنني أبـــكي لزلاتـــي التي
تجاوزت فيهـا منتهى الحصر والحـد

وانـي وان كـانت ذنـــوبي كثيرة
وآثرت غـيي اذ تعاميت عن رشـــد

لأرجـو شفيـع المذنبيـــن محمـدا
يشفعـه المولى فيشفـــع فى العبـد

نـبي تسـمى (480) أحمـدا ومحمدا
وأطنب فيه الوحـي بالمـدح والحمـد

نبـي جميـع الرسـل تحت لوائـــه
وقد خص فضلا دونهـم بلـوا الحمـد

كما خـص بالسبـع المثـاني كرامـة
من الله وهي السبع من سورة الحمـــد

له معجـزات ماثلت (481) كـل ما أتى
به الرسل من آي وأربت عـلى العـد

---

478 ـ فى «ب» و «ج» : فردي ، والصحيح ما فى «أ» وذلك أن الفود هو جانب الراس مما يلي الاذنين الى الامام والشعر الذي عليه ويقال : « بدا الشيب بفوديه » .

479 ـ فى «ب» و «ج» : فردي ، والأصح ما فى «أ» . وعن كلمة « فودي » انظر تعليقنا السابق رقم 478 .

480 ـ فى «ب» : يسمى ، واحتفظنا بما فى «أ» . أما فى «ج» : سما .

481 ـ فى «ب» و «ج» : له معجزات تلت . وفى «أ» ما ثلث . ولاحظنا أن الناسخ أخطأ فكتب ثاء مثلثة فى مكان التاء المثناة ، فصححنا الخطأ .

وأعظمها القرآن يهــدي لنا الهـــدى
فيا حسن ما يهدي ويا فوز من يهــدي
هو الوحي أجلى من سنى الشمس فى الضحى
سناه وأحلى حين يتلى من الشهـــد
له انشـــق بــدر التــم عنــد كمالــه
فشاهده (482) من كان بالقرب والبعــد
له حن جــذع النخــل عنــد فراقـــه
حنينا شكى من شوقــه ألــم الفقـــد
وفــاض نمـير المــاء بـين بنانـــه
الى أن تروى الجيش من ذلك الــورد
وآياتـــه قبـــل الــولاد وبعـــده
لكثرتها لــم تحــص فى القبــل والبعــد
ومولــده للخلــق أسعـــد مولـــد
فهم منـــه فى ظــل من الأمـــن ممتـــد
// 181 الا يا شفيع المذنبـين شفاعــة
وعدت بها فى الحشر يا صادق الوعــد
فقــد عافنـي شيب وضعف وكبـــرة
قضت لي عن مغناك (483) بالنأى والبعد
فمن لي بربــع حلــه خـير مرســل
أعفر خدي (484) فى ثرى ذلك اللحــد

482 ـ فى «ب» و «ج» : يشاهده ، والأصح للمعنى ما فى «أ» .

483 ـ فى «ب» : مقناك . و فى «ج» : « معناك » ، والأصح ما فى «أ» لأن المعني كما هو معروف هو المنزل .

484 ـ فى «ب» : خرى . وفى «ج» ، حدى ، والأصح ما فى «أ» بدليل وجود كلمة اعفر قبلها .

وأبلـغ قلبـي ما تمنـى مـن المنـى
وأبـرد شوقـا فيـه ملتهب الوقـــد
وأشفـى غليلـي بالـورود لزمـــزم
فيا ظمأى شوقـا الـى ذلـك الـورد
لئن فاتني فيمـا مضـى مـن شبيبتـي
ولم أعتمل سيرا بنص (485) ولا وخـد
فتحت اللـــواء التاشفينـي بسعـــده
تبلغنـي أظعانـــه منتهـى قصـــدي
أمـام تولـى الله تشييـــد فخـــره
فما شئت من مجد ومـن كـرم عـــد
همـــام حيـــاه الله عـــزة نصره
فللـــه مـــن نصر عزيز ومن عضـــد (486)
لـــه السعـــد والسعي الجميـــل مـــلازم
وناهيك من سعي جميـــل ومـــن سعـــد
له الجود أضحى أمة (487) فيه وحده
كما أنا فى مدحي لـــه أمـــه وحـــدي
له العسكـــر الجـــرار يجلـــو قتامـــه
أسنتـــه كالشهب فى الظلـــم الربـــد
كـــروض ولكـــن السيـــوف جـــداول
وسمر القنى الخطـــى كالقضب الملـــد

485 ــ فى «ج» : نهض ، والأليق للوزن والمعنى ما فى «أ» و «ب» لأن نص ناقته : استحثها على السير .

486 ــ البيت والذي يليه ناقصان في «ب» و «ج» .

487 ــ فى «ب» و «ج» : سنة ، والمناسب ما فى «أ» لأن الأمة هنا : الجماعة .

كسحب ولــكــن السيــوف يروقهـــا

اذا ما انتضوها والصواهــل كالرعـــد

يعد الى الأعــداء كــل كتيبــة (488)

بها الجرد تردي والفوارس كالأســـد

// 182 وكل صقيل الصفحتــين مهنــد

وكل قويم (489) المتن معتدل القـــد

يبيــد العــدى قبــل اللقــاء مهابـــة

فتبرى (490) الطلى أسيافه وهي فى الغمد

يهــاب ويرجــى فى جــلال جمالـــه

كليث وغيث فى وعيـــد وفى وعـــد

فيا مالكا (491) يحمي الرعيــة رعيــه

ويحييهــم بالبــذل والعيشــة الرغـــد

ويكفلهم بالعــدل والفضــل والنــدى

ويشملهم بالجــود والرفــق والرفـــد

ليهنك ما جددت مــن عهــد مولـــد

وسابعــه أكــرم بذلــك مــن عهـــد

جمعت جميــع الحســـن فى ليلتيهمـــا

تذكرنـــا كلتاهمـــا جنـــة الخلـــد

هو المولــد السامــي وسابعــه الرضــى

فما لهما فى مظهر الفخــر مــن حـــد

---

488 – فى «أ» : كثيبة (بالثاء المثلثة) والتصحيح من «ب» و «ج» .

489 – فى «ج» : قديم ، والأنسب للمعنى ما فى «أ» و «ب» .

490 – فى «ب» : فتفتري . وفى «ج» ، فتبر ، والأليق للوزن والمعنى ما فى «أ» .

491 – فى «ب» ملكا . وفى «ج» : مالك ، وأبقينا ما فى «أ» مع أن ما فى «ب» و «ج» قد يناسب المعنى والوزن .

ويهنيك أبنـــاء بنـــوا بـــك مجدهـــم
ولاحوا نجوما (492) فى سما ذلك المجد

وأضحت سروج الصافنـــات مهـــودم
تعودهـــا أطفالهـــم عـــوض المهـــد

سموا بـــك فى أفـــق المعـــالي كواكبـــا
أبو ثابت مـــن بينهـــم قمـــر السعـــد

لعمـــري لقـــد زانتـــه منـــك مهابـــة
كما زان اشراق الفرند (493) ظبى الهند

فمـــا البـــدر فى اشراقـــه وضيائـــــه
بأجمـــل منـــه عنـــد مطلـــع الوفـــد

فدمت لـــه يرضـــك بالبـــر والتقـــى
وترضيـــه بالرضـــوان عنـــه وبالرشـــد

ودونك روضـــا مـــن ثنائـــك عاطـــرا
فما لثنـــاك العاطـــر النـــد مـــن نـــد

// 183 فمنك أجدنا القول فيك اجـــادة
وما طاب ماء الـــورد الا مـــن الـــورد

ولا غرو أن حيتـــك بالطيب روضـــة
تجود لها بالصيب (494) الطيب العهـــد

ومـــا هـــي الا العقـــد منـــي نظمـــه
ومن وصفكم ما فيه مـــن جوهر فـــرد

---

492 ـ فى «أ» : فجوما (بالقاف) ولا معنى لهذه الكلمة ، والتصحيح من «ب» و «ج» .

493 ـ فى «ج» : الموقد ، والصحيح ما فى «أ» و «ب» لأن معنى الفرند هنا : جوهـــر السيف ووشيه .

494 ـ فى «ب» و «ج» : الطيب ، والأليق للمعنى ما فى «أ» لأن الصيب : السحاب ذو المطر .

جواهر عقد من نسيب ومدحـه (495)
ومدح رسـول الله واسطـة العقـد

عليه سـلام الله ما ربت (496) الربـى
وما صافحت ريح الصبـا قضب الرنـد

وفـاة أبي تاشفين

وكان هذا الخليفة أعلى الله مقامه ليثا للنزال ، وغيثا للنوال حوى من أشتات الكمال ، ما هو فوق الآمال ، وارتدى من حلل السعادة بأفخر لباسها ، وخول من المحامد بأبهر أنواعها وأجناسها ، فشمل الرعية عدله وأمانه ، وعمها (497) فضله وامتنانه ، وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وأربعة أشهر وستة عشر يوما ، مضت في دعة وهنا . وقضى نحبه على سرير ملكه سابع عشر ربيع الثاني من سنة خمس وتسعين وسبعمائة رحمة الله عليه (498) . فاعتاض عن الدهر بعد الضياء الظلمة ، وبعد الاشراق السداد ، فكأنه المعني بقول العماد (499) .

الديـن في ظلـم لغيبـة نـوره
والدهـر في غمـم لفقـد أميره (500)

---

495 ـ في «ب» و «ج» : مدحه (بالهاء) ، والأليق للمعنى ما في «أ» .

496 ـ في «ب» : رابت . وفي «ج» : رأيت : والمناسب للمعنى والوزن ما في «أ» .

497 ـ في «أ» : عمهم ، و في «ب» : غمرها ، أما في «ج» فوجدنا عمها . وفضلنا هذه الرواية الأخيرة لقربها من رواية «أ» ومناسبتها لسياق النص .

498 ـ قال ابن خلدون « العبر » (ج 7، ص 207) : « وكان أبو تاشفين قد طرقه مرض أزمن به، ثم هلك منه في رمضان من السنة 795 هـ / 1393 م .

499 ـ يعني عماد الدين الأصفهاني الكاتب المتوفي سنة 597 هـ / 1201 م . عاصر ملوك الدولة الزنكية والدولة الأيوبية ومنهم نور الدين زنكي وقد رثاه بهذه القصيدة .

500 ـ هذه القصيدة من البحر الكامل ، وقد دخلها كثير من التصحيف والتحريف في «ب» و «ج» . وتلافيا للاثقال على القاري اقتصرنا على رواية «أ» . وقد استعنا بنص القصيدة الوارد في كتاب «الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية » ، تأليف ابي شامة المقدسي ، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ، ج 1 ، القسم 2 ص 625 ـ 627 ، وقد أشرنا اليه بكلمة الروضتين فقط . ونود أن ننبه الى أن هناك بعض الأبيات وردت عند التنسي ولم ترد في « الروضتين » . وقد أشرنا اليها في مواضعها ، كما أن هناك ابياتا كثيرة ذكرها صاحب « الروضتين » ولم يذكرها

فلينــدب الاســلام حامــي أهلـــــه
والملك (501) حــافــظ قطره وثغــوره

مــا أعظــم المقـــدار فى أخطـــــاره
اذ كـــان الخطب فى مقـــــــدوره

ما أغــدر الزمـــن الـــذي تـــرك الحيــا
وجفا وفي العهــد غـــير غدوره (502)

ما أكثـــر المتأسفـــين لفقـــد مـــن
//184 قرت نواظرهــم بفقــد نظــيره

مــا أكثـــر الحـــزن الملـــم فانمـــا
أفنى قليل الصبر بــرح كثــيره (503)

مــن للخطــوب مذلـــلا لجماحهـــا
مــن للزمـــان مسهـــلا لوعـــوره

مــن كـــاشف للمعضـــلات برأيـــه
مـــن مشرق فى الداجيــات بنـــوره

مــن للكريــم ومـــن لنعـــش عثـــاره
مــن لليتيــم ومـــن لجبـــر كســـيره

مــن للعـــلا وعهوهـــا (504) من للندى
ووفـــوده مـــن للحجـــى ووفـــوره

مؤلف « نظم الدر » . غير أننا اكتفينا بالنسبة لهذه الأبيات بلفت النظر الى هذا النقص فى نسخة «أ» . ولم ندخل أي تغيير جوهري على النص الموجود فى «أ» ولو كان ما فى « الروضتين » هو الأصح . فاقتصرنا فى الغالب على الاشارة الى ما فى كتاب أبي شامة من روايات دون المس بالمتن .

501 – في « الروضتين » : والشام ، ومن الواضح أن هذه الرواية أنسب للمعني .

502 – لم يرد هذا البيت فى « الروضتين » .

503 – هذا البيت غير موجود فى « الروضتين » .

504 – فى «أ» : وعهوده ، وصححنا من « الروضتين » لأنه من المعروف أن كلمة « علا » مؤنثة .

ما كنت أعلـم كيـف يظـلم أفقنـا
حتى رأيت بـه خسوف بدوره (505)

لهفـي لعطلـة سرجـه وسريـره
منـه وساحـة قصره وحجـوره

لهفـي عـلى تلـك الأنامـل أنهـا
مـذ غيبت غـاب (506) الندى ببحوره

أنت الـذي أحييت شرع محمـد
وقضيت بعـد وفاتـه بنشـوره

كـم قـد أقمت مـن الشريعـة معلمـا
هـو منـذ غبت معـرض لدثـوره

لاصبـح بعـدك يرتجـي أسفـاره ١٠
لا وجه بعـدك مؤذن بسفـوره (507)

كـان الزمـان لنـا بعدلـك صافيـا
فسعت عـوادي الدهـر فى تكديـره

والدهـر بعـد الضحـك فى أيامـه
ما يستفيـق مـن البكـا بزفـيره

يا مالـك أضحـى برغـم أنوفنـا
بعـد القصـور مجـاورا لقبـوره

حيـاك معتـل الصبـا بنسيمـه
185// وسقاك منهل الحيـا بـدروره

505 ـ هذا البيت والذي يليه ناقصان فى « الروضتين » .

506 ـ فى « الروضتين » : غاض .

507 ـ لم يذكر صاحب « الروضتين » هذا البيت ولا الثلاثة التي تليه .

ولبست رضـوان المهيمـن ساجبـا
أذيـال سندس خلـده (508) وحريره

وسكنت علـيين فى فردوسـه
خلف المسرة ظافـرا بحبـوره (509)

دولة أبي ثابت يوسف بن أبي تاشفين (510)

ثم بويع (511) بعده ولده المولى أبو ثابت جد مولانا المتوكل ، كهل الشهامة وفتاها ، ومبدؤها ومنتهاها ، فارس الميدان ، وناظر عين الزمان ، ظبة الحسام ، وواسطة النظام ، ودرة الصدف ، وذروة الكمال والشرف ، وطود السكون والوقار ، وروض النباهة الناعم الأزهار ، الممتلىء حلما وحياء ، المنبجس جودا وسخاء ، الذي ملك الرقاب احسانه ، والقلوب فصاحته ولسانه ، فاقتعد سرير الملك الذي هو له مؤهل ، ونال منه كل راج فوق الذي أمل ، غير أن الدهر الذي لا يدوم على حال ، عاجله بالغدر منه والا محال (512) اذ لم تساعده على أمله الأقدار ، وخانه الجد الذي عليه المدار (513) ، فأدركه بالقرب محتوم الحمام ، بعد مضي عدد أربعين

---

508 ـ فى « الروضتين » : خزه .

509 ـ فى « الروضتين » : باجوره .

510 ـ تولى أبو ثابت الملك سنة 795 هـ / 1393 م ولم تزد مدة ملكه على 40 يوما .

511 ـ بهامش « ب » : بيعة ابي ثابت بن أبي تاشفين. وقد وقعت اضطرابات وفتن اثر وفاة السلطان أبي تاشفين . وذكر ابن خلدون « العبر » (ج 7 ، ص 307) أن « أحمد بن العز » وهو من صنائع بني زيان ولى بعد موت أبي تاشفين صبيا من ابناء السلطان المتوفي ، وقام بكفالته ثم قال صاحب كتاب « العبر » : « وكان يوسف بن ابي حمو المعروف بابن الزابية واليا على الجزائر من قبل أبي تاشفين ، فلما بلغه الخبر اغذ السير مع العرب ، ودخل تلمسان ، فقتل أحمد بن العز والصبي » . ولم يتحدث ابن خلدون عن تولية ابى ثابت الذي لم تزد مدة ملكه على أربعين يوما ، كما أنـه لم يسم ذلك الصبي الذي ولاه أحمد بن العز .

512 ـ فى «ح» : الانحال ، والمناسب للمعنى ما فى «أ» و «ب» لأن الامحال من المحل وهو الكيد والغدر .

513 ـ بهامش «ب» : بيعة أبي الحجاج بن ابي حمو .

من الأيام ، أدخل (514) ، عليه غيلة عمه أبو الحجاج ، فجرعه بعد الصفو الأجاج ، فيا لها وقعة يحسن فى مثلها التأبين ، ويكثر البكاء والحنين ، قطعت فيها الأرحام ، ولم يعتلق فيها من عهود الوفاء بذمام ، فالأفئدة بعدها مفؤودة والأكباد لحرها مكبودة ، ووجه الدهر عبوس ، مستبدل بعد ثوب النعمة لبوس البؤس .

هو الخطب الـذي أنسـى الخطوبـا
وعلم كل نفـس أن تذوبـا (515)
كتمنـاه فبـان (516) على الليـالي
وسـار عـلى أسرتهـا شجوبـا
// 186 وأجهشت العيون فـلم ندعهـا
وأفردنـا لبلواهـا القلوبـا
ولـما أن علمنـا الدمـع يشفـى
كرهنـا للمدامـع أن تصوبـا
لقـد أصمـى مقاتلنـا مصـاب
رمـى منـه الـردى سهمـا مصيبـا
متـى نذكـره سرا أو جهـارا
يطـر قلـب الهـدى منـه وجيبـا

514 ـ كذا فى كل النسخ. وكان من الجائز أن تكون : دخل .

515 ـ لم نتوصل الى معرفة قائل هذه القصيدة وهي من البحر الوافر . فى «ب» و «ج» ، أخذ الناسخ الشطر الأول من البيت الأول والشطر الثاني من البيت الثالث ، فجاء مطلع القصيدة كما يلي :

هـو الخطـب الـذي أنسـى الخطـوبـا
وافـردنـا لبلـواهـا القلـوبـا

ونرى أن ليس هناك تجانس بين هذين الشطرين ، فكانت النتيجة أن نقصت أربعة أشطر فى هاتين النسختين .

516 فى «أ» ، هذه الكلمة غير واضحة ، فاخترنا أقرب كلمة تناسب ما رسم الناسخ وتناسب السياق أيضا .

نغالط فيه أنفسنا لأنا
نخاف على بصائرنا الكروبا
ونكره أن يفوه بها لسان
فلم أذكره (517) الا مستريبا
نكرنا أن تكون الشمس خرت
وأنكرنا على البحر النضوبا
وأن ينهل رضوى (518) أو شمام
فيجفوه ويعلوه كثيبا
شجا الثقلين ناعيه وأبقى
بوجه الدهر نادبه ندوبا
ورق الدين من شفق عليه
فيا لله ما أقسى شعوبا
فلو قتل الأسى أحدا عليه
لما كنا نرى فى ذاك حوبا
أحقا حلية الاسلام أمست
وقد صار التراب لها تريبا
جمال الدين والدنيا تقضى
فان بكيا عليه لقد أصيبا
غبطنا (519) الأرض لما أن طوته
أتحجب ذلك الملك الوهوبا

517 ـ تحدث الشاعر فى القصيدة كلها بصيغة الجمع الا فى هذا البيت حيث استعمل صيغة المفرد .

518 ـ فى «ب» و «ج» ، روضا ، والانسب للمعنى ما فى «أ» لان رضوى جبل بالمدينة المنورة ويثبت رواية »أ« وورود كلمة شمام وهي أيضا اسم جبل موجود بالحجاز .

519 ـ فى «ب» و «ج» : غبطت ، والانسب للمعنى والوزن ما فى «أ» .

ويمســى بطنهـــا منـــه خصيبـــا
ويتــرك ظهرهـــا منـــه جديبـــا

// 187 طلبنا الصبر حين طوتــه عنــا
وما أبقت لنـــا منـــه نصيبـــا

ستبكيــه القصــور وغــير بـــدع
محب فاقـــد يبكـــي حبيبـــا

أسادتنـــا أفيدونـــا عـــزاء
نغيــظ به (520) النوائب والخطــوبــا

قضى نحبــا فلا يكـــن انتحـــاب
فــان الرزء قــد فـــات النحيبـــا

دولة أبي الحجاج يوسف بن أبي حمو (521)

ثم بويع المولى أبو الحجاج يوسف ابن المولى أبـــي حمو (522) ، منسلخ جمادي الأولى فبرز بدرا فى سماء الخلافة وملكها (523) ، وحل منها حسنا واحسانا محل واسطة سلكها ، فجند الجنود ، وعقد الألوية والبنود ، وأمر الأيام فائتمرت ، وطافت بكعبته الآمال واعتمرت، الى بيان جبل عليه وفصاحة ، ورحب جناب للوافدين وساحة ، فى أيام كأنها فى حسنها جمع ، وليال كان فيها على الأنس مقر (524) ومجتمع ،

520 ـ في «ب» و «ج» : نغيض له ، والانسب للمعنى ما في «أ» .

521 ـ أبو الحجاج يوسف بن ابي حمو موسى المعروف بابن الزابية ، تولى الحكم من سنة 795 هـ / 1393 م الى سنة 796 هـ / 1394 م .

522 ـ نود أن ننبه الى أن المؤلف لم يذكر تحركا قام به أبو فارس ابن سلطان المغرب أبى العباس اثر تولية أبى الحجاج ابن الزابية ، وذلك أن أبا فارس حسبما ذكر ابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 307) قد استولى على تلمسان « واعتصم يوسف بن الزابية بحصن تاجحموت وانقرضت دعوة بني عبد الواد من المغرب الاوسط » .

523 ـ نقص فى «ب» و «ج» : وملكها .

524 ـ فى «أ» : زيدت كلمة مقر بالهامش .

الى أن عدت عليه الأيام بمعهود العدوان ، فلم تسامحه فى ملكه بامتداد الأوان (525) ، بل أوغرت عليه صدور مرين ، ففوقوا (526) له سهم أخيه المولى أبي زيان ، فخلعه لعشرة أشهر مضت من أيامه ، ثم وجه اليه وهو عند بني عامر من جرعه كأس حمامه ، حسبما حكم به الملك الديان ، وكما تدين تدان ، فحط به عن مرين حمل ثقيل ، كانوا منه فى مرعى وبيل

أستودع الله أرضا عندما وضحت
بشائر الصبح فيها ألبست حلكا (527)

كان الخليفة بستانا بساحتها
يجني النعيم وفى عليائها فلكا

فى أمره لملوك الأرض معتبر
فليس يغتر ذو ملك بما ملكا

// 188 أبكيه من جبل خرت قواعده
فكل من كان فى بطحائه هلكا

دولة ابي زيان محمد بن أبي حمو (528)

ثم بويع (529) المولى أبو زيان في غرة شهر ربيع الثاني من سنة ست وتسعين ، فأقام سوق المعارف على ساقها ، وأبدع فى نظم مجالسها واتساقها ، وأوضح لأهل الأبصار والبصائر رسمها ، وأثبت فى رسوم

525 ـ بهامش «ب» : بيعة ابى زيان .
526 ـ فى «ب» : فدقوا وفى «ج» : فعرفوا ، والصحيح ما فى «أ» لأن فوق السهم جعل له فوقا . والفوق هو مشق راس السهم حيث يقع الوتر . وهذا يعني : أعد السهم ليرمي بـه .
527 ـ فى «ب» : ملكا والصحيح ما فى «أ» و «ج» لأنه أنسب للمعنى . وهذه الابيات من البحر البسيط . ولم نتوصل الى معرفة قائلها .
528 ـ تولى الحكم من سنة 796 هـ / 1394 م الى سنة 801 هـ / 1399 م .
529 ـ ذكر ابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 308) ان بني مرين ، بعد وفاة سلطانهم أبي العباس بتازة ، قد « استدعوا ابنه أبا فارس من تلمسان ، واطلقوا أبا زيان بن أبي حمو من الاعتقال ، وبعثوا به الى تلمسان أميرا عليها .

التخليد وسمها (530) واسمها ، اذ كان تفرع من دوحة سناء (531) ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، وتصرف فى شبيبته بين دراسة معارف ، وافاضة عوارف ، وكلف بالعلم حتى صار منهج لسانه ، وروضة أجفانه ، فلم تخل حضرته من مناظرة ، ولا عمرت الا بمذاكرة ومحاضرة ، فلاحت للعلم فى أيامه شموس ، وارتاحت للاستغراق (532) فيه نفوس بعد نفوس (533) نسخ رضي الله عنه بيده الكريمة نسخا من القرآن (534) وحبسها ، ونسخة من « صحيح البخاري » ، ونسخا من « الشفاء » لأبي الفضل عياض (535) حبسها كلها بخزانته (536) التي بمقدم الجامع الأعظم من تلمسان المحروسة ، التي هي من مآثره الشريفة المخلدة من ذكره الجميل ما سرت به الركبان ، لما أوقف عليها من الأوقاف الموجبة للوصف بجميل الاوصاف ، وصنف كتابا نحا فيه منحى التصوف سماه « كتاب الاشارة فى حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة » (537) .

530 — فى «ب» : رسمها ، والأفضل ما فى «ا» و «ج» .

531 — فى «ب» : (بالتاء المثناة) والصحيح ما فى «ا» .

532 — فى «ج» : للاستقرار ، والاليق للمعنى ما فى «أ» و «ب» .

533 — نقص فى «ج» : بعد نفوس .

534 — تحتفظ « الخزانة العامة » بالرباط بمصحف تحت رقم (د 1330) نسخة السلطان أبو زيان . وقد قال عنه علوش والرجراجي (« فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى الخزانة العامة برباط الفتح » ، القسم 2 ، ج 1 ، ص 2) « النصف الاول من القرآن العظيم » ، مكتوب بخط مغربي جميل ، على رق غزال ، ومحلى بالذهب عند أول كل سورة ، وعلى رأس كل آية ، وجميع ما فيه من أسماء الله الحسنى مكتوب بالذهب ، وهو بخط امير المسلمين ابى زيان كتبه بحاضرة تلمسان سنة 801 » هـ . راجع أيضا عن الموضوع :

E. Levi-Provençal, *Note sur un Coran royal du XIVe Siècle*, in Hespéris, 1921 1er trimestre, p. 83-86.

535 — القاضي عياض بن موسى المتوفي سنة 544 هـ / 1149 م من كبار علماء وقته فى الفقه والحديث ، وأشهر تصانيفه « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » ، وبقي كتابه هذا يتمتع بشهرة كبيرة فى أرجاء المغرب كله ، فأقدم على شرحه أكثر من عالم . وأكبر دليل على دوام هذه الشهرة اقبال السلطان ابي زيان على نقله بيده مثلما نقل القرآن والبخاري ، كما خصص له أحمد المقري كتابا ضخما سماه « أزهار الرياض فى أخبار عياض » ، جمع فيه أخباره ، وذلك بعد وفاة المؤلف بخمسة قرون .

536 — من الراجح أن المؤلف قصد بكلمة خزانة : الأثاث الذي تخزن فيه الكتب وليس البناية التي تطلق عليها اليوم اسم المكتبة أو دار الكتب . ومن المعروف ان كلمة « الخزانة » مازالت تستعمل فى المغرب الأقصى بمعنى المكتبة . ولم يبق اثر لهذه المكتبة التي أسسها أبو زيان رغم ان الجامع الأعظم مازال قائما .

537 — ان هذا الكتاب فى حكم المفقود ، ولم يذكره حسبما نعلم غير التنسي .

الاحتفال بالمولـد النبـوي

وكان يحتفل لمولد المصطفى عليه الصلاة والسلام ، احتفال أسلافه الكرام ، يرفع فيه الى حضرته العلية من الأمداح ، ما يزري بنور وجه الصباح . فمن ذلك قول محمد بن يوسف الثغري المتقدم الذكر :

تذكرت صحبا يمموا الضـال والسدرا
فهاجت لي الذكرى هوى سكن الصدرا(538)

//(189)واخوان صدق أعملوا السير والسرى
اذا ما بدا عـذر لهـم قطعوا العـذرا

سروا فى الدجى يفلـون ناصية الفـلى
وعند صباح القـوم قد حمدوا المسرى

غدت (539) نكـرات البين معرفة بهـم
وآهلـة تلك المجـاهل لا قفـرا

وتوديعهم أذكى الجـوى فى جوانحـي
لقد أودع التوديع فى كبـدي جمـرا

يضيء الدجى مـن عزمهـم فكأنهـم
كواكب تسري للحمى كي تـرى البدرا

أجـل بدور الرسل نـورا وبهجـة
وأجمل خلـق ريء فى حلـة حمـرا

وأصدق من فى عالـم الكون لهجـة
وأكرمهـم فعـلا وأشرفهم ذكـرا

وأطهرهـم قلبـا وأكملهـم تـقى
وأشرحهم صـدرا وأرفعهـم قـدرا

---

538 ـ هذه القصيدة من البحر الطويل .

539 ـ في «ب» و «ج» : عدت (بالعين المهملة) والصحيح ما في «أ» لانه انسب للمعنى .

وأفصـــح من بالضـــاد والظاء ناطقـــا
اذا فـــاه نطقـــا خلته ينثـــر الدرا
تلألأ نـــورا يفضح الشمس فى الضحى
فليس له ظـــل لدى الشمس يستقـــرا
ويبســـم عن حب الغمـــام كأنمـــا
جـــواهر نـــور أودعت ذلك الثغـــرا
فما الروض مطلـــول الأزاهـــر باسمـــا
بأذكى أريجـــا منـــه وردا ولا زهـــرا
ولا المسك مفضوض النوافخ(540)صامكا
بأطيب من رياه عرفـــا ولا نشرا (541)
أزين الحـــلى وقـــف عليـــك محبتي
اذا رمت صبـــرا عنك لم أستطع صبرا
يمثـــل لي مـــرآك فى كل لحظـــة
ويحظر لي ذكراك ما جـــرت الذكـــرى
// 190 اذا فهت لم أنطق بغير حديثكم
وان غبت لم يعمـــر سواكم لي الفكـــرا
ومالي أطوي عنك سر الهـــوى وقـــد
تملك مـــني حبـــك السر والجهـــرا
أبيت اذا ما الليـــل أرخـــى سدولـــه
أسامر من شـــوقي لك الأنجـــم الزهرا

540 – فى «ب» ، النوافع (بالحاء المهملة) والصحيح ما فى «أ» لأن النافجة ج نوافع هي وعاء المسك .

541 – فى ج ، نشرا ، والصحيح مافى «أ» «و» «ب» لأنه مناسب للسيان ، والنشر كما هو معروف : الريح الطيبة .

عقــدت بها جفــني وأطلقت أدمـــعي
فلا عبـــرة ترقى ولا مقلة تكـــري

يكذب دعــوى النفس شاهد حالهـــا
اذا لم يكن برهانهـــا يشرح الصـــدرا

أتزعــم حبـا للحبيب ولــم تخــض
له في سبيــل الحب بــرا ولا بحـــرا

وكــل اعتــذار قد يســوغ ولا أرى
لمثــلي مقيمـــا في تخلفــه عـــذرا

وأخطر ما يلــقي المحب بـــه الــردى
وكــل محب لا يــرى للـــردى خطرا

وليس عجيبـــا أن ينـــال مشوقهـم
على البعد منهم ما يسر به السرا (542)

ففي ســعة الالطاف ما يفـــرج الأسى
وفي كنــف اليسرين مـــا يذهب العسرا

وفي رحمة المــولى اغاثة (543) عبـــده
ولاسيما أن يدعــه العبد مضطرا (544)

الــهي عفـــوا عن ذنـــوب جنيتهـــا
وغفـــرا لما أسلفت من زلـــل غفـــرا

بأســمـــائك الحسنى سألتــك ضارعـــا
وبالمصطفى ألا تـــرد يـــدي صفـــرا

---

542 ـ في «ب» ، الصدرا ، ومع ان هذه الكلمة قد تجوز ، ابقينا ما في «أ» «و» «ج» .

543 ـ في «ج» ، اعانة . ومع نأ هذه الرواية قد تجوز فضلنا ابقاء الكلمة التي في «أ» «و» «ب» وهي ابلغ في المعني .

544 ـ في «ب» «و» «ج» ، مضهرا ، والصحيح ما في «أ» .

لعـــلى أحـظى بالمـــزار لطيبـــة

فيمحـــو بهـــا ذاك المـــزار لي الوزرا

هي الدار حـــط الصالحـــون رحالهـم

فحطت خطاياهـــم وان عظمت كثـــرا

//191 مثابة ايمان وأمن ونصرة (545)

بها انتصر الاســـلام فاصطلـم الكفـرا

تخيرهـــا المختـــار دارا لهجـــرة

فمـــا سامها من بعد هجـرته هجـرا

أيـــا جيرة الـــوادي بحقكـــم مـــتى

يقول لي الحـــادي هنيئـــا لك البشرى

أحـــل بأرض حلهـــا خير مرســـل

غـــدا تربهـــا مسكـــا وحصاؤهـــا درا

نبي أتـــاه الوحي مـــن عند ربـــه

فبالـــغ فى تبليغه للـــورى طـــرا

بشير نذيـــر بين كتفيـــه خـــاتـــم

به ختـــم الله الرسائل والنـــذرا (546)

أمـــان لأهـــل الأرض يشفع فيهـــم

يؤمـــن فى الدنيـــا ويشفع فى الأخـــرى

فيـــا مرســـلا بالحـــق للخلق رحمـــة

ومشـــكى شكواهـــم اذا وردوا الحشرا

ومن ماثـــلت آيـــاتـــه كلمـــا أتت

به الرســـل من آيات ربهـــم الكبـــرى

545 ـ فى «ب» ، نضرة . والصحيح ما فى «أ» «و» «ج» .

546 ـ فى «ب» ، الذكرا وفى ، النررا ، والانسب للمعني ما فى «أ» .

لئن كان فلـــق البحــر قبلك آيـــة
لموسى فــان الله شـــق لك الــبدرا

وان كان فــاض المــاء من حجــر لــه
فمن كفك المــاء الزلال جــرى نهــرا

وان وقفت شمس النهـــار ليوشـــع
فقــد وقفت للمصطفى تـــارة أخــرى

لك الله رد الشمـــس بعــد غروبهـــا
فأدرك اذ صـــلى عــلي بهـــا العصرا

وان كان مــع داود سبحـت الصــوى
فقد سبحت فى راحتيك الحصى جهــرا

وان حملت قدمـــا سليمان ريحـــه
تروح به شهـــرا وتغــدو به شهــرا

// 192 ففي ليلة أسرى بك الله راكبا
براقا يفــوق البــرق فى سرعــة الاسرا

من الفرش نحــو العرش أسرى بعبــده
الى الحضرة العليا فسبحـــان من أسرى

وعــاد الى مثــواه والصبــح لم تشب
ذوائبه والصبــح ما فجــر الفجـــرا

وان لسليمـــان الشيـــاطين سخــرت
فلــم تك فى التسخير تعصي له أمــرا

فــان رســول الله قد سخــرت لــــه
ملائـــكة الرحمـــن تنصره نــصرا

ملائـــكة قد قاتلت معـــه العـــدى
بغــزوة بدر حين حــل العدى بــدرا

فجاهدهـــم فى الله حـــق جهـــاده
فمن لم يدن طوعـــا أتاه الردى قهـــرا
أعـــاد الأعـــادي فرقتين بحكمـــة
فمن فرقة قتـــلى ومن فرقـــة أســـرى
وان خمدت نـــار الخليـــل كرامـــة
فألفـــوه اذ ألقـــوه فى روضة خضـــرا
فقد خمـــدت للمصطفى نـــار فـــارس
بمولده من بعـــد ما أضرمت دهـــرا
وفاضت به الأنوار شرقـــا ومغربـــا
وفى الملأ الأعـــلى سرى البشر والبشرى
فلـــولا ســـنى نـــور النبي محمد
لما أبصرت بالشـــام مـــن مكـــة بصرى
وكـــم لرســـول الله من آيـــة سمـــت
عـــلى الألف والقـــرآن أيته الكبـــرى
وكـــل النبيين انقضـــت معجـــزاتهـــم
ومعجـــزة القـــرآن باقيـــة تقـــرا
وفى ليلـــة الميـــلاد لاحت عجـــائب
بقيصر أودت بعـــدمـــا كسرت كسرى
// 193 وسلت على الايوان سيف مهابة
فخـــر بها الايـــوان من بعدما قـــرا
هي الليلـــة الغراء جـــدد عهدهـــا
الامـــام أبو زيـــان بالحضرة الغـــرا
فأسدى وأبـــدى من نـــداه وحسنهـــا
حيا جـــاد روضا فاكتسى زهـــرا نضرا

يذكرنـــا دار المقامـــة حسنهـــا
فمن بهجـــة تجلى ومـــن نعمـــة تتـــرى

أمام مـــلا الدنيـــا تقـــي وفضائـــلا
وترتج أحشـــاء الملـــوك بـــه ذعـــرا

فمن سير اذكرننا (547) عمرا (548) ومن
مواطن فى الهيجاء أنسيننا (549) عمروا (550)

درى بطعن الرمح فى مهـــج العـــدى
ولكن بضرب السيف فوق الطلى أدرى

مليك أقـــام الخلـــق فى ظـــل عدلـــه
وأضفى عليهـــم مـــن ملابســـه ستـــرا

فكم قد سطت ذؤبان (551) عربانهم بهم
تسومهـــم قهـــرا وتسلبهـــم جهـــرا

فكف أكـــف الجـــور عنهـــم بعدلـــه
فلا روعـــة تعرو (552) ولا عورة تعرى

---

547 ـ فى «ب» «و» «ج» ، ذكرتنا ، والاصلح للوزن ما فى «أ» ، وقد عامل الشاعر هنا السير معاملة جمع المؤنث السالم .

548 ـ فى «أ» جعل الناسخ ضمة على العين وفتحة على الميم وفى «ب» ، زاد الناسخ بن الخطاب فوق كلمة عمرا .

549 ـ فى «ب» «و» «ج» ، انسيتنا ، وقد جعل الشاعر الفعل فى الجمع المؤنث على غرار ما فعل بالفعل السابق ، اذكرتنا .

550 ـ في «أ» : عمرا بعين مفتوحة وميم ساكنة من دون واو ، والتصحيح من «ب»«و»«ج» وفى «ب» : زاد الناسخ : بن معدي كرب فوق الكلمة . انظر عن عمرو بن معدي كرب تعليقنا السابق رقم 313 .

551 ـ فى «أ» : دؤبان (بدال مهملة) : والتصحيح من «ب» «و» «ج» ، وهذا ما يناسب المعني لان ذؤبان جمع ذئب وعبارة «ذؤبان العرب» مستعملة وهي تعني لصوص العرب وصعاليكهم .

552 ـ «ب» : تعدو وفى «ج» : تغدو ، والاليق ما فى «أ» .

فكل الـــورى يدعـــو بطـــول بقائـــه
فمن رافع كفا ومـــن ساجـــد شكـــرا
لئن كـــان بحـــرا فى العلـــوم فـــان فى
بنـــان يديـــه للنـــدى أبحـــرا عشرا
فمـــا فى سجايـــاه الكريمـــة مطعـــن
سوى أنه بالجـــود يستعبـــد الحـــرا
لـــه بكتـــاب الله أعنـــي عنايـــــة
وبالسنة الغـــرا هـــو المغـــرم المغـــري
فمـــا همـــه الا كتـــاب وسنـــــة
بنسخهما قد أحـــرز الفخـــر والأجـــرا
// 194 فنسخ كتاب الله جل جلالـــه
ونسخ البخـــاري ضامنـــان لـــه النصرا
ومن كـــان يعتـــد الشفـــاء شفـــاءه
فمـــن علل الأوزار فى نسخـــه يبـــرا
تضـــوع طيبـــا حبـــره وكتابـــــه
فزاد البخاري من مباخـــره (553) عطرا
فلم أدر (554) والأوراق راقت بخطـــه
امسكا (555) على الكافور ينثر أم حبرا
الا هكذا فليسم للمجـــد مـــن سمـــا
ويجري لآمـــاد الفضائـــل مـــن أجـــرى
معال (556) سهى عنها السهي ومكارم
يقصر عنها الشعـــر لو نظـــم الشعـــرا

553 ــ في «ب» و «ج» : مفاخره ، والصحيح ما في «أ» لانه أنسب للمعنى وللجناس الذي هدف اليه الشاعر .

554 ــ فى «ب» : فلا أدر (كذا) وفى «ج» : يجري (كذا) والصحيح ما فى «أ» .

ودونك أبكـار القوافـي فـان بـدا
عليها حياء فهـو مـن شيمـة العـذرا

منضـدة بيـض الوجـوه تخالهـا
على صفحة الطرس الـدراري والـدرا

وما كنت أدرى النثـر والنظـم قبلهـا
فعلمنـي احسانـك النظـم والنثـرا

تـولاك مـن ولاك بالعـز والبقـا
وأولاك فى الدنيـا رضـاه وفى الأخرى

العلاقات بين أبي زيان والظاهر برقوق

ولما وردت عليه هدية ملك مصر أبي سعيد الملقب ببرقوق (557) •

بعث أيضا هو اليه هدية جليلة ، ووجه معها قصيدة من نظمه ، ويقال انها نظمت على لسانه • وكذا قصائده التي على أظهر أجزاء البخـاري المحبس بخزانته يقال انها من نظمه ويقال مما نظم على لسانه •

---

555 ـ فى «ب» و «ج» : امسك ، والصحيح ما فى «أ» لمطابقته قواعد النحو •

556 ـ فى «ب» : مغال (بالغين المعجمة) : والأليق للمعنى ما فى «أ» و «ج» •

557 ـ الملك الظاهر سيف الدين برقوق أول المماليك البرجيين بمصر ، تولى الحكم من سنة 784 هـ / 1382 م الى سنة 801 هـ / 1399 م • وقد ذكر ابن خلدون (التعريف بابن خلدون » ، تح • ابن تاويت الطنجي ، ص 341 ـ 345) خبر هذه الهدية ، وروى قصيدة السلطان ابى زيان ، وبدأ الخبر بالكلام عن وفد ارسله الظاهر برقوق الى سلطان فاس ، وذكر ان أعضاء هذا الوفد مروا فى طريق العودة « بتلمسان ، وبها يومئذ أبو زيان ابن السلطان أبي حمو من آل يغمراسن بن زيان ، فبعث معهم هدية أخرى من الجياد بمراكبها • وكان يحوك الشعر ، فامتدح الملك الظاهر بقصيدة بعثها مع هديته ، ونصها من أولها الى آخرها ... »

وسنقابل فيما يلي روايات النسخ التي اعتمدناها ، بالنص الذي أورده ابن خلدون • هذا ولم نذكر الروايات المختلفة الواردة فى « التعريف ... » الا للمقارنة وليس لتصحيح نص كتاب التنسي • وقد ذكر أيضا ابن خلدون (المصدر السابق ، ص 345) ان « هدية صاحب تلمسان تشتمل على ثلاثين من الجياد بمراكبها الموهة وأحمـال من الاقمشـة •

والقصيدة التي وجه بها مع الهدية هي هذه :

لمـن الركـائب سيرهـن ذميـل
فالصبـر الا بعـدهـن جميـل (558)

يا أيهـا الحـادي رويدك انهـا
// 195 ظعن يميل القلب حيث تميل (559)

رفقا بمـن حملته فـوق ظهورهـا
فالحسن فـوق ظهورهـا محمـول

لله أيـة أنجـم شفـافـة
ينجـاب عنهـا للظـلام سـدول

شهب بآفـاق الصـدور طلوعهـا
ولهـا بأستـار الخـدور أفـول

فى الهـودج المزرور (560) منها غـادة
تـزع الـدجى بجبينهـا فيحـول

فكأنها قمر عـلى غصـن عـلى (561)
منـمى (562) كثيب والكثيب مهيـل

ثـارت مطاياها فثـار بي الهـوى
واعتـاد قلـبي زفـرة وغليـل

أومت لتـوديعي فغـالب عبـرتي
نظـر تخالسه العيـون كليـل

558 ـ هذه القصيدة من البحر الكامل .

559 ـ البيت ناقص فى «ب» و «ج» .

560 ـ فى «ب» و «ج» : المرور ، والانسب للمعنى والوزن ما فى «أ» وما عند ابن خلدون لأنه يقال زر الشيء : جمعه وشده .

561 ـ فى «ب» و «ج» : علا ، ومع ان الكلمة قد تجوز ، فضلنا الاحتفاظ بما فى «أ» . وعند ابن خلدون : علي أيضا .

562 ـ عند ابن خلدون : متنى .

والبـــاب ليس بمـــــرتج عن مرتـــــج
والظـــن فى المولى الجليـــــل جميـــــل

من لي بزورة روضـــة الهـــــادي الذي
مـــا مثــــله فى المرسلين رســــول

هـــــو أحمـــــد ومحمـــد والمصطفى
والمجتبى ولـــــه انتـــــهى التفضيـــل

يا خير من أهـــدى الهدى وأجـــل مــن
أثـــنى عليــه الــوحي والتنزيـــــل

وحي مــن الرحمـــن يلقيـــه عـــلى
قلـــب النبي محمـــد جبـــريــــل

مدحتــك آيــات الكتـــــاب وبشرت
بقدومـــــك التـــوراة والانجيـــــل

صلة الصــلاة عليك تحلـــو فى فمــــي
مهمـــا تكـــــرر ذكـــرك المعــــول

فوربعـــــك الماهـــــول أن بأضلـــعي
قلبـــــا يحبـــك ربعـــه مأهـــــول

هـــل مـــن سبيـــــل للسرى حتى أرى
خيـــر الورى فهـــــو المنى والســـول

حتـــــام تمطلني الليـــــالي وعدهـــــا
ان الـــزمـــــان بوعـــــده لبخيـــــل

مـــا عـــاقني الا عظيـــــم جرائــــمي
ان الجرائـــــم حملهـــــن ثقيـــــل

دمع أغيض منه خوف رقيبها
طورا ويغلبني الأسى فيسيل

ويح المحب وشت به عبراته
فكأنها قال عليه وقيل

صان الهوى وجفونه يوم النوى
لمصون جوهر دمعهن تذيل

وتهابه أسد الشرى فى خيسها
ويروعه ظبي الحمى المكحول

تأبى النفوس الضيم الا فى الهوى
فالحر عبد والعزيز ذليل

يا بانة الوادي ويا أثل (563) الحمى
هل ساعة تصغين لي فأقول

ما لي اذا هب النسيم من الحمى
أرتاح شوقا للحمى وأميل

خلوا الصبا يخلص الي نسيمها
// 196 ان الصبا لصبابتي تعليل

يا ليت شعري هل لحومي (564) مورد
أو للحمى قبل الحمام سبيل (565)

ما لي أحلا (566) عن ورود محله
وأذاد عنه وورده منهول

---

563 ـ عند ابن خلدون : أهل .

564 ـ فى «ب» و «ج» : حرمى ، والأليق ما فى «أ» لأن حومي هنا مصدر من حام الرجل : عطش .

565 ـ البيت ناقص عند ابن خلدون .

566 ـ فى «أ» : أحلى ، والتصحيح من «ج» (وابن خلدون أيضا) لأن حلاه (بتشديد اللام) عن الماء : طرده ومنعه عن وروده . أما فى «ب» : أملا .

أنا مغـــرم فتعطفوا أنـــا مــذنــب
فتجاوزوا أنا عــاثر فأقيلـــوا (567)

وأنــا البعيـــد فقربـــوا والمستجير
// 197 فأمنوا والمرتجى فأنيلوا (568)

ما للفــؤاد وللهـــوى من بعدمـــا
رحل الشباب وللمشيب حلــول (569)

أو ما قبيـــح بي فــؤاد بالهـــوى
درن (570) وفــود بالمشيب غسيـــل

ان الشبـــاب لــه نصــول كلمــا
نضيــت عليـــه من المشيب نصـــول

صــــال المشيب عــلى الشباب كأنــه
سيــف الأمير عــلى الطغــاة يصــول

يا سايقا نحــو الحجاز حمــوله (571)
والقلــب بين حمـــوله محمـــول

لمحمــد بلـــغ ســـلام سميـــه
فذمـــامه بمحمـــد مـوصـــول

وســل الالــه له اغتفــار ذنوبــه
يسمع هنـــاك دعـــاؤك المقبـــول

567 ـ فى «ب» و «ج» : : فاقبل ، والصحيح ما فى «أ» وما عند ابن خلدون لانه يقال ؛ أقال الله عثرتك ، من سقوطك وكذلك صفح عنك ، وكذلك لان الكلام فى البيت موجه الى جماعة من المخاطبين ،

568 ـ فى كل النسخ : فانيل من دون واو ، والخطأ واضح ، فصححناه بزيادة الولو والألف ، أما الكلمة عند ابن خلدون فهي صحيحة .

569 ـ ان هذا البيت والثلاثة التي تليه ناقصة عند ابن خلدون .

570 ـ فى «ب» و «ج» : دون ، والصحيح ما فى «أ» لان درن الثوب علاه الوسخ فهو درن .

571 ـ فى ابن خلدون : حمولة (بحاء مفتوحة وتاء مربوطة) . أما فى النسخ المخطوطة حموله (ايحاء مضمومة) . وتجوز الكلمتان اذ أن الجمولة هي ما يحمل عليه مـن الدواب . أما الحمول فهي الهوادج أو الابل عليها الهوادج .

وعن الأميـر (572) أبي سعيــد فلتنب

فلكم له نحــو الرسـول رســول

متحمـــل لله كســـوة بيتـــه

يا حبـــذاك المحمـــل المحمـــول

سعــد الأمير (573) أبــو سعيد أنــه

سيف عــلى هـــام العدى مسلــول

ملك يحــج المغــرب الأقــصى بـــه

فلهم به نحــو الرســول وصـــول

ملـــك بـــه نـــام الأنـــام وأمنت

سبل المخاف فـلا يخـــاف سبيـــل

فالملــك ضخــم والجنـــاب مــؤمــل

والفضل جـــم والعطـــاء جزيـــل

والصنع أجمــل والفخـــار مؤثـــل

والمجد أكمل والوفاء أصيـــل (574)

والصنــع أجمــل والفخــار مــؤثــل

//198 وحباك منروح الاله قبول(575)

يــا متحــفي ومفـــاتحي برســـالة

سلســالة يزهى بهـــا الترسيـــل

---

572 ـ عند ابن خلدون : « المليك » وفى النسخ المخطوطة : الامير .

573 ـ عند ابن خلدون : « ابــي » . اما فى النسخ المخطوطة : « ابو » هو الانـسب .

574 ـ بيت زائد عند ابن خلدون بعد هذا البيت وهو :

يا مالك البحريـن بلغت المنـى

قد عاد مصر عـلى العـراق يصـــول

ولم نضفه الى القصيدة لان النسخ الخطية كلها قد خلت منه . فرجحنا ان التنسي لم يدرجه فى القصيدة .

575 ـ ورد الشطر الاول من هذا البيت عند ابن خلدون على النحو التالي : يا خادم الحرمين حق لك الهنا .

واقت (579) محاسنهافأهوى (580) نحوها
بفم القبول اللثم والتقبيل

يا مسعدي وأخي العزيز ومنجدي
ومن القلوب الى هواه تميل

ان كان رسم الود منك مذيلا
بالبر وهو بذيله موصول

فنظيره عندي وليس يضيره
بمعارض وهم ولا تخليل

ود يزيد وثابت شهدا به
ولخالد (581) بخلوده تذييل

واليكها تنبيك صدق مودتي
مع الدليل فوافق المدلول

فاذا بذاك المجلس السامي سمت
فلديك اقبال لها وقبول

دام الوداد على البعاد موصلا
بين القلوب وحبله موصول

وبقيت فى نعم لديك مزيدها
وعليك يضفو (582) ظلها المسدول

مقتل ابى زيان

ولم يزل فى دار ملكه مطاعا مهيب الجناب الى أن كانت سنة واحد وثمانمائة (583) ، فتحرك عليه أخوه (584) السلطان أبو محمد عبد الله

581 ـ فى «ب» : وبخالد ، والصحيح ما فى «أ» و «ج» . وهذا ما نجده أيضا عند ابن خلدون
582 ـ فى «ب» و «ج» : يصفو (بالصاد المهملة) ، والانسب ما فى «أ» لأنه يقال ضفا الحوض : فاض من امتلائه . وعند ابن خلدون يضفو بالضاد أيضا .
583 ـ فى « روضة النسرين » ، (ص 59) : « سنة 802 هـ » .
584 ـ فى النسخة المخطوطة « للبغية » (ورقة 83 ظ) : « ابن عمه » .

أهديتهـــا حسناء بكـــرا مالهـــا
غيري وان كثـر الرجـــال كفيـــل

ضـــاء المداد من الوداد بصفحها (576)
حـــتى اضمحـــل عبوســه المجبـــول

جمعت وحاملهـــا بحضرتنـــا كمـــا
جمعـــت بثينـــه فى الهـــوى وجميـــل

وتأكـــدت بهديـــــة وديـــــة
هـــي للاخـــــاء المرتضي تكميـــل

أطلعـــت فيهـــا للقسـي أهلـــة
يرتد عنهـــا الطـــرف وهـــو كليـــل

وحسام نصر (577) زاهيـــا بنضـــاره
راق العيـــون فرنـــــده المعقـــــول

ماضي الشبـــا لمضـــائه تعنو الظبـــا
فيه نصول على العدى ونطـــول (578)

وبدائـــع الحلـــل اليمانيـــــة التـــي
روى معاطفهـــــا بمصـــر النيـــــل

فاجلـــت فيهـــا ناظـــري فرأيتهـــا
تحفـــا يحـــول الحسن حيث تجـــول

576 – عند ابن خلدون : بصحفها .

577 – فى فى «ب» و «ج» : نضر (بالضاد المعجمة) ومع أن هذه الكلمة قد تجوز اذ أن الذهب والفضة كنضار التالية ، فضلنا الاحتفاظ بما فى «أ» ، وهو ما عند ابن خلدون أيضا .

578 – شوهت كثرة التصحيف هذا البيت فى «ب» و «ج» حتى أصبح لا معنى له . ونجد عند ابن خلدون : لمصابه مكان لمضائه . ووردت عنده أيضا الكلمتان نصول ونطول بالتاء مكان النون .

579 – عند ابن خلدون : جلت .

580 – فى «ب» و «ج» : باهرا ، والانسب للمعنى والوزن ما فى «أ» ، وهذا ما نجده أيضا عند ابن خلدون .

مستجيشا ببني مرين (585) ، وكثير من أهل الوطن • ففر من حضرة ملكه وانخلع عن خلافته ،وتوجه الى جهة المشرق ، يلتمس معينا أو منجدا ، ويطلب ناصرا أو مؤيدا ، والدهر يمنيه بالأمل المكذوب ، ويعده مواعد عرقوب ، وهو يتقلب فى العرب والبربر من فئة الى فئة ، ودام ذلك الى سنة خمس بعد ثمانمائة ، فاغتاله محمد بن مسعود الوعزاني (586) بعد أن أظهر له الخدمة ، وقتله فى بيته منتهكا منه أعظم الحرمة ، فعاجله الله لانتهاكها بأعظم نقمة •

صلى علـى الملـك الشهيـد مليكـه
وسقاه فى ظـل الجنـان الكوثـر (587)

كـانت تهيبـه الأسـود فعالـه
عن قصده الأشقـى الـردى المستحقـر

لم يثـن عـز الملـك عنـه منونـه
فسمت لـه مـن حيث لم يـك يحـذر

دولة أبي محمد عبد الله (588)

ثم بويع المولى أبو محمد عبد الله ابن المولى أبـي حمـو الحسـام الصمصام ، والأسد //200 الضرغام ، نادرة الفلك الدوار ، وأعجوبة الليل والنهار ، يباشر الحرب بنفسه ، ولا يكل الأمر فيها الى أحد من أبناء جنسـه •

تـراه فى الأمـن فى درع مضاعفـة
لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل (589)

585 ـ قال ابن الاحمر (المصدر نفسه) : « أتاه (أخوه) من فاس بجيش مرين بعثه المولى امير المسلمين ابو سعيد المريني » .

586 ـ لم نتوصل الى معرفة هذا الشخص .

587 ـ هذه الأبيات من البحر الكامل . ولم نتوصل الى معرفة قائلها .

588 ـ تولى أبو محمد عبد الله الملك من سنة 801 هـ / 1398 م الى سنة 804هـ/1401م .

589 ـ هذا البيت من البحر البسيط . ولم نعرف ناظمه .

فازدانت به المحافل ، وانقادت له الجحافل ، وجر مقادة الأيام جرا ، وصرف من مقتضى السياسة نفعا وضرا ، فثلجت (590) بحبه صدور الرعية لخصاله المرضية .

روبته فى معضل الأمر لحظة (591)
وتوقيعه الحالي دجى الخطب أحرف (592)

طلاقه وجه فى مضاء كمثل ما
يروق فرند السيف والحد مرهف

على السيف من تلك الصرامة ميسم
وفى الروض من تلك اللطافة زخرف

فخافه اذ ذاك أرباب دولته ، وشرفت به بنو مرين بعد أن كانوا من شيعته ، فدبر الجميع فى خلعه أمرا أبرموه بليل ، فلم يشعر الا وقد دهمته فى مرتبته من مرين (593) الرجل (594) والخيل ، فأسلمته أسرته الذين ركن اليهم ، وكان يعول فى المهمات عليهم ، فاعتقل وأخرج فى هيئة توجب التحسر والعولة ، وعوض منه أخوه السلطان أبو عبد الله محمد بن خولة (595) . وحمل من فوره الى الغرب وهو وحيد ، مستوحش منفرد ولسان حاله ينشد ويردد (596) :

---

590 – فى «ب» و «ج» : فتجلت ، والانسب للمعنى ما فى «ا» .
591 – هذا الشطر غير موزون .
592 – هذه الأبيات من البحر الطويل . ولم نتمكن من معرفة صاحبها .
593 – فى «ا» : زيد : « من مرين » بخط ثان بالهامش . وقال ابن الأحمر (« روضة النسرين » ، ص 60) عن هذا الحادث : وخلع (ابو محمد عبد الله) فى عام 804 هـ . بعث السلطان عثمان المريني الشيخ زيان بن عمر بن علي الوطاسي بالجيش المريني الى تلمسان » .
594 – فى «ب» و «ج» : الرجال ، والصحيح ما فى «أ» لأن الرجل (بالراء المكسورة) ج ارجال : الطائفة من الشيء والقطعة العظيمة من الجراد خاصة . يقال : « جاءت رجل دفاع » اي جيش كثير شبه برجل الجراد .
595 – فى «ا» : ابن خلدون (بالهاء) ، والتصحيح من «ب» و «ج» وذلك أن كلمة الخولة وهي اسم للظبية تكتب طبعا بالتاء ، ولأن الكلمة تقابل من حيث القافية كلمة عولة . فى هذه الفقرة المسجوعة . وفى ملحق مخطوط « البغية » (ورقة 83 ظ) : ابن خولة بالتاء ايضا كما فى «ب» و «ج» .
596 – هذه الأبيات من قصيدة لابن خلدون مدح فيها أبا الحزم بن جهور احد ملوك قرطبة فى القرن الخامس ، وشكا اليه ما كان يعانيه فى السجن . وقد قابلنا الابيات التي أوردها التنسي بها جاء فى « ديوان ابن زيدون » ، تحقيق كرم البستاني (ص 159) واشرنا فيما يلي من تعاليق الى هذا الكتاب الاخير ، بكلمة « الديوان » .

ألم يأن أن تبكي الحمام (597) على مثلي
ويطلب ثأري البرق منصلت النصل(598)

وهلا أقامت أنجم (599) الليل مأتما
لتندب فى الآفاق ما ضاع من نبلي(600)

فلو أنصفتني وهي أشكال همتي
// 201 لألقت بأيدي الذل لما رأت ذلي

ولافترقت سبع الثريا وغاضها (601)
بمجمعها (602) ما فرق الدهر من شملي

دولة ابي عبد الله محمد المعروف بابن خولة (603)

ثم بويع المولى أبو عبد الله محمد ابن المولى أبو حمو ، وهو المعروف بابن خولة (604) ، اثر خلع أخيه عبد الله سنة رأبع ، فورد نهر المجرة علاء ، وقلد نحر الزمان ولاء ، مع همم أنافت على الكواكب ، وكرم صاب كالغمام الساكب ، ووقار لا تحيل الحركة سكونه ، وشرف مقدار يتمنى كل مخير أن يكونه ، وكان مع ذلك رحب الفناء ، جزل العطاء ، حليما عن الدماء ، فطافت به الآمال ، واتسع فى الثناء عليه المقال:

---

597 – فى « الديوان » : ببكي « الغمام » ، وهذه الرواية أنسب للسياق ولكننا حافظنا على ما فى «أ» تطبيقا للمنهج الذي نسير عليه .

598 – هذه الابيات من البحر الطويل .

599 – فى «ب» و «ج» : نجوم ، والصحيح ما فى «أ» لأنه أنسب للوزن وهذا ما نجده بأضا فى « الديوان » .

600 – فى « الديوان » : نثلى .

601 – فى «أ» : غاظها (بالظاء) ، والتصحيح من «ب» و «ج» لمناسبته للمعنى . وفى « الديوان » : أيضا غاضها (بالضاد) .

602 – فى « الديوان » : بمطلعها .

603 – تولى ابن خولة الحكم من سنة 804 هـ / 1401 م الى سنة 813 هـ / 1411 م .

604 – فى «أ» : ابن خوله (بالهاء) ، أنظر تعليقنا المذكور قبل قليل رقم 618 .

وامتلأت قلوب الرعية من حبه ، وتنزل من كل انسان منزلة ناظرة وقلبه ، فهو عندهم العلق الثمين ، والمعني بقول الحكمي (605) فى الأمين :

لقد طابت الدنيا بطيب محمد
وزادت (606) به الأيام حسنا على حسن (607)

لقد فك أعناق العناة محمد
وأسكن أهل الخوف فى كنف الأمن

فماذا عسى أثنى به أو أقوله
وماذا عسى يثني عليك به المثني (608)

اذا نحن أثنينا عليك بصالح
فأنت كما تثني وفوق الذي تثني

وان جرت الألفاظ يوما (609) بمدحة
لغيرك انسانا فأنت الذي تعني (610)

وفاة ابن خولة

وكانت أيامه كلها غررا وحجولا ، ما أم أحد فيها مطلبا الا وأدرك منه بغية وسؤلا تنزلت عند من أدركها منزلة المواسم والأعياد، لعروها عما

---

605 ـ الحكمي : هو الشاعر المعروف أبو نواس الحسن بن هانيء المتوفي سنة 199 هـ / 814 م . وهذه الابيات من قصيدة رثى بها الخليفة محمد الأمين بن هارون الرشيد . وقد قمنا بمقابلة هذه الابيات بالنص الوارد فى « ديوان » أبي نواس » ، نشر دار صادر ودار بيروت فى بيروت . وأشرنا الى هذا الكتاب الأخير فى التعاليق التالية بكلمة « الديوان » .

606 ـ فى « الديوان » زيدت .

607 هذه الابيات من البحر الطويل . وفى «ب» و «ج» : جاء هذا البيث والبيت الذي يتبعه على الشكل التالي :

608 ـ لم يرد هذا البيت فى « الديوان » .

609 ـ فى « الديوان » : منا .

610 ـ فى « الديوان » : نعني .

يوجب التألم والأنكاد ، // 202 القلوب فيها هنية ، والأحوال مرضية ، والأسعار رخية ، والمآرب مقضية ، والأرزاق دارة والعيون من المسرة قارة ، فأوجب لها ذلك خلود الذكر ، فالمثل يضرب بها أبد الدهر ، فلم تزل الأيام له مواتية ، وبعهوده وافية ، ولمحاسنه تالية ، حتى وافته المنية على سرير العافية ، فما كان أسرع من أن تحولت الأحوال ، وثارت الأهوال ، وبدا ما لم يكن عليه معول ، وفي مثله يقول الأول (611) :

أرقت أكف الدمــــع طورا وأسفـــح
وأنضح خدي تــارة ثم أمسح (612)

ودونك طمـــاح من المـــاء هائـــج
يعب ومغبر (613) من البيــد أفيـــح

واني اذا مــا الليل جــاء بفحمه (614)
لأوري زنــاد الهــم فيهــا فأقــدح

وأتبــع طيــب الذكر أنــة مــوجـــع
فينفــح هذا حيث هاتيـــك تلفـــح

وألقي بيــاض الصبح يســـود وجهــه
فأحسبني أمسي عــلى حيــن أصبــح

ويوحشني نـــاع من الليــــل ناعب
فأنجر (615) منه بارحــا ليس يبــرح

يخبــر عن مـــوت الأميـــر محمــد
أمــام الهدى غيث السمــاح الممــدح

611 ـ لم نتوصل الى معرفة اسم قائل الابيات التالية .

612 ـ هذه الابيات من البحر الطويل .

613 ـ في «ب» و «ج» : مغمر ، والانسب للسياق ما في «ا» .

614 ـ في «ب» و «ج» : بعجمة ، والصحيح ما في «ا» لان فحمة الليل : اشد سواده .

615 ـ في «ب» و «ج» : فان جر ، والصحيح ما في «ا» لان نجر نجرا الرجل ، دفعه ضربا ، ونجر الابل : ساقها .

سليل الكرام الأطهرين (616) ذوي التقى
ومن لم تـزل يمنـاه بالجود تسمـح
سما ملكه فـوق الملـوك بأسرهـم
بـذاك جميـع الخلـق طـرا تصرح
تـولت عن الدنيـا المحاسن بعـده
فـلا حسـن الا وبالقـرب يقبـح
جلست (617) أسوم (618) الدهر فيه ملامة
// 203 وقد كنت في أيامه الدهر أمدح
غريقـا ببحر الدمـع والهـم والدجى
ولو كان بحـرا واحـدا كنت أسبـح

وكانت وفاته يوم الثلاثاء السابع من ذي قعدة من عام ثلاثة عشر وثماني مائة ، هكذا هو مكتوب بمشهد قبره ومعه أبيات وهي :

أيهـا الزائـرون قبـري أفيقـوا
يسكن القبـر زائـرا ومـزورا (619)
كـم لبسنـا كمـا لبستم ثيـابـا
وسكنـا مقـاصرا وقصـورا
وتركنـا مـا قد كسبنـا تراثـا
وسكنـا بعد القصور قبـورا (620)

---

616 — فى «ب» و «ج» : الاكرمين ، والافضل ما فى «أ» .
617 — فى «ب» : جلبت ، والاليق ما فى «أ» و «ج» .
618 — فى «ب» و «ج» : اشوم ، والانسب للمعنى ما فى «أ» لانه لا معنى لشام هنا .
619 — هذه الابيات من البحر الخفيف . وما استطعنا ان نعرف صاحبها .
620 — فى «ب» و «ج» : جعل الناسخ من البيتين السابقين بيتا واحدا فكتبت :
كـم لبسناكـم (كـذا) ثيـابـا
وسكنـا بعـد القصـور قبـورا

يـا الـــه الخـلائـــق الطف بعبـد
عــاد بعد الغـــنى اليك فقيــرا (621)

دولة عبد الرحمن بن محمد بن خولة (622)

ثم بويع بعده ولده الأمير عبد الرحمن (623) ، فلم تمتد له الأزمان ، ولا كان له عليها معوان ، ولا ساعده على ما قلد اخوان ، انقض عليه من عمه السعيد ليث العرين ، حين أفلت من اشراك بني مرين ، فهجم عليه فى حضرة امارته ، وخلعه لشهرين وأيام من ولايته .

لا تطمئـــن الى حـــظ حظيت بـه
ولا تقل باغترار صـــح لي وثبت (624)

فمـــا الليالي وان أعطت مقــادتهـــا
الا عدا المــرء مهمـــا استمكنت وثبت

دولة السعيد بن أبي حمو (625)

ثم بويع السلطان السعيد ابن السلطان أبي حمو فى أواخر المحــرم فاتح سنة أربع عشرة وثماني مائة فوجد حضرة الملك مملوءة مفعمة ، من بدرات نقود متممة ، وأعكام (626) سلع مرزمة ، وعتــاق خيل

---

621 – فى «ب» و «ج» : جاء الشطر كما يلي :
عاد اليـــك بعـــد الغـــنى فقيـــرا
والانسب للوزن ما في «أ» .

622 – تولى عبد الرحمن بن « محمد بن خولة » الملك فى شهر ذي القعدة من سنة 813 هـ / 1411 م . ولم تزد مدة حكمه على بضعة أسابيع .

623 – فى هامش «ب» : بيعة الأمير عبد الرحمن .

624 – هذان البيتان من البحر البسيط . وقائلهما مجهول لدينا .

625 – تولى السعيد بن أبي حمو سنة 814 هـ / 1411 م ، ولم يزد جلوسه على العرش على خمسة أشهر .

626 – فى «ب» و «ج» : أحكام ، والصحيح ما فى «أ» لأن العكم هو ما شد وجمع به ثوب أو سواه .

مسومة ، فجالت فى مجموع ذلك منه يد الجود ، حتى أصارته الى العدم // 204 بعد الوجود .

ومشتـــــري الحمــد بالعطــايــــا
ثنــــاه فى الــكتب مستــــدام (627)

فما كان أسرع من أن شرق به أهل فاس ، فوجهوا اليه أخاه الملك عبد الواحد فجرعه أمر الأكواس ، شمر لحربه وخرج من حضرة ملكه للقاه (628) ، ولم يدر أن خروجه سبب شقاه . فلما استقر الجمعان فى بسيط واحد ، أدلج فى ليله الملك عبد الواحد ، بعد أن أبرم الأمن من الرؤساء والرعية ، فتولت ادخاله للبلد ليلا جماعة الرحوية (629) ، وأقام على الأسوار مشاعل النيران علامة ، اذ كان التزمها للذين أمرهم في المحلة بالاقامة . فلما أخبروا بذلك أصحاب السعيد انخزلوا (630) عنه وبقي كالوحيد ، ففر مشرقا ، بدموعه شرقا ، يقلب كفيه على مــا أنفق فيها ، وهي خاوية على عروشها .

ان الليــــالي لــم تحســن الى أحــد
الا أســاءت اليه بعد احســان (631)

دولة أبي مالك عبد الواحد (632)

ثم بويع الهمام الماجد ، أبو مالك عبد الواحد ، صبح ليلة دخوله سادس عشر رجب من عام أربعة عشر (633) المذكور قبله ، فاعتلى به

627 – بحر هذا البيت هو مخلع البسيط . ولم نتوصل الى معرفة قائله .

628 – فى «ب» و «ج» : للقائه . والروايتان صحيحتان وأبقينا ما فى «أ» .

629 – الرحوية : هم عمال الرحى . وهذه الكلمة مازالت مستعملة الى الآن فى تلمسان . هذا وليس بين أيدينا أي مصدر آخر من غير « نظم الدر » يوضح لنا دور هذه الطائفة من العمال فى هذه الحادثة .

630 – فى «ب» : انخدلوا (بالدال المهملة) . وفى «ج» : انعزلوا ومع أن رواية «ج» تجوز فضلنا ما فى «أ» لأن معنى انخزل : تباطأ فى مشيه .

631 – هذا البيت من البحر البسيط . وما استطعنا أن نعرف صاحبه .

632 – تولى أبو مالك عبد الواحد الملك فى المرة الأولى من سنة 814 هـ / 1411 م الى سنة 827 هـ / 1424 م .. وهي سنة استيلاء السلطان أبي فارس الحفصي –على تلمسان .

633 – سنة 814 هـ = 1411 م .

الملك وسما ، وازداد به رفعة ونما ، حتى صار فيه نسيج وحده ، لتناهي حزمه وجده ، أخذ لأهل بيته من الغرب بثأرهم ، وغزا ملوكهم فى عقر دارهم ، ووجه اليها جيوشا جاسوا خلالها ، وتفيأوا ظلالها (634)، فاشتدت بذلك صولته ، وامتدت له دولته •

وكان يقيم ليلة مولد المصطفى ويحتفى به غاية الاحتفاء ، ويقيم فيها المنجانة (635) على الوجه المتقدم فى رسم والده ، ويقتفى أثره فى المستحسن من عوائده ، ونفق فى أيامه سوق الأدب ، وجاء بنوه الى بابه // ينسلون من كل حدب ، فينقلبون بجر الحقائب ، ظافرين بجزيل الرغائب فمما رفع الى حضرته الكريمة قول الأديب أبي الحسن علي العشاب الفاسي (636) مهنئا بفتح الجزائر (637) •

شرف الفتى السمــر الطــوال الميــــد
وصواهل تــرد الوغــى ومهند (638)

وكتـــــائب معقـــــودة بكتـــــائب
والسمــــر تنظــم والسيــوف تبــــدد

634 ـ ان الاخبار عن هذه الفترة من تاريخ الدولة المرينية قليلة جدا • فان الناصري السلاوي مثلا لم يذكر تدخل ملوك بني زيان فى الشؤون الداخلية للدولة المرينية ، ولا نعرف بالتحقيق أسماء الملوك الذين خلفوا أبا عثمان على عرش فاس بعد مقتله سنة 832 هـ / 1421 م • ومن المرجح أن التدخل الزياني بفاس وقع سنة 823 هـ اثر الفتنة التي أدت الى مصرع السلطان المقتول « عبد الله » وهو أخ لابي سعيد • اما التنسي فسماه كما سنرى محمد بن أبي طريق بن أبي عنان • وذكر الناصري « المصدر نفسه » ان عبد الله تغلب على أبي سعيد بمساعدة ابن الأحمر صاحب غرناطة •

635 ـ انظر تعليقنا السابق رقم 343 عن ساعة المنكانة •

636 ـ لم نتوصل الى معرفة هوية هذا الأديب •

637 ـ لم نتمكن من معرفة تحرك أبي مالك عبد الواحد الى مدينة الجزائر (*) ولا من اية أيد افتكها •

638 ـ هذه القصيدة من البحر الكامل •

639 ـ فى «ب» : دير ، ومع ان الكلمة قد تجوز أبقينا ما فى «أ» و «ج» • ومدين حسبما ذكر ياقوت « معجم البلدان » (ج 1 ، ص 418) « هي مدينة قوم شعيب سميت بمدين ابن ابراهيم عليه السلام ... وقيل مدين تجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل وبها استقى موسى عليه السلام لبنات شعيب » •

ويـد القسـى تبث مـن أوتارهـا
رسـل المنايـا والقضـاء يسـدد

والخيـل بـين قـواضب وذوابـل
ريـح تهـب وبـارق يتـردد

والسمـر تركـع فى الجسـوم كأنهـا
رهبان مديـن (639) والصوارم سجـد

والجـو أظلـم والأسنـة أنجـم
وسنـا القواضـب فيـه بـرق يرعـد

ان المعـالي فى العوالـي والظبـا
لا فى مغـان أو غـوان توجـد

من لم يخـض سبل الخطـوب شهامـة
وتقيمـه نـوب الزمـان وتقعـد

ويهـز فى حلـك الدجـى عسالـه
ويعـيره السهـر السهـى والفرقـد

وينوب عـن وضـح الصبـاح سنانـه
والليـل داج والصبـاح مبعـد

وتظـله السمرات من وهـج وقـد
يغنيـه عـن لـين الوسـاد الجلمـد

= أما الرهبان فقد ورد ذكرهم في عدة مواضع من ديوان كثير عزة ، منها قوله :

رهبـان مديـن والذيـن عهدتهـم
يبكـون مـن حـذر العـذاب قعـودا

لـو يسمعـون كمـا سمعت كلامهـا
خـروا لعـزة ركعـا وسجـودا

راجع هنري بيريس (شرح ديوان كثير .. ص 65) . هذا وقد رجعنا الى بعض تفاسير القرآن وكتب قصص الأنبياء فلم نتوصل الى معرفة ما اذا كانت لهؤلاء الرهبان قصة معروفة .

لم يدر لو وطي الكواكب ما العلا
بل فى معاناة الخطوب السؤدد

لله ما تبدي السيوف من العلا
ما المجد الا ما بهن يشيد

// 206 هن المعالي لا سواها والفتى
ان رام ذلك متهم أو منجد

من رام علياء الزمان بظلها (640)
فله الحوادث والليالي أعبد

لكن ما فيهن من شرف • فمن
ما قد أعار لها المليك الأوحد

فمضاؤها من حزمه ومقالها
من بشره والحسن مما يسعد

خير الملوك وخير من قاد الردى
عسالة تهمو وعضبا يرعد

تاج الخلافة عينها وطرازها
وظلال رائع روضها والأصيد

ملك تجلل بالمهابة وارتدى
وسما فدان له الزمان الأسعد

كم بينت آراؤه من مشكل
والله يكفل ملكه ويؤيد

أعيى الملوك شهامة وسياسة
فله على خلفاء أعصره اليد

640 ـ فى «ج» : يطلبها ، والأنسب للوزن والمعنى ما فى «أ» و «ب» .

حلت عزيمتـه عـرى الغـرب الـذي
كـانت لـه تعنـو الملـوك وتقصـد
أنضى عليـه صوارمـا مـن حزمـه
فلـه عليـه بكـل شعب رصـد
ولـه اليـد الطـولى عـلى أعدائـه
والنصر جنـد والسيـوف الأسعـد
يقف الغمـام السـح دون عطائـه
وظبـى المنيـة دون ما يتوعـد
لو انصف الأمـلاك فيـه ووفقـوا
دانوا لـه لكنهـم مـا سـددوا
ملـك أبـى الرحمـن الا نصره
فمـن الـذي يخفـى سناه ويخمـد
// 207 لا يعتريه الضيم ان خطب دهى
بل يستقـل لـدى الخطـوب ويجلـد
ويرى السكون لدى الحـوادث ذلـة
والليث مقتحـم متـى مـا يعمـد
ان راع خطب أو توقـع حـادث
فآراؤه لجـلاء ذلـك موعـد
مـا أم ساحـة ملكـه متغلب
الا ونصرة ذي اللطائـف تعضد (641)
كـم رام ناصر دعـوة المهـدي مـا
فى ظلـه والله عنـه يبعـد

641 — فى «ب» و «ج» : تقصد ، والانسب للمعنى ما فى «أ» .

حتى استقـل بنظـم بعـض بلادهـا
في ملكـه لو أن ذاك مخلـد

فرميت يـا خير الخـلائف ذكـره
عنهـا فلا ذكـر لـه يتـردد

وأزلت ذكـر رسـومه ومحوتهـا
وعفت فلـم ينطـق بـذاك موحـد

لم تثـن حزمـك عـن طلائـع حربـه
حتـى تقضت سياسـة مـا أكـدوا

مولاي عبد الواحـد اعتمـد العـدى
بظبـى تـذل وعزمـة تتوقـد

فلـك الليـالي المعضـلات قـواضب
ولـك العواصف والكواكب أسعـد

فاشكـر أمـير المومنـين فكـم لهـا
من ضغطـة (642) تجلى وخطب يرفـد

هنئتـه فتحـا يروقـك حسنـه
ذلت لعزتـه العـدى والحسـد

تدخـل تلمسان في شؤون فاس

وهو الذي ملك بفاس السلطان محمد بن أبي طريق ابن أبي عنـان المريني (643)، وكان قد قصد حضرته العلية من الأندلس . فحدثني(644) بعض من حضر وقت التسليم ، أن السلطان محمد المذكور قال له :

642 ـ في «أ» : ضغطه ، والتصحيح من «ب» و «ج» ولا معنى في العربية لكلمة ضغصر .

643 ـ انظر تعليقنا السابق رقم 658 .

644 ـ في «ب» و «ج» : فحضرني ، والاليق ما في «أ» .

ـ « أنا في حسب يغمراسن //208 بن زيان •

فأجابه المولى عبد الواحد بأن قال :

ـ « وصلت » •

فجهز له الجيوش وأعطاه الأموال ، وأرسل معه العمال ، حتى استولوا على فاس ، ودوخوا مملكة المغرب الأقصى • فكانت من جملة مناقبه المأثورة واستمر الملك للمولى عبد الواحد الى سنة سبع وعشرين وثماني مائة ، فخلعه المولى محمد بن المولى أبي تاشفين المدعو بابن الحمراء على يدي السلطان أبي فارس الحفصي صاحب تونس (645) فخرج من تلمسان متوجها الى المغرب •

دولة أبي عبد الله محمد المدعو ابن الحمراء (646)

ثم بويع الملك الجليل ، الحسيب الأصيل ، ذو الشيم السنية ، والهمم العلية ، مقلة عين الدهر ، وصفحة وجه العصر ، حامل لواء الشهامة والبسالة : وصاحب راية العز والجلالة ، سر الملك ونفسه ، وبدره وشمسه ، مولانا أبو عبد الله محمد أمير المسلمين ابن الملك الأسعد ، مولانا أبي تاشفين • فاستولى على حضرة الملك بتلمسان يوم خروج عمه منها وهو يوم الأحد السادس عشر من جمادي الثانية عام سبعة

645 ـ قال الزركشي (« تاريخ الدولتين » ، ص 109 ـ 110) : « وفي عام سبعة وعشرين وثمانمائة افتتح المولى السلطان مدينة تلمسان في المرة الاولى . وملكها من يد صاحبها السلطان عبد الواحد ابن السلطان أبي حمو الثاني ، لما سمع عنه ان سيرته غير محمودة ، وبعث اليه ونهاه فلم ينته . فلما وصلها السلطان أبو فارس وانكسر ولده (كذا بالنص والصواب ولد) السلطان عبد الواحد ، وفر هاربا لابيه ، علم أبوه ان لا طاقة له على المقابلة . فخرج من تلمسان فارا بنفسه الى الجبال . ودخل السلطان أبو فارس تلمسان . واستقر في قصبتها . واستولى على جميع ما فيها ، وذلك في ثالث عشر جمادي الاخرى من عام سبعة وعشرين المذكور . فبقي بها مدة مقيما ثم نظر من يقلده أمرها ، فاختار لها الامير محمد ابن السلطان أبي تاشفين ابن السلطان أبي حمو الزياتي » . (كذا ، في النسخة المطبوعة والصحيح : الزياني) .

646 ـ تولى ابن الحمراء الملك في المرة الأولى من سنة 872 هـ / 1424 م الى سنة 831 هـ 1428 م .

وعشرين (647) ، فقابل الدهر أيامه بالاسعاد ، حتى صارت من حسنها كالمواسم والأعياد ، وعم الخصب فى دولته البلاد ، وارتفعت عن الرعية الأنكاد ، فالتحفت قلوبهم على محبته فلا يخرج لهم من بال ، ويودون أن يفدوه بالنفس والولد والمال ، فذكره عندهم أحلى من الماء العذب الزلال ، وأحق الناس بقول من قال (648) :

لعمري لقد سرت بلاد المغارب
سرور ظماء بشرت بالمشارب (649)

وأنسها من مرتع الخصب رائد
يحدث ان الروض ليس بعازب

قد استشعرت ريح الأماني وروحها
وشامت بروقا ألمعت بالسحائب

//209وقد واجهت ركب الهدى فتشوفت
اليه تحيى راكبا بعد راكب

فلو أن أعمار البرايا اليهم
لمدوا بها فى خطو (650) تلك الركائب

ولو فهمت هذي البسيطة شوقهم
زوت لهم آكناف تلك السباسب

وأبدت لهم مرأى الخليفة مشرقا
يلوح عليه النور من كل جانب

ويمشي الهوينا والأسنة حوله
كما يتراءى البدر بين الكواكب

647 _ قال صاحب ملحق كتاب يحيى بن خلدون المخطوط (ورقة 83 ظ) : « بويع ابن الحمراء أواسط جمادي الثاني (كذا) سنة ثمان وعشرين ... » وهذا ينافي كلام التنسي وكلام الزركشي .

648 لم نتمكن من معرفة ناظم هذه الأبيات .

649 _ هذه الأبيات من البحر الطويل .

650 _ فى «ب» و «ج» : خطى ، والأنسب للوزن ما فى «أ» .

وتحجب أنـوار الطلاقـة وجهـــــه
وشمس الضحى محجوبة دون حـاجب
وتحسبـــه بـين المـواكب وحـــده
وتحسبـه مــن نفســه فى مـواكب

تدخل الحفصيين لارجاع عبد الواحد

وكان الموجب لتغير الحال بينه وبين السلطان أبي فارس أن السلطان عبد الواحد لما توجه الى المغرب كما قدمنا ، حاول فى حركة الى تلمسان ، فلم يتم له من أمره شيء • فوجه عند ذلك ابنا له الى تونس ، فأكرمه السلطان أبو فارس ، وكتب معه الى أبيه فى القدوم على تونس • فأرصد له المولى محمد فأخذ وأتي به اليه ، فقتله ووجد عنده كتب التونسي • فكان هذا أول ما أبدى فساد الأمر بينهما • وكانت تنقل قبل ذلك لكل واحد عن الآخر أمور توجب الحقد ، فيطوي عليها • فعند ذلك توجه السلطان عبد الواحد الى تونس ، فوعده صاحبها بالانتصار له • وكان اذ ذاك فى الأهبة لدخول أرض الجريد (*) • فاستعمل حاجبه ابن أبي حامد كتبا على ألسنة رؤساء وطن تلمسان ، بالرغبة فى القدوم عليهم ، وجاء بها الى السلطان أبي فارس ، وقال له :

ــ « ان أهل وطننا كلهم بل وأهل بلدنا محبون فينا ، فاذا // 210 كانت معنا رائحتك ولو فارسا واحدا ، قضينا الحاجة وهذه كتبهم عندنا فأراه اياها ، فقال له :

« أما اذا كان الأمر هكذا فها نحن فى التحرك كما رأيت ، فاذا مررنا بقسنطينة بعثت معكم قائدها جا الخير (651) ، ثم جاء ابن أبي حامد الى مولاه وقال له :

---

651 ـ فى «ب» و «ج» وكذلك فى « تاريخ الدولتين » (ص 111) : « هلاكنا » ، وتحوز الكلمتان واحتفظنا بما فى «أ» .

ـ « هذا الذي تذكر لي أعرفه غير أن صاحب تونس أنفق فى الحركة فقص عليه القضية ، فاغتاظ عليه غيظا شديدا ، وقال له :

ـ « أنت تريد اهلاكنا (652) ، والله لو بعث معنا جيش افريقية كله ما نفعنا اذا لم يكن هو بنفسه معنا • فتركه الى أن سكن غيظه فقال له :

ـ « هذا الذي تذكر لي أعرفه غير أن صاحب تونس أنفق في الحركة التي خلعنا فيها أزيد من عشرة أحمال مالا ، فلم يحصل له عليها عوض يبرد حرارتها ، فمن المحال أن يتحدث فى هذا الوقت كله فى التحرك • فرأيت المصلحة فيما ذكرت لك ، وذلك انا اذا وجه معنا عاملا من عماله فان قضينا به الحاجة خفت المؤنة علينا وعليه ، وان أصابت مصيبة ، انتصر حينئذ لنفسه، ، وبادر لقضاء ما أردنا » • فكان الأمر كذلك •

وذلك أنه بعث معهم العلج جا الخير (653) • فلما نزلوا قرب تلمسان خرج اليهم أربابها ، فاقتتلوا فكانت على التونسيين (654) • فرجع فلهم مع السلطان عبد الواحد الى تونس (655) •

عودة عبد الواحد الى الملك ومقتله (656)

وعند ذلك ورد على تلمسان شقرون ويخلف قاتلا حاكم تونس ، لقتله بطانا أخا شقرون، فبعث صاحب تونس الى تلمسان طالبا أخذهما وبعثهما

652 ـ في «ب» و «ج» : هلاكنا ، وتجوز الكلمتان واحتفظنا بما في «أ» .

653 ـ فى «ب» و «ج» : جاء الخير • انظر تعليقنا رقم 674 المذكور قبل قليل •

654 ـ زيادة فى «ب» و «ج» : « وأخذوا أخذا وبيلا » بعد : « فكانت على التونسيين » ..

655 ـ قال الزركشي « تاريخ الدولتين » (ص 111) عن عودة أبي مالك عبد الواحد الى العرش : « وفى حدود العام المذكور (اثنين وثلاثين وثمانمائة) بعث المولى السلطان عسكرا صحبة قائد قسنطينة القائد جاء الخير الى تلمسان ، لما بلغه عن صاحبها الأمير محمد ابن السلطان أبي تاشفين من العتو والاستبداد ، وقطع اسم المولى السلطان من الكتب والخطبة ، وبعث مع جمعهم السلطان أبا محمد عبد الواحد الذي كان صاحبها ، وكان قدم لتونس بعد فراره من بين يديه حين ملك تلمسان • فلما وصلوا خرج الأمير محمد بجيشه ، فالتقى بهم وهزمهم فسار السلطان أبو محمد عبد الواحد الى الجبال واستصرخ بأعرابها وأتى بهم الى تلمسان فملكها » .

656 ـ تولى أبو مالك عبد الواحد فى المرة الثانية من سنة 831 هـ / 1428 م الى سنة 833 هـ / 1430 م •

اليه ، فلم يسعف . فعند ذلك تحرك الى تلمسان معه السلطان عبد الواحد ، فحصرت تلمسان حصارا قويا ألجا أهلها الى القول (657) ، فعند ذلك خرج السلطان محمد الى جهة الغرب ودخلها السلطان عبد الواحد فى رجب سنة احدى وثلاثين ثم رجع التونسي الى بلاده (658) ، وبقى السلطان محمد فى //211 الجهة الغربية مدة ثم توجه الى الشرق فدخل جبال برشك (*) وتنس (*) . وبقى هنالك مدة ثم توجه الى تلمسان مستجيشا بعربها (659) فدخلها ليلة الاربعاء رابع ذي قعدة سنة ثلاث وثلاثين ، وقتل السلطان عبد الواحد صبيحة تلك الليلة رحمة الله عليه (660) .

انظر الى الأطواد كيف تزول
والحالة العلياء كيف تحول (661)

الموت حتم والنفوس ودائع
والعيش نوم والمنى تضليل

أودى سراج المجد وابن سراجه
فلنور شمس المكرمات أفول

يهوى الفتى طول البقاء مؤملا
وله رحيل ليس عنه قفول

---

657 – كذا فى كل النسخ . ولم نتوصل لمعرفة قصد الكاتب من هذه الكلمة هنا .

658 – لم يذكر حسبما نعلم تدخل أبي فارس هذا وتحركه الى تلمسان فى سنة 831 هـ / 1427 م غير التنسي ، ورأينا أن الزركشي « مؤرخ الدولة الحفصية » ذكر « تاريخ الدولتين » (ص 111) أن السلطان عبد الواحد تغلب على ابن الحمراء بمساعدة الأعراب ، ولم يذكر أي تحرك لأبي فارس نحو تلمسان فى هذه السنة .

659 – فى «ب» : مستخفيا بغربها . وفى «ج» : مستجيبا بعربها ، والأليق ما فى «أ» .

660 – قال صاحب ملحق « بغية الرواد » المخطوط (ورقة 83 ظ) : « ثم دخل عليه ابن الحمراء وهرب صبيحة يومه ذلك وطلع عليه النهار فنزل عن جواده .. بقرب باب كشوط بالمطمر ، فنظرت اليه عجوز من اكابر عبد الواد ، ودخلت عليه ، وعرته من ثيابه وصاحت بعبد الواد ، فدخلوا عليه وذبحوه وجروه الى حمام الطبول ، ورموه هنالك بالغسالين » .

661 – هذه الأبيات من البحر الكامل . ولم نعرف قائلها .

عودة ابن الحمراء الى الملك (662)

فلما استقر السلطان محمد بحضرة ملكه ، ووجه عماله الى نواحي مملكته ، طار الخبر الى السلطان أبي فارس ، فشرع فى الحركة من فوره (663) ، وتوجه الى تلمسان . فلما قرب منها ، خرج السلطان محمد منها ، لأربعة وثمانين يوما من تملكه ، وتوجه الى بني يزناسن (664) . فأقام فيها السلطان أبو فارس أحد قواد الاعلاج ، وتبع هو السلطان محمد الى بني يزناسن فحاصره هنالك مدة . ثم زين بعض أصحاب السلطان محمد له قصد أبي فارس مسولا له أن ذلك يزيل موجدته (665) عليه فأطاعه فى ذلك ، وتوجه اليه ، فأظهر له البشر والرحب أياما ثم قبض عليه ، وعلى جميع من يعتبر من أصحابه ، فكان آخر العهد به ، والبقاء لله (666) .

مضى ملك العليا ولـم يظلـم الضحـى
ولا انتقلت عـن حالهـن المنازل (667)

ولا انهدت الشـم الرواسي ولا انثنت
أعالي ديـار الأرض وهـي أسافـل

فقل لعتـاق الخيـل تنـدب يومـه
// 212 فقد فجعت فيه القنا والقنابـل

662 ـ تولى أبو عبد الله محمد ابن الحمراء فى المرة الثانية فى شهر ذي القعدة 833 هـ / 1430 م ودام ملكه 84 يوما .

663 ـ تحرك أبو فارس الحفصي حسب ما فى « تاريخ الدولتين » (ص 112) ، فى عام أربعة وثلاثين وثمانمائة .

664 ـ يقطن بنو يزناسن فى الجبال الواقعة في الغرب الشمالي لمدينة وجدة (*) وشرق نهر ملوية (*) .

665 ـ في «ب» : حدته ، والصحيح ما في «أ» . ومن المعلوم أن الوجد والجدة والوجدان والموجدة كلمات من أصل واحد معناها الغضب وفعلها وجد .

666 ـ خالفت رواية « تاريخ الدولتين » ، (ص 112 ـ 113) ، رواية « نظم الدر » ، فلم يذكر الزركشي أن محمد بن الحمراء سلم نفسه لابي فارس فقال : فلما علم الامير محمد أن لا قدرة له على القيام فى البلد ، واشتد عليه الحصار ، خرج ليلا هاربا الى جبل بني يزناتن (كذا ، والصحيح يزناسن) . ولما اصبح أهل البلـد (أي تلمسان) فتحوا الباب ودخلها (أبو فارس) بمن معه . وبعث القائد نبيل بن أبى قطاية فى عسكر الى الجبل ، وحاصرهم الى أن طلبوا منه الامان على أن يمكنوه من الامير محمد ، فأنزلوه الى المولى السلطان ، فعفا عنهم ، وقبض عليه واعتقله » .

667 ـ هذه الابيات من البحر الطويل . ولم نتمكن من معرفة قائلها .

وليس صهيل الخيل ما تسمعونه
ولكن عويل رجعته الصواهل
ولا تعجبوا من واكف القطر انه
دموع هراقتها السحاب الهواطل

ثم رجع السلطان أبو فارس الى تلمسان ، وأخذ فى أهبة سفره مشرقا ، فقيل له : « من يقوم بمملكة تلمسان (668) • فقال : « ما أرى لها الا أحمد العاقل » (669) • فأخرج منها عامله بعد سبعة أشهر ، وانصرف متوجها الى بلاد المشرق (670) •

دولة أبي العباس أحمد العاقل (671)

ثم بويع (672) الملك العاقل (673) ، الماجد الكامل ، ذو الحلم والاناة ، والصفح عن ذوي الهفوات ، والمروءة الكاملة والشيم الفاضلة أبو العباس أحمد أمير المسلمين ، ابن مولانا أبي حموا بن الامراء الراشدين ، فأظهر العدل فى الرعية ، وسار فيما تملكه بالسيرة المرضية ، وبانت منه فى ابتداء أمره شهامة ونجدة (674) ، توقف لها رهبة كل ذي صولة ، وعرف مقداره ولم يتجاوز حده (675) ، ثم عجز بعد ذلك عن النهوض وكل ، وتلاشي ماكان له من الهيبة في النفوس واضمحل (676)،

---

668 – نقص فى «ب» و «ج» : « وأخذ .. تلمسان » .

669 – فى ملحق مخطوط « البغية » (ورقة 83 ظ) : « ثم قدم من افريقية الملك العادل أبو العباس أحمد العاقل » .

670 – قال الزركشي (« تاريخ الدولتين » ، ص 113) ، قفل راجعا الى حضرته فى سنة خمس وثلاثين وثمانمائة .

671 – دامت أيامه من سنة 834 هـ / 1430 م الى سنة 866 هـ / 1462 م .

672 – بهامش «ب» بيعة أحمد بن أبي حمو .

673 – نقص فى «ب» و «ج» ، فأخرج منها ... الملك العاقل . »

674 – نقص فى «ب» و «ج» : « وبانت ... ونجدة » .

675 – نقص فى «ب» و «ج» : « وعرف .. حده » .

676 – نقص فى «ب» و «ج» : « وكل .. واضمحل » .

واستولى المتغلبون على الاوطان وكثر الثوار من الزناتية والعربان (677) ودامت دولته اثنتين وثلاثين سنة على هذه الحالة حتى استوفى من الايام ما كان قد كتبه العلي الاعلى له ، وكان دخوله لتلمسان وبيعته في يوم الجمعة غرة رجب سنة أربع وثلاثين وثماني مائة .

وكانت له عناية عظيمة بالولي الزاهد ، القطب الغوث ، شيخ الزهاد ، وقدوة العباد ، السيد ابو علي الحسن بن مخلوف . فكان يكثر من زيارته (678) ويقتبس من اشارته ، ومدار أكثر أموره عليه (679) وبني بزاويته (680) المدرسة الجديدة ، وأوقف عليها أوقافا جليلة ووجد //213 كثيرا من ربع الاحباس قد دثر ، والوظائف التي بها

677 ـ نقص في «ب» و «ج» : من الزناتية والعربان » .

678 ـ أبو علي الحسن بن مخلوف الشهير بابركان من أساتذة التنسي ، توفي سنة 857 هـ 1453 م . راجع ترجمته في « البستان » ، (ص 74 ـ 93) . وقد ذكر ابن مريم (« البستان » ، ص 76 ـ 93) زيارتين قام بهما السلطان أحمد العاقل للحسن ابن مخلوف ، كما ذكر له زيارة أخرى للعالم نفسه في ترجمة محمد بن عمر الهواري (« البستان » ، ص 231 ـ 232) .

679 ـ ومن أمثله مشاورة السلطان احمد العاقل للحسن بن مخلوف ما جاء في « البستان » (ص 231) . وذلك أن العاقل لما علم بتحرك السلطان أبي فارس نحو تلمسان ، ذهب الى الحسن بن مخلوف وقال له : « يا سيدي ان هذا الانسان توجه الينا كما علمت ، فاستشيرك على ثلاثة أمور ، هل اذهب اليه والقاه في الطريق ، أو اصبر حتى يقدم الينا ، أو اذهب الى هنين فاركب منها البحر الى الاندلس ! » .

680 ـ نلاحظ أن الفقرة التالية يشوبها بعض الغموض على خلاف ما عودنا التنسي من جلاء في المعنى والمبنى ، يبدو لنا اولا أن فعل بني هنا استعمل في غير مكانه ، ونظن انه كان من الافضل استعمال كلمة رمم . وقد توصلنا الى هذا الاستنتاج من كلام المؤلف في الفقرة نفسها : فقد قال ان السلطان قد وجد قسما من أوقاف هذه المدرسة قد دثر . كما قال أيضا ان السلطان قد أعاد الحياة الى الاوقاف والوظائف . على أزيد مما كانت عليه قبل » . ولسنا ندري على وجه التحقيق ما هي المدرسة الجديدة التي يتحدث عنها المؤلف . وقد ذكر القسيس بارجيس :
BARGES, *Tlemcen ancienne capitale..*, p. 331-333.
الذي زار تلمسان في منتصف القرن 19 م ، أن المدرسة الجديدة هي اسم ثان للمدرسة التاشفينية التي شيدها ابو تاشفين الاول الى جانب الجامع الاعظم بتلمسان . وقد اعتمد القسيس في هذه المسألة على المعلومات التي التقطها من الاوساط المثقفة بتلمسان . ومن الملاحظ ن المدرسة التاشفينية كانت لا تزال قائمة عند زيارة القسيس ، فتسنى له وصفها . انظر تعليقنا السابق رقم 175 . ولعل هذه المدرسة سميت بالجديدة عند بنائها فبقيت التسمية الى عهد التنسي .
والملاحظة الثانية حول الفقرة هي أننا لا نفهم ما قصد المؤلف بقوله « بزاويته » . ومما تجدر الاشارة اليه أيضا انه توجد حاليا خارج أسوار تلمسان ، اطلال مسجد بصومعته حوله قرية تدعى « بسيدي لحسن » باسم الحسن بن مخلوف حسبما هو شائع عند سكان المدينة ، ولا اثر في القرية لمدرسة او زاوية . راجع :
W. et G. MARÇAIS, *Les Monuments arabes de Tlemcen*, p. 319-323.

انقطعت فأحيى رسمها ، وجرد ما دثر ، وأجرى الوظائف على أزيد مما كانت عليه قبل ، فحمد فى ذلك سعيه ، وبقى له فيه ذكر حسن (681) •

وفى سنة ثمانية وثلاثين ، قدم الامير الرفيع ، ذو الجناب المنيع والراحة السمحاء ، والسياسة الرجحاء (682) ، الملك أبو يحيى بن المولى أبى حمو ، فبايعه موسى بن حمزة ، وعبد الله بن عثمان ، وسليمان بن موسى (683) وقصد تلمسان فلم يتم له مراده منها (684) ، فانعطف الى وهران (*) فاستولى عليها (685) ، فكانت بينه وبين أخيه السلطان أحمد حروب (686) واستمر تملكه لوهران (*) الى شعبان من سنة اثنين وخمسين ، فاقتحمها عليه عمال أخيه السلطان أحمد ، ففر فى البحر بمن خف معه ، متوجها الى المشرق ، فنزل بجاية (*) وتوجه الى تونس وبها (687) توفى فى أوائل سنة خمس وخمسين •

دولة ابى عبد الله محمد المستعين بالله (688)

وفى أواخر (689) سنة احدى وأربعين ، توجه الى المغرب من تونس الملك السعيد ، الأمين الرشيد ، التقي المجيد ، الوفي الشهيد (690) ذو

681 ـ نقص فقرة طويلة فى «ب» و «ج» : « حتى استوفى ... ذكر حسن » •
682 ـ نقص فى «ب» و «ج» : والراحة ... الرجحاء •
683 ـ نقص فى «ب» : « سليمان بن موسى » ومن الراجح أن هؤلاء الاشخاص من أشياخ القبائل العربية ، وذلك أن أحد الثلاثة وهو سليمان بن موسى قد ذكره عبد الباسط ابن خليل « الروض الباسم » (ص 42) فى أحداث سنة 868 هـ / 1463 م • فقال بعد ما ذكر اسمهفى احدى القصص التي أوردها : « وكان سليمان هذا من كبار أمراء عرب تلك البلاد • وهو أمير عربان هلال » •
684 ـ نقص فى «ب» و «ج» : منها •
685 ـ نقص فى «ج» : « فاستولى عليها .. تملكه لوهران » • أما فى «ب» فتنقص : « فاستولى عليها » فقط •
686 نقص فى «ب» : وفيها •
687 ـ فى «ب» و «ج» : وفيها •
688 ـ ان صاحب ملحق « البغية » المخطوط والمؤرخين المعاصرين لنا لم يعدوا المستعين هذا من ملوك بني زيان • أما التنسي فقد سماه « أمير المسلمين » كما سنرى فيما يلي•
689 ـ نقص فى «أ» : أواخر ، والتصحيح من «ب» و «ج» •
690 ـ نقص فى «ب» و «ج» : « الأمين الرشيد .. الشهيد » •

الهمم العلية ، والشيم الرضية ، والخلق العظيم ، والحسب الصميم (691) والعقل الوافر ، والجمال الباهر ، والرأي المسدد ، والعزم المؤيد والحسام المهند (692) ، أمير المسلمين أبو عبد الله (693) فلما وصل وطا حمزة (*) (694) ، بايعه أولاد بليل (695) ، ثم بايعته مليكش (696) ، ثم بنو عمر بن موسى (697) ، أهل ايلي (698) ، ثم جمهور الثعالبة (699)

---

691 ــ نقص في «ب» و «ج» : « والخلق .. الصميم » .

692 ــ نقص في «ب» و «ج» : « والعزم .. المهند » .

693 ــ في «ب» و «ج» : امير المسلمين ابو زيان محمد . ومن المحتمل ان « ابا زيان » كنية ثانية للمستعين .

694 ــ أصل الكلمة : وطاء حمزة . والوطاء كما هو معروف ما انخفض وسهل من الأرض . وعن وطاء حمزة انظر « كشف أسماء الأماكن » .

695 ــ في «ب» : ولاد ابي الليل . ومن البديهي أن المؤلف لا يقصد أولاد أبي الليل من الاعراب القاطنين بجنوب افريقية . ومن المرجح انه يعني فخدا من أفخاد بني يزيد سموا باسم شيخهم أبي الليل بن موسى . وقد ذكره ابن خلدون « العبر » (ج 7 ، ص 263) في خبر قدوم أبي زيان بن السلطان أبي سعيد من المغرب ، وثورته على السلطان أبي حمو موسى الثاني ، وبعد ما تغلب السلطان على منافسه أبي زيان وابعده عن تلمسان « دعاه (أي دعا أبا زيان) ابو الليل بن موسى شيخ بني يزيد ، وصاحب وطن حمزة وبني حمزة وما اليه ، ونصبه للامر مشافهة وعنادا للسلطان بأي « حمو » .

696 ــ نقص في « ب » و « ج » : « مليكش ثم » « ومليكش، قبيلة مازيغية من صنهاجة كانت مجاورة للثعالبة بسهول متيجة (*) . قال ابن خلدون (« العبر » ، ج 6 ، ص 128) : « ودخل الثعالبة هؤلاء في ايالة مليكش من صنهاجة بسيط متيجة » . ونقطن حاليا قبيلة مليكش او ما بقي منها ، في الشرق الجنوبي لجبال جرجرة .

697 ــ جاء ذكر عمر بن موسى مرة في كتاب « العبر » في أخبار استيلاء الامير أبي عبد الله (الحفصي) على بجاية ثم على تدلس بعدها سنة 765 هـ / 3164م ، قال ابن خلدون (« العبر » ، ج 7 ، ص 855) : « ثم نهض (ابو عبد الله) الى تدلس لشهرين من ملكه بجاية ، فغلب عليها عمر بن موسى عامل بني عبد الواد ، ومن أعياض قبيلهم » . ويسميه يحيي بن خلدون (« البغية » ، ج 2 ، ص 103 وص 151) : « عمر بن موسى المطهري » ، ولا تبين هذه النصوص التي رجعنا اليها اذا كان هناك قوم اسمهم بنو عمر بن موسى .

698 ــ في «ب» : الليلي . وفي «ج» : ايلي أيضا . ولم نتوصل الى معرفة هذا المكان . وان هناك اليوم اسما يقترب من هذا الاسم وهو « يلل » الذي هو اسم لنهر يصب في نهر « المينة » الذي يصب بدوره في « شلف » (*) : كما توجد على ضفة يلل قرية تسمى يلل ايضا على 20 كم غرب مدينة غليزان في الطريق الواصل بين وهران (*) والجزائر (*) . غير ان هذا المكان يبعد بأكثر من 300 كم عن مسرح الاحداث المذكورة هنا .

699 ــ الثعالبة : من اعراب المعقل وقال ابن خلدون (« العبر » ، ج 6 ، ص 119) : « وكان دخولهم الى المغرب مع الهلاليين » ثم ذكر ، (ج 6 ص 216) ان موطنهم كان في عهد دولة بني عبد الواحد » بمتيجة (*)(من بسيط الجزائر » (*) .

وبعض حصين (700)، وتوجه الى الجزائر (*) فحاصرها مدة طويلة (701) حتى ضاق الأمر بمن فيها ، ففر مقاتلوها ، وأذعن من بقى فيها ، وأسلموا البلد ، فدخلها أولا ولده مولانا المتوكل ضحوة فى تاسع عشر رجب (702). وعشي ذلك اليوم دخل أمير المسلمين المستعين .

فتوحات المستعين ومقتلـه

ثم بعد ذلك وجه ولده الأرضي // 214 مولانا المتوكل بجيـش جهزه له ، ومحلة أقامها ، فمهد متيـجة (*) وتقدم الى المدية (*) فافتتحها ثم أقام حركة أخرى توجه فيها الى مليانة (*) فافتتحها ، وتمادى الى تنس (*) فافتتحها (703) ، فخطب له بالاستقلال فى هذه المدن كلها ، وفى كل ما كان من أعمالها . وأقبل الناس اليه من كل حدب ينسلون » (704) ، وعظم سلطانه وارتفع شأنه ، وفر (705) اليه كثير من عبد الواد ، أهل تلمسان ، وعظم أمره على صاحب تلمسان حتى أنساه ذلك هم وهران (*) ثم ان أهل الجزائر (*) ، وعرب وطنها ، ثقلت عليهم وطأته ، لما رأوا من تزايد أمره شيئا اثر شيء ، فاتفق رأيهم على الغدر به ، فقاموا عليه فى ثاني يوم من شوال سنة ثلاث وأربعين بعد ثمانمائة فاستشهد رضوان الله عليه مع جملة من أصحابه وأنجى الله مولانا المتوكل من تلك الوقيعة ، اذ كان حينئذ بتنس (*) ، لما سبق له فى سابق علم الله أن يناله من الملك الشامخ والعز الباذخ .

---

700 — كان موطن اولاد حصين من زغبة من العرب الهلاليين « بتيطري وهو جبل اشير » كما قال ابن خلدون (« العبر » ، ج 6 ، ص 92) . وقد ذكر أخبارهم فى « العبر » (ج 6 ، ص 91 — 93) .

701 — نقص فى «ب» : مدة طويلة . —

702 — نظن أن هذه الاحداث وقعت فى سنة 842 / 1438 م . وذلك ان المستعين شرع فى التحرك كما مر معنا سابقا ، فى أواخر سنة 841 هـ / 1437 م .

703 — نقص فى «ب» و «ج» : «ج» : ثم أقام .). فافتتحها » .

704 — القرآن الكريم ، سورة « الانبياء » آية رقم 96 .

705 — فى «ب» و «ج» : وجاء .

قــد أفهمت أســرارهـــا الأيــــام
لكنــه لــم يقنـــع الافهـــام (706)

فى كل شارقـــة تـجيء ، بشـــاهد
ان الــزمـــان وأهـــله أحـــلام

فــأرى الخطوب تواتــرت حسراتهـــا
فلهـــن بالقلب القــريح زحـــام

يــا دهــر شـــأنك انني فى غفـــلة
كثـــر المـــصـــاب فقــلت الآلام

تنسى الــرزيـــة بالرزيـــة مثــل مــا
ينفي السقــام عن الجســوم سقـــام

أين الملـــوك الأكـــرمـــون فانهـم
قد أيقظونا للهمـــوم ونامـــوا (707)

أعـــلام دين الله غـــابت فى الثـــرى
أتغيب فى بطن الثــرى الأعــلام (708)

أملاكنـــا درجـــوا ونبخـــل بعدهـــم
// 215 بدموعنـــا انـــا اذا للئـــام

فلقل ما تبكي العيـــون بجهدها (709)
الا امـــرءا يبـــكي لـــه الاســـلام

لا متعت هـــذه النفـــوس بســـلوة
عنهـــم ولا ولـــج العيـــون منـــام

---

706 ـ هذه الأبيات من البحر الكامل . ولم نتوصل الى معرفة ناظمها .

707 ـ فى كل النسخ : نام من دون واو فصححنا الخطأ .

708 ـ هذا البيت ناقص فى «ب» و «ج» .

709 ـ فى «ب» و «ج» : بحمدها ، والأليق للمعنى ما فى «أ» .

أو مـا قبيـح أن نـنـال لـذاذة
وهـم بأطبـاق الـتـراب رمـام

كانـوا جمـال الدين ثم تغيبـوا
فلذاك شـاب الدهر وهـو غـلام

فلئن مضـوا فالذكر باق والعـلا
مـا لاح اشـراق وجـن ظـلام

ثورة احمد بن الناصر بن أبي حمو

وفى ليلة سبع وعشرين من رمضان من سنة خمسين (710) ، دخل الأمير أحمد بن الناصر ابن المولى أبي حمو ، وتألفت عليه طائفة من تلمسان وصرخوا (711) بنصره ، وهولوا بأطبال وأنفار . فلم ينجح رأيهم فى ذلك . فأخذ وأتي به الى السلطان أحمد فأمر بقتله . وكانت تلك القضية من المحركات له على بناء السور العظيم الذي أدير على القصر ، وما انضم اليه (712) . وهو مما زاد تلمسان حسنا ، غير أنه لم ينتفع به ساعة من نهار . وما ذاك والله أعلم الا لما وقع بسببه من اغتصاب كثير من الدور المتصلة به . وما أحقه لأن يتمثل فيه ، بما تمثل به عبد الله الكامل (713) ، حين رأى ما بناه السفاح (714) بمدينة الأنبار (*) .

---

710 ـ سنة 850 هـ = 1446 م .
711 ـ فى «ب» و «ج» : صرحوا (بالحاء المهملة) ، والأليق ما فى «أ» .
712 ـ لم يبق من المشور وما كان يضمه من قصور ومساكن وما حدا الا هـذا السـور وصومعة . وقد أدخل الفرنسيون على السور بعض التعديلات فى ناحيته العليا . راجع عن المشور
W. et G. MARÇAIS, *Les Monuments arabes de Tlemcen,* p. 129-131.
وعن صومعته : المصدر السابق : ص 314 ـ 317 ، وكذلك
R. BOUROUIBA, *L'Art religieux...,* p. 124-129.
713 ـ رأينا فى الفصل الخاص بمحتوى « نظم الدر » ان التنسي قد خصص الباب السادس من القسم الاول من كتابه لعبد الله الكامل وبنيه (من الورقة 98 و) الى (130 و) وعبد الله الكامل هو أحد أحفاد الحسن بن علي بن ابي طالب ، وقد توفي سنه 144 هـ / 762 م .
714 ـ تولى ابو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين الحكم من سنة 132 هـ / 750 م الى سنة 136 هـ / 754 م .

ألم تـــر حوشبــــا قد صـــــار يبني
قصـــورا نفعهـــا لبني بقيـــلة (715)

يؤمـــل أن يعمـــــر عمـــــر نـــــوح
وأمـــــر الله يحـــدث كـــل ليـــله

ثـــورة محمد المتـــوكل

ولما كانت سنة ست وستين (716) ، نهـض مولانـــا المتوكل من مليانة (*) متوجها الى المغرب ، والنصر أمامه . فاستولى على وطن بني راشد (717) ثم على //216 هوارة (*) ثم افتتح مستغانم (*) (718) وتمزغزان (*) ثم عمد (719) الى وهران (*) فافتتحها ، ثم توجه الى تلمسان فأقام عليها يومين ، ودخلها فى الثـــالث ، وهو يوم الاثنين أول يوم من جمادي الأولى من السنة المذكورة . ففر الأمير أحمد الى العبـــاد (*) ، واستجار بقبر الولي القطب الغـــوث شيخ الشيوخ السيد أبي مدين شعيب بن الحسين الأنصاري (720) ، أفاض الله علينا من أنواره (721) .

715 ـ هذان البيتان من البحر الوافر ولم نتوصل الى معرفة ناظمهما .

716 ـ 866 هـ = 141 م .

717 ـ انظر عن بني راشد تعليقنا السابق رقم 34 .

718 ـ فى «ب» و «ج» : مستغانم من دون ياء بعد النون ، كما تكتب اليوم .

719 ـ نقص فى «ب» و «ج» : ثم عمد .

720 ـ توفى أبـــو مديـــن شعيب بتلمســـان سنـــة 594 / 1197 م . وكـــان فى طريقـــه من بجاية حيث كان مقيما ، الى مراكش بطلب من الخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب .

721 ـ قال صاحب ملحق « البغية » المخطوط (ورقة 83 ظ) بعد ما تكلم عن خلافـــة أبي العباس أحمد العاقل : « ثم خلعه من الخلافة ابن أخيه المولى ابو عبد الله محمد ابن قلموس ، كذلك كان لقبه وأخذه وبعثه الى الأندلس ، فسجنه هنالك حتى توفى رحمه الله .

دولة أبي عبد الله محمد المتوكل (722)

ثم بويع الملك الكامل (723) ، الماجد الفاضل ، الغمام الهاطل ، الأسد الباسل، الفذ الفرد ، القسور الورد ، تاج الأملاك ، وبدر الأفلاك، ومنير الأحلاك ، سر دهره ، ونخبة عصره ، وزين مصره ، وحيا قطره ، الذي وضعت (724) فى كفه يد التجارب ، مرآة العواقب ، ونجدته تصاريف الدهور ، وعرفته بمصائر الأمور ، وركب من صروفها العصب والذلول ، وتجشم الحزون والسهول (725) • وجاد بأنفس العلائق وأنعم ، وأسدى فى الاحسان وألحم (726) ، وأنجد فى طلب المعالي وأتهم ، وأسرج فى تحصيل المكارم وألجم (727) ، فأربى على ملوك العصر ، بما أربت به الشمس على البدر ، والبحر على القطر ، والثمر على النور (728) وخفقت بحضرته ألوية الجلال ، وأضاءت بفنائها بدور الكمال ، ورسخ له فى المعالي قدم ثابت (729) ، مولانا أبو عبد الله محمد ، ابن مولانا أبي زيان محمد ، ابن مولانا أبي ثابت ثبت الله فيما

---

722 – تولى المتوكل من سنة 866 هـ / 142 م الى سنة 873 هـ / 1468 م • وبما أن حديث التنسي قد انقطعقبل نهاية مدة حكمه فان الغموض كثيرا ما يغمر الاخبار المتعلقة بدولة هذا السلطان وبمن جاء بعده من الملوك ، كما وضحنا ذلك فى الفصل الخاص بقيمة الكتاب . ولتحديد سنة وفاة المتوكل ، ونهاية خلافته اعتمدنا على نصين ، وألهما ملحق « البغية » (ورقة 38 ظ) حيث قال صاحبه : « فأقام المولى ابو عبد الله بالخلافة » احدى عشر سنة غير شهرين ومات » .
وثانيا على نص آخر نقله القسيس بارجيس
BARGES, *Complément de l'histoire des Beni-Zeiyan*, p. 357.
وقد وجده على ظهر احدى المخطوطات العربية التي كان يملكها ، فذكر أن صاحب النص قال : ان خلافة المتوكل دامت أيضا احدى عشر سنة غير شهرين .

723 – بهامش «ب» : بيعة المتوكل الذي ألف له هذا الكتاب .

724 – فى «ب» و «ج» : اختصرت الفقرة من « ثم بويع » الى « الذي وضعت آ . فجاءت كما يلي : « ثم بويع الملك الكامل ، الأسد الباسل ، تاج الاملاك ، وبدر الافلاك ، فرد دهره ، ونخبة عصره الذيوضعت .. »
وتكثر ابتدا ءمن هذا الكان فى «ب» و «ج» الاختصار كما يكثر السقط .

725 – نقص فى «ب» و «ج» : « وركب ... السهول » .

726 – فى «ب» و «ج» : افحم ، والاليق ما فى «أ» ، لأنه يقال : الحم القوم ، أطعمهم اللحم ولألحم معنى آخر قد يليق هنا أيضا . يقال ألحم الشيء : لأمه ، وألحم الثوب نسجه ، ومنه المثل : « ألحم ما أسديت أي تمم ما بدأت »

727 – نقص فى «ب» : « وانجد ... والجم » .

728 – نقص فى «ب» و «ج» : « بما اربت .. النور » .

729 – نقص فى «ب» و «ج» : « ورسخ ... اثبت » .

ولاه من خلافته قدمه ، ورفع على سائر أعلام الملوك علمه ، وأبقاه للمجد يعلي معالمه ويحي مكارمه ، فهو اليوم ملك حضرته الكمال ، المرتقي فوق ذروة الجلال (730) ، لازال النصر له خديما ، والسعد له نديما •

خصائص المتوكـل

فقد خص أعلى الله مناره بأمور لم تكن // 217 فى غيره ، منها حصول الشرف له من أبويه جميعا • فان والده المولى محمد بن أبي ثابت ، بن أبي تاشفين ، بن أبي حمو ، بن أبي يعقوب ، بن أبي زيد ، ابن أبي زكريا ، بن أبي يحيى يغمراسن ، بن زيان • وأمه المولاة أمة العزيز ، بنت محمد ، بن أبي الحسن ، بن أبي تاشفين ، بن أبي حمو ابن أبي سعيد ، بن أبي يحيى يغمراسن بن زيان (731) • وهذا المعنى فى الخلفاء عزيز • فقد ذكر جماعة من المؤرخين أنه لم يل الخلافة من أبواه هاشميان ، الا علي بن أبي طالب ، والأمين بن الرشيد ، فمولانا المتوكل ثالثهما فى هذه الخاصية الشريفة (732) • ومنها أنه تاشفيني من الجهتين أبيه وأمه • فأبوه من ولد أبي تاشفين الثاني ، وأمه من ولد أبي تاشفين الأول ، كما أنه أيضا من ولد أبي حمو من الجهتين ، أبوه من ولد الثاني ، وأمه من ولده الأول • واجتمع أيضا أبواه فى يغمراسن ابن زيان ، فهو أبوه من الجهتين • ولا أظن أن هذه المعاني يوجد مثلها فى أحد من ملوك بني زيان ، بل ولا من غيرهم (733) • ومنها أنه خليفة ابن خليفة ابن خليفة ابن خليفة وهذا أمر لا يوجد فى أحد من ملوك بني زيان سواه (734) •

730 ـ نقص فى «ب» و «ج» : « وأبقاه ... الجلال » •

731 ـ نقص فى «ب» و «ج» : « وأمه المولاة .. ابن زيان » •

732 ـ زيادة فى «ب» و «ج» : ومنها أنه خليفة ابن خليفة ابن خليفة ابن خليفة ابن خليفة ، وهذا الأمر لا يوجد فى ملوك بني زيان سواه » • وقد جاءت هذه الفقرة فى «أ» بعد سطور •

733 ـ نقص فى «ب» و «ج» : « واجتمع أيضا .. غيرهم » •

734 ـ فى «ب» و «ج» : ذكرت الفقرة : « ومنها أنه خليفة .. سواه » من قبل ، أنظر تعليقنا السابق رقم 732 •

ومنها الخصلة العظيمة التي لم تكن لأحد من أهل بيته ، وذلك أنه جمع كل من كان من أبناء الملوك المنتسبين لأسلافه الكرام ، ممن كان فى الشرق والغرب • فهم عنده بحضرته على أبر ما يكون من الاحسان ، واذرار النفقة ، وكفاية المؤونة ، مما لم يسبقه اليه أحد من أهل بيته (735) ومنها منه على السلطان أحمد (736) الذي خلعه فانه تمكن منه ، ولم يعرض له بسوء ، بل أحسن اليه ، وصرفه الى الأندلس مكرما تقية عليه من ألسنة الناس ، فما كان جزاؤه عنده (737) الا أنه سعى فى جوازه الى هذه العدوة ، وجمع عليه العرب والبربر // 218 ، وجاء الى تلمسان فحاصرها أربعة عشر يوما ، فانتصر الله تعالى لمولانا المتوكل منه ، فعاجله بالمنية فى عشي يوم الاثنين الثالث عشر لذي حجة متمم سنة سبع وستين ، وجيء به الى يدي مولانا المتوكل فدفنه بالعباد (*) •

وكان معه فى تلك الحركة الأمير محمد بن عبد الرحمن بن أبي عنان ابن أبي تاشفين (738) ، فتمسك به أهـــل الشقاق ، وتعلقوا بدعوته فراموا اطفاء نور الله ، « ويأبى الله الا أن يتم نوره » (739) فأقاموا أياما محاصرين لتلمسان ودخل بعض المتلصصين منهم البلد ليلا ، فقام عليهم أهل البلد ، فقتلوا بعضهم ، وفر الباقون • فعندها يئسوا من أمانيهم « كما يئس الكفار من أصحاب القبور » (740) • فارتحلوا وتفرقت جموعهم • فمنهم من راجـــع خدمة أمير المسلمين المتوكل ، ومنهم من تمادى على غيه (741) •

735 – نقص فى «ب» و «ج» : « فهم عنده .. أهل بيته » .

736 – السلطان أبو العباس أحمد العاقل .

737 – نقص فى «ب» و «ج» : « مكرما .. جزاؤه عنده » .

738 – لم نتوصل الى الحصول على المزيد من المعلومات عن هذا الأمير ولا عن ثورته هذه .

739 – من القرآن الكريم ، سورة « التوبة » آية رقم 33 .

740 – من القرآن الكريم ، سورة « المتحنة » ، الآية رقم 13 . نقص فى «ب» و «ج» : « فعندها .. القبور » .

741 – نقص فى « ب » : « فمنهم .. على غيه » . ووجدنا فى كل النسخ : « تمادي على غيه » ، ومن المعروف أن فعل تمادى يتعدى بفي وليس بعلي .

ثـورة ابن غاليـة

وصدر الأمير محمد بن غالية (742) الى وجدة (*) فاستقر بها لقصد الاضرار . فكانت فئته الباغية ربما تأتي خفية ، فتعيث فى بعض الرعية ، وتفر قبل وصول الجند اليها . فحمله ذلك على الشره الى ما فيه حتفه (743) . فجاء مع أوباش تجمعوا عليه الى جبل بني ورنيد (744) ، فنمي (745) خبره الى الحضرة . فبعث أمير المسلمين اليه من حضر من جنده المنصور ، فالتقوهم بالجبل المذكور ، فما كان بأسرع من أن تفرق عنه جمعه بعد قتل ذريع وقع فيهم ، فكان أيضا من جملة الصرعى (746) ، فقتل عشية الثلاثاء الثالث عشر لشوال سنة ثمان وستين (747) . وأخذ رأسه وجيىء به حتى وضـع بين يدي أمير المسلمين مولانا المتوكل فى طست صفر (748) ، ودعي العارفون به حتى ميزوه ، وعرفوا عينه ، ثم جيء من الغد بجسده ، فدفن // 219 مع صاحبه بالعباد (*) فسبحان المدبر الحكيم . وبموته تحسمت العلل وغلت أيدي المفسدين . وقد نظمت فى قضيته قصيدة فى مدح مولانا المتوكل ومدح أولاده أقر الله بهم عينه وهي :

أرقت لدمـــع من جفـوني ينحـــط
كنثر نفيس الدر ان خانه السمط (749)

---

742 ـ لم نتوصل الى الحصول على المزيد من المعلومات عن محمد بن غالية هذا .

743 ـ نقص فى «ب» و «ج» : « وربما تأتي ... حتفه » .

744 ـ فى «أ» : « ورينـد » بياء مفتوحة ونون مكسورة ومشددة . اما فى «ب» و «ج» : ورنيد وهذا هو الصحيح . انظر التعليق السابق رقم 29 .

745 ـ فى «ب» و «ج» : فنما .

746 ـ نقص فى «ب» و «ج» : « فما كان ... صرعى » .

747 ـ سنة 868 هـ = 1463 م .

748 ـ نقص فى «ب» و «ج» : « طست صفر » .

749 ـ هذه القصيدة من البحر الطويل .

خطا النص(750)والأعناق فى أرض وجنتي

فخدد أخدودا بخـــدي (751) اذ يخطو (752)

أثارتــه نــــار فى الجوانـــح سعـــرت

تعجب لمزن حيـــن تسطو لظى يســـطو

فطورا تـــراني من غــــزارة دمعـــتي

غريقـــا ببحـــــر مـــا يبين بـــه شـــط

وطورا حريقـــــا من ســـعير جوانـــحي

فيبدو بظهر الجســـم من لفحـــه نفـــط

ويحتد (753) بالأمرين سيف النوى فلا

تـــرى بضعـــة الا وفيهـــا له قــــط

ويهيجه ذكـــــر المعـــــاهد باللـــــوى

اذا م ابدا للعين من رملهـــا سقـــــط

ديار بهـــا صاحبت دهـــري مســـاعدا

بأخلاقه ليـــن وفي وجهـــــه بســــــط

ألفت بهـــــا ظبيـــــا أمنت نفــــــاره

ينيل الأمـــاني ليس فى الحكم يشتـــط

ومذهبه أن السمــــاح لــــذي الهــــوى

بمـــا يبتغيه فى اتصــــال الهـــوى شرط

---

750 ــ فى «ب» و «ج» : النصر ، والصحيح ما فى «أ» « لأن معنى النص هنا : سير الناقة السريع ، وهذا ما ينا سب السياق .

751 ــ فى «ب» : ممددا خدودا أسخدى . وفى «ج» ، ممددا خدودا لحدى (بالحاء المهملة)، والصحيح ما فى «أ» لأن الشاعر يعني بكلامه هذا ، أن الدمع قد حفر حفرة .

752 ــ فى كل النسخ بخط من دون واو . فصححنا الخطأ .

753 ــ فى «ب» و «ج» : يمتد ، والصحيح ما فى «أ» لمناسبة المعنى ، وذلك أن احتد السيف معناه كما هو معروف رق حده .

يقــابل بالاسعاف مــا ان تــرى لــه
معائب الا البــذل والبشر والبســـط

غدائــره مثل العقـــارب شعرهـــا
أثيث كقنو (754) النخل محلولك سبط

حواجبـه زج سوابــغ مــالهـــا
// 220 شبيه سوى نونين والحدق (755) النقط

اذا مــارنت الحــاظه الدعــج أرسلت
سهاما لها فى قلب من قد رمت وخــط

يــزان بــه الحــلي الذي زان غيره
فتشتــاقه الأطواق والشنف والقــرط

له راحــة مثل الدمقــس (756) بنانهــا
أســـارع ظبي تستبيك اذا يعــطو

هضيم لطيــف الكشح مــا ان يمســه
اذا ما اكتسى برد مفوف (757) أو مرط

لــه كفــل يــرتـــج تحسب أنــه
كثيب مهيــل لا يقر (758) اذا يخــطو

وســاق كأنبــوب القناة قد استــوت
عــلى قدم كأنهـــا ان بدت مشــط

---

754 ـ فى «ب» و «ج» : كقبو ، والصحيح ما فى «أ» لأن القنو معناه العذق وهو من النخل كالعنقود من العنب .

755 ـ فى «ب» : الحذق (بضمة فوق الدال) . وفى «ج» : الحذق (بالذال المعجمة) . وفى «ا» : الحدق بحاء ودال مفتوحتين وهو اللائق هنا ، وذلك أن الحدقة ج حدق وحدقات وأحداق وحداق : سواد العين .

756 ـ فى «ب» : الدمقيس ، والأليق للمعنى والوزن ما فى «أ» و «ج» ، اذ أن معنى الدمقس والدمقاس ، هو الحرير الابيض والديباج .

757 ـ فى «ب» : خفوف . وفى «ج» : حفيف ، والصحيح ما فى «ا» لأن الثوب المفوف هو الثوب الرقيق وكذلك الثوب فيه خطوط بيضاء على الطول .

758 ـ ذكر الناسخ فى هامش «ب» : لا ينوء .

نعمت به دهرا الى أن سعت بنا (759)
وشاة ذوو ضغن (760) عدي حسد معط

فبان به أهلــوه واستصحبوا النـــوى
وصاروا بعادا فى المنازل قد شطوا (761)

وخــلو (762) بقلبي اذ تحقق بينهــم
وساوس يتلوها اذا استحكمت وقــط

وأنكــرت جيراني وأهـــلي وموضعي
فلي فى بحار (763) الدمع كل ضحى (764) غط

فلمــــا رأيت الدهــر قطب وجـــهه
وربده(765) حتى كأن وجهه الثأط (766)

رجعت الى نفسي وقلت لهـــا وقـــد
بدا (767) فى أمور لا تفيد لها خبــط

أنفسي دعي لــحي الزمــــان وعتبــه
فلا قلب الا فيــه من صرفه وخـــط

وحــثي السرى دأبــا الى خيــر ناصر
وأعظم سلطان اليه الخطى تخطو (768)

---

759 ـ نقص فى «ب» : بناء وفى «ج» : هما ، والصحيح ما فى «أ» لمناسبه للوزن والمعنى .
760 ـ فى «ب» و «ج» : ظعن ، والصحيح ما فى «أ» لآن من المعلوم أن الضغن ج أضغان : هو الحقــد .
761 ـ هذا البيث ناقص فى «ب» و «ج» .
762 ـ فى «ب» : حلوا ، والأنسب للمعنى ما فى «أ» و «ج» .
763 ـ فى «ج» : بحور ، واحتفظنا بما فى «أ» و «ب» .
764 ـ فى «ب» : طما (بطاء مهملة) . وفى «ج» : ظما (بظاء معجمة) . ، وأبقينا ما فى «أ» لأن الكلمة تناسب السياق .
765 ـ فى «ب» : ربده . و «ج» : الكلمة غير واضحة ، والصحيح ما «أ» لان ربد الرجل : تعبس .
766 ـ « ب » و « ج » : التاط (بالتاء المثناة) ، والصحيح ما « أ » لأن الثأطة ج ثاط : الوحل الفاسد الرائحة .
767 ـ في «ب» و « ج » : بدت ، والصحيح ما في «أ» لان خبط هو الفاعل .
768 ـ فى كل النسخ تخط من دون واو . والخطأ واضح فصححناه .

عنيت أميـــر المسلـــمين محمـــدا

//221 سليل اسمه من شأنه البذل والبسط

ومن لم يـــزل ملك الورى متشوفـا

اليه لكي يحيا ويعتاده الحــوط (769)

ومن أشرقت من نوره الأرض كلهـــا

وكل مليك نـــوره ان يلـــح سقـــط

ومـــن ترهب الأمـــلاك صولة بأســه

فتخطب منه الودّ خشية أن يسطو (770)

ومن مجده فوق السماك (771) ارتقى ومن

تـــود الدراري أنهـــا تحته بســط

ومن باح شق مع سطيح (772) بذكـــره

وأفصح عن تمليكه النجم والخط (773)

ومـــن أخبـــر المختـــار أن بســاطه

لأرجل أرســال الملـــوك به حـــط

ومـــن أصـــله من جانبيه كليهمـــا

أثيل رفيع القدر ما شابه خلــط (774)

ومن بيته أقـــوى البيـــوت دعائمـــا

ومن رهـــط خير العالمين لـــه رهـــط

---

769 ـ البيت ناقص فى «ب» و «ج» .

770 ـ البيت ناقص فى «بَ» و «ج» .

771 ـ فى «ب» : السماء، والأليق ما فى «أ» و «ج» .

772 ـ شق وسطيح : كاهنان من العصر الجاهلي ، قال عنهما المسعودي (مروج الذهب ، ج 2 ، ص 160) : كان سطيح الكاهن .. يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب ، لا عظم فيه الا جمجمة الرأس .. وكان شق .. معه فى فى عصر واحد ، وكان فيهما جمرة الكهانة .

773 ـ البيت ناقص فى «ب» و «ج» .

774 ـ البيت ناقص فى «ب» و «ج» .

ومن أمـه الزهرا البتــول ومن غــدا
علـي أبـاه وهو للمصطفى سبــط
محمد المبعــوث للخلــق رحمــة
لتشملهم منــه الصيــانة والحــوط
نـبي طمت بحـرا جواهـر علمـه
فمـا (775) مرسل الا ومنها له لقــط
عليه صـلاة الله مـا هبت الصبـا
ومـا قطع الفيفـا الى قبـره وهـط
فـذاك أميـر المسلمين الذي غـدت
مـآثره تـروى وتتـلى وتختلـط
فـكل خصـال فى الملـوك تفـرقت
تبـدت جميعـا فيـه نظمهـا سمـط
مليـك همـام سفيـه ليـس ينثنـي
222// عن القرن (776) الا وهو فى الترب ممتط
سـني سري منعـم متفضـل
جليل جميل شأنه الرفع لا الحط (777)
أجـل ملـوك الأرض قدرا ومنصبـا
وأكـرم من يعطي وأسمح من يعـطو
ليهنـه أعـلى الله ذروة مجـده
سعود قد استـولى بوجـه له بسـط

775 – فى «ب» و «ج» : فلا ، والصحيح ما فى «ا» .

776 – فى «ب» : على القول . وفى «ج» : عن القول ، والأنسب للمعنى ما فى «ا» .

777 – البيت ناقصفى «ب» و «ج» .

فيا حسن ما جـــاء البشير بـــه لنـــا
بليلة سعد نورهـــا ســاطع يســـطو

ولله يـــوم الأربعـــاء صبـــاحهـــا
لنا منه (778) ما يكنى به ما به خلـــط

وأهل العنـــاد الملحدون ذوو الشقـــا
لضد الذي يكنى به اليـــوم قد أعـــطوا

وجـــيء بـــرأس كان للشـــر مألفـــا
يطوف به أهل الضـــلال كما السمـــط

وتوج من صفر النحـــاس بطسه (779)
الى سابق الأقدار من ذاك جا يخطو (780)

أتيحـــت بـــه للمســـلمين بشـــائر
لـــكل أخي دين من أفراحهـــا قســـط

ومـــن كان ذا غـــل فـــفي كمد يـــرى
ويغشاه (781) فى أحشائه (782) دائما نشط (783)

سيتلوه فتـــح بل فتـــوح كثيـــرة
يقصر عنهـــا العـــد والحصر والضبـــط

ويظفـــر مولانـــا بشرق ومغـــرب
بدولـــة ملـــك تستمر وتمتـــط

778 ـ فى «ب» : فيه ، والأليق ما فى «أ» و «ج» .
779 ـ فى «ب» و «ج» : يمسه ، والأنسب للمعنى ما فى «أ» لأن الطس كالطست هو اناء من نحاس .
780 ـ فى كل النسخ يخط من دون واو ، فصححنا الخطأ .
781 ـ فى «ج» : يعساه ، والأنسب للمعنى ما فى «أ» و «ب» .
782 ـ فى «ب» و «ج» : احسائه (السين المهملة) والأنسب للمعنى ما فى «أ» .
783 ـ فى «ج» : نسط (بالسين المهملة) ، والأليق ما فى «ا» و «ب» لأن النشط هو اللسع ، وهذا أنسب للمعنى .

ولم لا وفى التــوراة والصحف حقــه
والانجيل والفرقـــان والزبر مختـط
حـوى فى صبـاه من وثاقـة رأيـــه
مع(784)الحزم ما لم تحوه اللمم الشمط
ترى الوجه منه الدهر مبد طلاقة (785)
223// فما يختشى الهجران (786) منه ولا السخط
هو البحر جـودا من جميع جهاتـــه
فمعــروفه لـج واحســانه الشـــط
نعـم عنده محبـــوبة حين يجتـدى
فما سمعت لا منــه للمجتدي قـــط
فكل بني (787) الآمال ساعون نحـوه
كذا كل من أضنـاه من دهره قسـط
فما منهـــم الا محصـــل قصـــده
فذاك له الجدوى (788) وهذا له القسط
مطى صهـوات المجـد واحتار فخرهـا
فلا مطمع فيها لــكل امـريء يمـطو

784 ـ فى «ب» و «ج» : من ، والأنسب للمعنى ما فى «أ» .
785 ـ فى «ب» ، ورد الشطر كما يلي :
ترى للوجه منه قبل طلاقه
وأضاف الناسخ علامة الى جانب كلمة قبل وكتب بالهامش : « لعله مليء » . أما فى «ج» فقد جاء الشطر كما يلي :
ترى لوجه منه ميل طلاقة
واما فى «ب» و «ج» ، مختل الوزن والمعنى .
786 ـ فى «ب» و «ج» : البحران ، والأنسب للمعنى ما فى «أ» .
787 ـ نقص فى «ب» و «ج» : البحران ، والأنسب للمعنى ما فى «أ» .
787 ـ نقص فى «ب» و «ج» : بنى ، وهذا السقط يفسد الوزن والمعنى .
788 ـ فى «ب» و «ج» : الجد ، والأنسب للوزن والمعنى ما فى «أ» وذلك أن معنى الجدوى : العطية .

وبــرز مــن بين الملــــوك محليـــا
وأعطاه رب العرش فوق الذي أعطوا (789)

فشرط الغنى والعــز لثـــم بســـاطه
وهل يحصل المشروط ان لم يكن شرط

له بالقنـــا السمـــر الذوابل فى الـــوغى
وبالبيض فى ألواح جسم العدى خــط

فمــن يلتمس علــــم الكتابة يلفهـــا
بأجسام قتلاه اذا فى الفلى امتطوا (790)

فطورا يرى وضـــع الحروف مبينـــا
وطورا ترى الأشـــكال والمط والنقـــط

له من بنيـــه وفـــر الله جمعهـــم
وأسعـــد مسعـــاهم وأرشدهم رهـــط

لهـــم همـــم أربت عـــلى كل همـــة
وقدر عـــلى بدر الدجى ليس ينحـــط

يلوح عليهم من سنا الملك لائح (791)
اذا ما امتطوا عفوا على كل من يمطو (792)

فبالتا شفيني (793) الرهي اعتلاؤنا (794)
اذا بالحسام العضب يوم الوغى يســـطو

789 ـ البيت ساقط فى «ب» و «ج» .
790 ـ البيت ناقص فى «ب» و «ج» .
791 ـ فى «ا» : لابح ، والتصحيح من «ب» و «ج» ، وذلك أن كلمة لابح لا تناسب المعنى .
792 ـ زاد كاتب نسخة «ا» هذا البيت بهامش الورقة . اما فى «ب» و «ج» : فقد ورد هذا البيت مباشرة قبل البيت الاخير . ووردت كلمة يمطو من دون واو فى كل النسخ ، فصححناها .
793 ـ تولى ابو تاشفين بن المتوكل الملك بعد أبيه حسب ملحق « البغية » (ورقة 84 و) غير أن مدة توليه لم تزد على اربعين يوما .
794 ـ فى «ب» و «ج» : اعتناؤنا ، والأصح ما فى «ا» لان كلمة « اعتلاؤنا » تحمل معنيين اما الارتفاع أو القهر ، وكلاهما يناسب السياق .

كذا بأبي حمو (795) السني الذي غدت
أنامله بالجـود دأبـا لها بسـط
وبالشهم يغمور(796) أخي البأس والندى
224 // تصان نواحينا (797) ويشملها (798) الحوط
وأما أبو عبد الاله (799) الرضى الذي
محبتـه فى نيـل كل مـنى شـرط
فمنه لأهـل الـود سعـد مسـاعد
وسهـم بأكبـاد العـداة له وخـط
فأربعة هـم ان يلـح بينهم ضـحى
أحاطوا به من كل وجـه كما السمـط
يمينـا يسـارا خلفـه وأمامـه
فلا زال قطبـا كلهم حولـه يخـطو
ويتلو معاليهم (800) أبو سالم (801) الذي
يلوح كبدر ليس فى نوره وهط (802)

795 ـ من أولاد المتوكل .

796 ـ يغمور : من أولاد المتوكل ايضا .

797 ـ فى «ب» و «ج» : مراحينا . غير أن كاتب نسخة «ب» زاد بالهامش : نواحينا .

798 ـ فى «ج» : يشعلها ، والأليق للمعنى ما فى «أ» و «ب» .

799 ـ فى «ب» و «ج» : أبو عبد الله : والأنسب للوزن ما فى «أ» . وقد تولى أبو عبد الله الملك بعد أخيه أبي تاشفين ، ودامت دولته 30 سنة حسب القسيس بارجيس BARGES, *Complément de l'histoire des Beni-Zeiyan...*, p. 403.
أما صاحب ملحق « البغية » المخطوط (ورقة 84 و) فقد قال : انها دامت أربعا وأربعين سنة .

800 ـ فى «ب» : معالمهم ، وفى «ج» : معا يهم ، والأنسب للوزن والمعنى ما فى «أ» .

801 ـ أبو سالم : أحد أولاد المتوكل .

802 ـ فى «ب» و «ج» : رهط ، والأنسب للمعنى ما فى «أ» لأن الوهط هنا بمعنى الضعف . وكلمة الوهط تأتي أيضا بمعنى الجماعة وقد وردت فى بيت سابق فى القصيدة نفسها بهذا المعنى .

كذلك عبد الله (803) خيـر فـتى بـه
نـال رضى ما يتقى بعـده سخـط

فمجموعهم (804) مع قطبهم سبعة حكوا
دراري الطباق السبع يا حسن ما أعطوا

وزادوا بـأن يلفـوا جميعـا بحضـرة
وما بـان هذا فى الدراري لنـا قـط

قـضى الله أن الملـك يخلـد فيهـم
بذاك جـرى فى اللوح بالقلم الخـط

فطاعتهم فـرض ومن عاند ارتـدى
وعقباه فى الأخرى لأعماله (805) الحبط

سيـدعى لهـم بالنصر فى كل بلـدة
بغـرب وشرق كل سبـط له قسـط

وتعنو لهم عرب رياح(806) وزغبة(807)
ومعقل (808) والشاوي (809) وجابر (810) والخلط (811)

---

803 ـ عبد الله : احد اولاد المتوكل .

804 ـ فى «ب» : مجموعهم (من دون فاء) وفى «ج» ، فجممهم ، والأفق للوزن ما فى «ا» .

805 ـ فى «ب» : لانعاله ، وابقينا ما فى «ا» و «ج» مع ان ما فى «ب» جائز .

806 ـ انظر عن قبيلة رياح ، تعليقنا السابق رقم 191 .

807 ـ زغبة : قبيلة من قبائل بني هلال . ومما قال ابن خلدون (« العبر » ، ج 6 ، ص 87)عنها : « وبطون زغبة هؤلاء يتمددون من يزيد وحصين ومالك وعامر وعروة . وقد اقتسموا بلاد المغرب الأوسط . وكانوا نازلين فى عهد صاحب « العبر » بتيطري وشرقيه الى وطا حمزة (*) .

808 ـ المعقل : من العرب النازحين الى المغرب فى القرن الخامس هـ / الحادي عشر م ، برفقة بني هلال وبني سليم . وقال عنهم ابن خلدون (« العبر » ، ج 6 ، ص 118 ـ 119) ، « وهذا القبيل لهذا العهد من اوفر قبائل تلمسان ، وينتهون الى البحر الاقصى مجاورون لبني عامر من زغبة فى مواطنهم بقبلة تلمسان ، وينتهون الى البحر المحيط من جانب الغرب » .

809 ـ لعل الشاعر يعني بالشاوي ساكن جبال اوراس . ولا زال قسم كبير من سكان تلك الجبال يسمون الى يومنا هذا بالشاوية . وهناك ناحية من المغرب الأقصى واقعة بين مدينة الدار البيضاء شمالا ونهر ام الربيع جنوبا تسمى بالشاوية والنسبة اليها الشاوي أيضا . ولم يرد ذكر الشاوية الا مرة واحدة عند ابن خلدون (« العبر » ،

يزيد (812) حكيم (813) مع هلال (814) وعامر (815)
ثقيف (816) وعدنان (817) وقحطان (818) والسمط (819)
كمـــا تخضع الأعجـــام حبش وبربـــر
وروم وأتـــراك وفارس والقبط (820)

ج 7 ، ص 350) في حديثه عن بني مرين فقال : « وسار بهم أميرهم أبو سعيد عثمان بن عبد الحق في نواحي المغرب يتقرى مسالكه وشعوبه ، ويضع المغارم على اهله حتى دخل أكثرهم في أمره . فبايعه من الظواعن الشاوية والقبائل الآهلة : هواري وزكارة الخ .. »

810 – بنو جابر : بطن من بطون جشم الذين نزحوا مع بني هلال وبني سليم الى المغرب في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي . وقال ابن خلدون (« العبر » ، ج 6 ، ص 66) : « وربما يقال انهم من سدراتة احدى فرق زناتة أو لواتة والله أعلم بذلك » . وكانوا قاطنين في وسط المغرب الأقصى عند منابع الانهار الثلاثة : ام الربيع وملوية وبورقرق .

811 – الخلط هم كبني جابر السابق ذكرهم بطن من بطون جشم . وكانوا يقطنون بالمغرب الأقصى على ضفاف نهر بورقرق وجنوبه . غير أن ابن خلدون (المصدر نفسه) قال عنهم : « الا أن الخلط اليوم دثرت كأن لم تكن ، بما أصابهم من الخصب والترف منذ مائتين من السنين .. »

812 – من الراجح أن الشاعر يعني هنا بني يزيد بن زغبة وهم بطن من بطون بني هلال تقدم ذكرهم والتعليق عليهم ، انظر التعليق رقم 807 .

813 – بنو حكيم : بطن من بطون بني سليم الذين نزحوا الى المغرب برفقة بني هلال في القرن الخامس هـ / الحادي عشر م . ومما قال ابن خلدون (« العبر » ، ج 6 ، ص 163) عنهم : « ومواطن حكيم هؤلاء لهذا العهد ما بين سوسة والأجم » .

814 – من المعروف أن بني هلال كانوا قاطنين في جبل غزوان عند الطائف ، ثم نزلوا بالصعيد من البلاد المصرية « وقد عم ضررهم ، وأحرق البلاد والدولة شررهم » ، كما قال ابن خلدون (« العبر » ، ج 6 ، ص 30) . فلما نقض المعز بن باديس طاعة الفاطميين أشار الخليفة الفاطمي على بني هلال وغيرهم من الاعراب الذين كانوا يعبثون فسادا في صعيد مصر ، بالمسير الى المغرب ، عقابا للمعز وخلاصا من شرهم . وكانت قبيلة هلال تتكون من عدة بطون . وأول من دخل منهم بلاد افريقية ، بنو رياح الذين سبق ذكرهم وكان ذلك سنة 443 هـ / 1051 م .

815 – بنو عامر تقدم ذكرهم . أنظر تعليقنا رقم 274 .

816 – بنو ثقيف قبيلة عربية كانت تقطن الطائف قبل الاسلام .

817 – عدنان هو حسب ما ذكر المؤرخون القدامى جد القبائل العربية القاطنة بشمال الجزيرة العربية وبالحجاز ونجد وتهامة .

818 – قحطان هو حسب ما ذكر المؤرخون القدامى جد العرب اليمنيين .

819 – في القاموس : « بنو السمط » (بكسر السين) : قوم من النصارى .

820 – البيت ناقص في «ب» .

وهند وسند (821) والنبيط (822) وثبت (823)
وأصحاب وادي السبت (824) والخزر (825) والزط (826) // (225)

فمـــن ذا الذي يستطيع حصر خصـــالهم
وان دام منـــه البحث والجد والضبـــط

أمولاي قابـــل بالقبـــــول مدائـــحي
تجئك ارتجالا نظمها وصفه (827) العبط

فهاك مديحـــــا يزدري حسن نظمــــه
بحلي العـــذارى لفظه سلس سبـــط

حـــكى روضة غنـــــاء أينع نورهـــــا
منابتها الأزهـــار لا الأثـــل والخمـــط

بقافيـــة يـــزري ببـــــابل سحرهـــــا
ويبدو اذا قيلت عـــلى غيرها الوهـــط

فمـــا لزهير (828) مثلهـــا فى قريضـــه
ولا لأخي ذبيان (829) فى مثلها شـــوط

---

821 – السند : مقاطعة من باكستان الحالية وبها مدينة كراتشي .

822 – النبيط والانباط : قوم كانوا يقطنون قبل الاسلام ، جنوب فلسطين .

823 – فى « ب » : ثبة وفى « ج » : بنة ، والاليق للوزن ما ورد فى « أ » . ولم نتوصل الى معرفة ما قصد المؤلف بقوله : ثبت .

824 – أصحاب السبت : هم قوم من بني اسرائيل سكنوا قرية « ايلة » على شاطيء البحر بين مصر ومدينة مدين ، وقيل ان الله كان قد حرم عليهم صيد السمك ، وسائر العمل يوم السبت ، فعصت طائفة منهم فى ذلك ، فنزل بهم عقابه . (راجع أحمد الثعلبي (« قصص الانبياء المسمى عرائس المجالس » ، ص 255 – 256) .

825 – فى «ج» : الحزر (بحاء مهملة) : والصحيح ما فى «أ» و «ب» . وبحر الخزر هو بحر قزوين . والخزر قوم لا نعرف شيئا عن أصلهم ، كانوا يقطنون بجنوب روسيا الحالية ، وقد شيدوا بها مملكة اندثرت فى أول القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

826 – فى «ج» : النط ، والصحيح ما فى «أ» و «ب» . وقد قال صاحب القاموس : « الزط بالضم جيل من الهند معرب .

827 – فى «ب» : وصفها ، والكلمة قد تجوز على أنها صفة للمدائح ولكننا أبقينا ما فى «أ» و «ج» .

828 – من الراجح أنه يقصد زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي .

829 – يعني بأخي ذبيان الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني .

فســـل كل من يروي القصائد هل رأى
لها شبها يشـــدى عـــلى ملك قـــط

ستحدو بها الركبان شرقـــا ومغربـــا
ويشـــدو بهـــا فى كل قاعـــدة رهـــط

ومـــا ذاك الا من طوالـــع سعـــــدكم
والا فبـــاعي فى القـــريض بـــه وهـــط

وأعظـــم ما تزهـــو به مدحها لكـــم
اذا نالها من حسن اصغائكم (830) قسط

فلـــو أعطيت فى الكتب حقا لما جـــرى
لها بســـوى مسك عـــلى ورق خـــط

وأبياتها مهمـــــا تؤمـــــل قدرهـــــا
وأعمـــل فى احصائها الحصر والضبـــط

تحاكي لما قد جاء فى (831) الكتب منزلا
فعن مائـــة مع أربـــــع ليس تنحـــط

وها هي ترجـــو من رضـــــاك تقربـــا
لتبرأ مما قد دهـــاها به الشحط (832)

//226 وتثني بتسليم تـــأرج عرفـــــه
فغار به الكافـــور والمسك والقســـط

كتاب فى منـــاقب المتـــوكل

ولنا فيه أعلى الله مقامه أمداح غير هذه ، لا يحتملها هذا المجموع ، وكذلك لو اشتغلنا بذكر مناقبه وبيان ما خصه الله به من صفات الحمد ،

---

830 ـ فى «ب» و «ج» : اسماعكم ، والصحيح ما فى «أ» .
831 ـ فى كل النسخ : «من» ، والأليق للوزن والمعنى أن تكون ، «فى» ، ولهذا صححناها .
832 ـ فى «ب» و «ج» : السخط : والأنسب للمعنى ما فى «أ» لأن الشحط ، هو البعد .

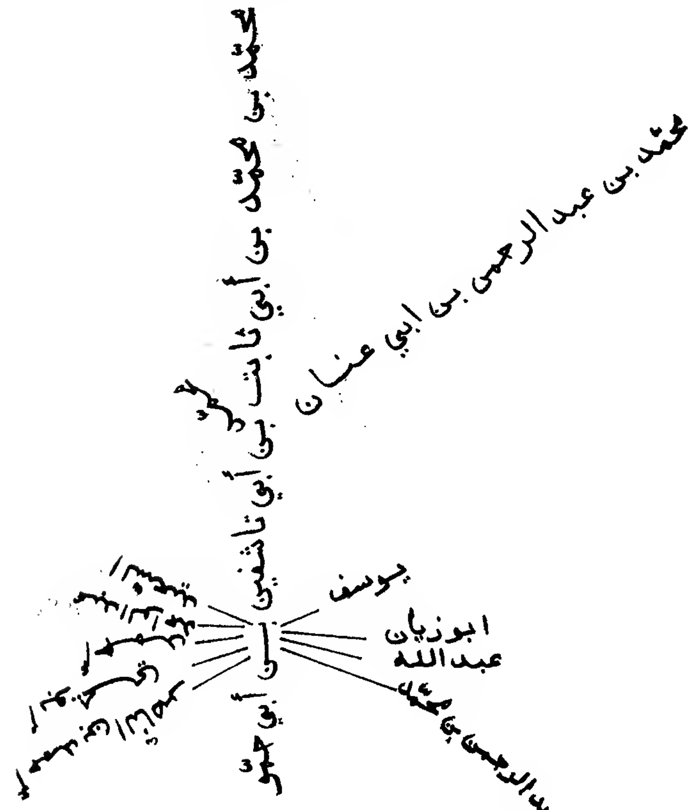
وخصال المجد ، وشرح قضاياه ووقائعه ، وتقرير مزاياه وبدائعه ، وما انطوى عليه من الأخلاق الحسنة ، والشيم المستحسنة ، لطال الكتاب ، وخرجنا عن الحد الذي رسمناه • ولعل الله تعالى ينفس فى العمر ، فنصنف كتابا مفردا فيما يختص به أعلى الله مقامه : نستوفي فيه جميع ذلك ان شاء الله تعالى (833) •

833 ـ سبقت لنا الاشارة فى المقدمة الى أننا نجهل ما اذا كان المؤلف قد أنجز ما وعد به . فان كان التنسي قد أفرد فعلا كتابا لصاحب نعمته السلطان المتوكل ، فان كتابه هذا فى حكم المفقود .

شجرات نسب المتــوكل

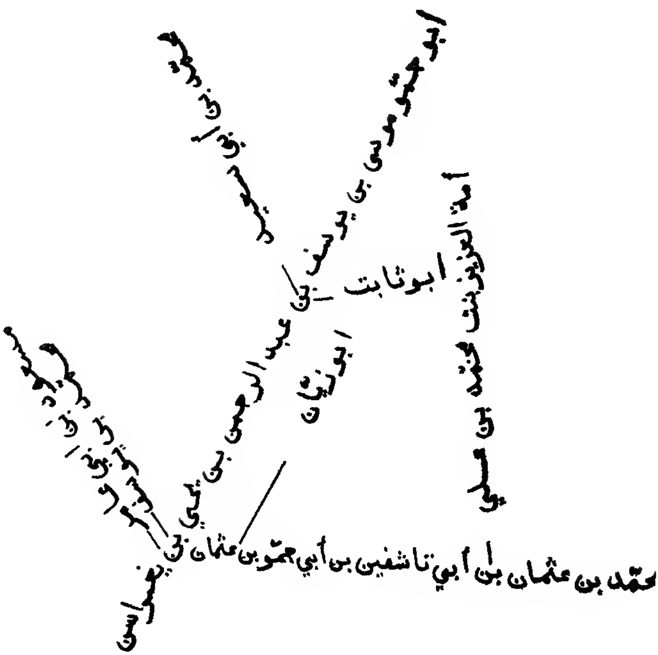
وقد آن لنا وضع شجرة نسبه هنا لكنها لا يمكن وضعها جملة واحدة هنا ، فنجعلها شجرات متعددة ، حسب الامكان .

الأولى من مولانا المتوكل الى جده أبي حمو وهي هذه (834) .



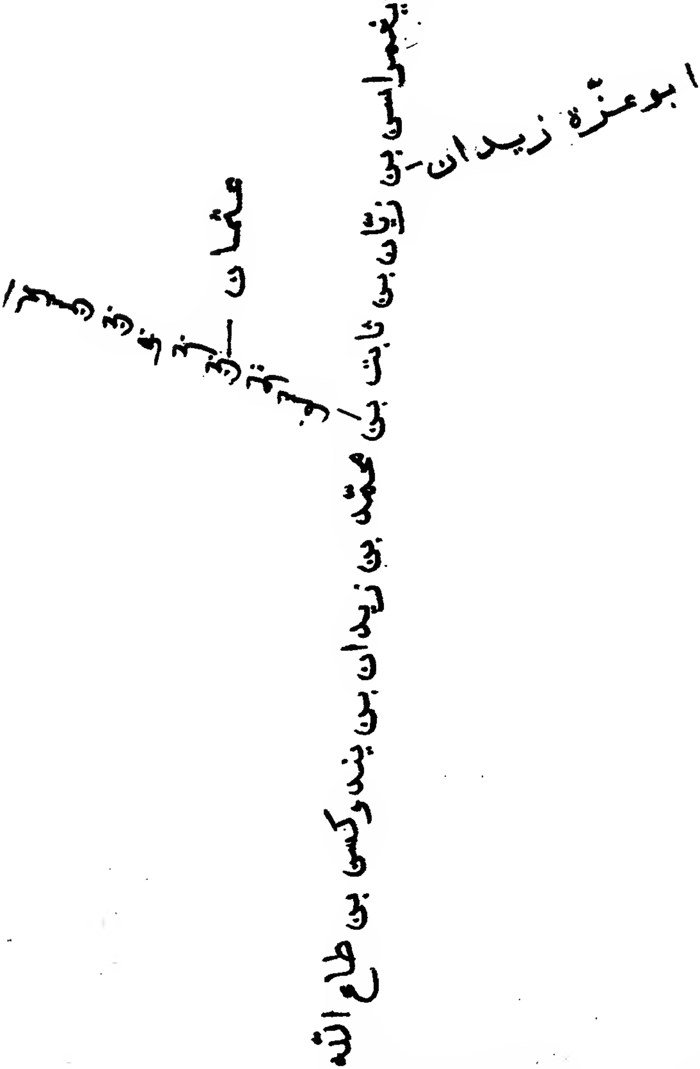
834 ـ في «أ» : هذه الشجرة مكتوبة بحروف بارزة مذهبة وجعل الناسخ اطارا مزخرفا في ثلاث جوانب من الصفحة . (أنظر وصفنا لهذه الصفحات في حديثنا عن نسخة «أ» في الباب الخاص بمنهج التحقيق) . وحاولنا رسم هذه الشجرة والشجرتين التاليتين على طريقة القدامى وهي الطريقة نفسها التي اتبعها نساخ المخطوطات التي اعتمدنا عليهـا .

الثانية من المولى أبي حمو الى جده يغمراسن وهي هذه (835) :



835 ـ الشجرة مذهبة ومزخرفة على منوال السابقة .

الثالثة من أمير المسلمين يغمراسن الى جده طاع الله وهي هذه (836) :



836 — هذه الشجرة مذهبة ومزخرفة مثل السابقتين .

الخــاتمــة (837)

« يقول مؤلف هذا المجموع ، ومصنف هذا الموضـوع ، العبد المعترف بذنبه ، الراجي الغفران من ربه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي (838) ، لطف الله به وسلك به من مناهج الخير أفضل مذهبه ، وعصمه من كل زيغ وزلل ، ووفقه الى صالح القول والعمل ، وأنهج له الى كل صالحة طريقا ، ومنحه منه هداية وتوفيقا ، وحشره الله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

وقد انتهى ما كنا قد أردنا جمعه فى هذا التأليف ، وكمل الغرض الذي انتحينا وضعه فى هذا التصنيف ، وتحرينا فيه الصواب جهدنا ، وجعلنا الميل الى الايجاز فيه قصدنا ، واختصرنا كثيرا من حكاياته وأشعاره ، مما علمنا من رغبة النفوس اليوم فى الاختصار وايثاره ، فالحمد لله على ما من به من اكماله ، وله على ما سوغناه (839) من انعامه وافضاله .

« ... جعلنا الله تعالى ممن تغفر يوم القيامة ذنوبه ، وتستر فى ذلك المحفل العظيم عيوبه ، وجللنا بعفوه وغفرانه ، وتلقانا برحمته ورضوانه،

---

837 ـ نود أن نذكر ان هذه الخاتمة قد وردت فى آخر الكتاب كله أي بعد القسم الادبي وهي ليست خاتمة خاصة بالباب السابع الذي قمنا بتحقيقه . وقد اعتمدنا على نسخة «ب» ونسخة «ج» وكذلك على نسخة باريز لضبط نصها ، لعدم وجودها فى نسخة «أ» كما ذكرنا .

838 ـ نقص فى «ب» و «ج» : أبو عبد الله محمد بن عبد الله « والصحيح من نسخة باريز » (ورقة 292 و) .

839 ـ فى «ب» و «ج» : سوعناه (بالعين المهملة) ، والصحيح من نسخة باريز (ورقة 292 ظ) .

وجعلنا ممن حسن ظنه به ، فعامله بحسن ظنه ، وقابلنا بفضل جوده وكرمه ومنه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين ، وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته أجمعين ، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ،

ونسأله سبحانه أن يجعله موافقا لمن جمع له الغرض ، مؤديا من فرائض حقه المفترض ، وأن ينفع به من اعتنى به وصرف اليه الهمة ، وأن يمتعه بما انطوى عليه من علم وحكمة ، كما نسأله عز وجل أن يسامحنا فيما أودعناه فيه من الأمور الهزلية ، اذ لم تكن هي المقصودة منه بالكلية ، وانما أتينا به لقصد الاحماض ، واجمام العقول ، اذ الدأب على الجد مما يصيره فى حيز المملول ، ولم يكن قصدنا فيه والله يشهد ايثار الهزل ، ولا الحرص على ما يقدم فيه من عمل أو قول ، بل كان أوفر الدواعي الى جمعه ، والأسباب الحاملة على وضعه ، اتحاف ذوي الألباب بما فيه من الملح المستغربة ، وتحريكهم الى استعمال ما تضمنته حكاياته وأشعاره المستعذبة ، من أخلاق شريفة ، ومحاسن ظريفة ، وشيم حسنة ، وخلل مستحسنة ، تحمل على التخلق بالخلق الحسن ، وتنفر عن ملله عسى أن نكون فى ذلك ممن نيته فى الخير أبلغ من عمله .. » وعن التابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين . كمل بحمد الله تعالى والصلاة على نبيه الكريم وتابعي نهجه القويم ... »

القسم الثالث

- الكشافات
- البيبليوغرافيا
- الجداول

ـ يحتوي هذا القسم على :

1 ـ جدول الاختصارات والرموز
2 ـ التعريف بالأماكن الواردة فى نص التنسي
3 ـ جدول ملوك بني زيان
4 ـ خريطة المغرب فى العهد الزياني
5 ـ مخطط مدينة تلمســان
6 ـ كشاف أسماء الأشخاص والقبائل والدول (1)
7 ـ كشاف أسماء البلدان والأماكن والأنهار
8 ـ كشاف أسماء الشعــراء
9 ـ كشاف القوافي
10 ـ كشاف عاوين الكتب والمقالات والمجلات
11 ـ البيبليوغرافيــا

---

1 ـ نود أن ننبه :
ـ لاى أن هذه الكشافات خاصة بقسمي الكتاب من دراسة عن المؤلف وتحقيق لنصه .
ـ الى أن وجود حرف «م» ا ل ىجانب رقم الصفحة يعني ورود الكلمة فى متن التنسي .
ـ الى أننا أغفلنا فى الكشافات ذكر التنسي وكتابه « نظم الدر » ومدينة « تلمسان » لان هذه الاسماء هي محور البحث وقد وردت فى أغلب الصفحات تقريبا .

جدول الاختصارات والرموز

1 ـ مختصرات عناوين الكتب

ـ « **ازهار الرياض** » : المقري (أحمد) . ـ أزهار الرياض فى أخبار عياض .

ـ « **الاستقصا** » : الناصري السلاوي (أحمد) ـ الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى .

ـ « **البستان** » : ابن مريم (محمد) ـ البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان .

ـ « **البغية** » : ابن خلدون (يحيى) ـ بغية الرواد فى ذكر الملوك من بني عبد الواد .

ـ « **تاريخ الدولتين** » : الزركشي (محمد بن ابراهيم اللولوي المعروف بالزركشي) ـ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية .

ـ « **درة الحجال** » : ابن القاضي (أحمد بن محمد) ـ درة الحجال فى غرة أسماء الرجال .

ـ « **روضة النسرين** » : ابن الأحمر (اسماعيل) ـ روضة النسرين فى أخبار بني مرين

ـ « **زهر البستان** » : زهر البستان فى دولة بني زيان (المؤلف مجهول).

ـ « **العبر** » : ابن خلدون (عبد الرحمن) ـ كتاب العبر ، وديوان المبتدا والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر .

ـ « **المعيار** » : الونشريسي (احمد) ـ المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب .

ـ « **نفح الطيب** » : المقري (احمد) ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب .

ـ « **النيل** » : احمد بابا التنبكتي ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج .

ـ Deux récits de voyage : ونحيل بهذا العنوان المختصر على الفقرات الخاصة بأفريقية والمغرب الأوسط من مخطوط « الروض الباسم فى حوادث العمر والتراجم » لعبد الباسط بن خليل والتي حققها ونقلها الى الفرنسية R. Brunschvic تحت عنوان :
Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XV siècle, Abdasit b. Khalil et Adorne.

2 ـ الرموز والاصطلاحات

ج : جـزء .

ص : صفحـة .

ص ص : من صفحة كذا الى صفحة كذا .

ورقة (87 و) : رقم الورقة من مخطوط ، والواو تشير الى الوجه منها .

ورقة (78 ظ) : رقم الورقة من مخطوط ، والظاء تشير الى الظهر منها .

في : تشير فى التعاليق الى أن ما يتبعها هو عنوان مجلة .

راجـع : تعني الاحالة على مصدر وا مرجع من المصادر والمرجـع التي اعتمدناها .

انظر : تعني الاحالة على تعليق أو صفحة فى الكتاب نفسه .

المصدر السابق : تعني الاحالة على الكتاب الذي مر ذكره منذ قليل مع اختلاف فى الجزء وأرقام الصفحات .

المصدر نفسه : تعني الاحالة على الصفحة نفسها من كتاب مر ذكره منذ قليل .

ابن خلـدون : نعني به عبد الرحمن بن خلدون ، أما أخوه يحيى فقد أوردنا اسمه كاملا .

د . ت : تعني « دون تاريخ » أي ان تاريخ النشر غير مذكور فى الكتاب .

د . م : تعني « دون مكان » أي ان مكان النشر غير مذكور فى الكتاب .

تـح : تعني « تحقيق » .

● : تشير الى اسم مكان ورد ذكره فى « كشاف أسماء الاماكن »

[ ] : يشيران الى أن الكلام المدرج بينهما ليس من المتن الاصلي وانما أضفناه اليه .

( ) : يشيران الى أن الكلام المدرج بينهما توضيح لما غمض من كلام غيرنـا .

// : تشير فى النص المنشور من « نظم الدر » الى بداية ورقة جديدة فى النسخة الاصلية التي اعتمدناها لتحقيق هذا النص .

= : تعني فى آخر الصفحة أن التعليق لم يتم وقد وضعناها ايضا فى بداية التتمة فى الصفحة التالية .

التعريف بالأماكن
الواردة فى نص التنسي
(مرتبة حسب حروف الهجاء)

اغمات : مدينة صغيرة تقع على بعد 40 كم جنوب مراكش ، وقد عرفت نشاطا أدبيا قبل تأسيس عاصمة المرابطين ، وزادت شهرتها عندما نفى اليها المعتمد بن عبد مالك اشبيلية الذي خلعه يوسف بن تاشفين .

آكادير : (اجادين) : اسم قديم لتلمسان وما زال حي اكادير موجودا فى شمال شرقي المدينة الحالية . وقد أسس بها ادريس الاول مسجدا اندثر، ولم يبق منه الا الصومعة التي شيدها يغمراسن بن زيان .

الانبار : مدينة بالعراق على الضفة الغربية لنهر الفرات على بعد نحو 62 كم من بغداد . وقد نزلها السفاح سنة 134 هـ / 752 م ، وشيد الى جانبها مدينة جديدة لاسكان جنوده الخراسانيين وأقام بوسطها قصرا .

انكاد (= **انجاد** : منطقة متكونة من سهول عليا تقع بين مدينة وجـدة ونهر ملوية ويخترقها نهر ايسلي .

ايسلي : نهر يمر شرق مدينة وجدة ويصب فى نهر المويلح الذي يصب بدوره فى نهر تافنة .

بجاية : مرفأ بشرق الجزائر . وقد لعبت المدينة دورا كبيرا فى تاريخ البلاد عامة وكانت على الخصوص عاصمة بني حماد . وقد فشلت جهود بني زيان كلها لضم المدينة لمتلكاتهم .

برشك : اسم لمدينة كانت معروفة فى القرون الوسطى وكانت تقع على شاطيء البحر بين شرشال وتنس ولم يبق لها اي أثر . وهي مسقط راس الفقيهين ابي يزيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى ابني الامام المذكورين فى نص « نظم الدر » ومن الرحالة الذين زاروها الحسن الوزان الذي مر بها فى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .

تاسالا (بتشديد السين) : يطلق هذا الاسم على جبل وقرية يقعان قرب مدينة سيدي بلعباس الحالية على بعد نحو 30 كم فى الناحية الشمالية الشرقية منها وجنوب وهران بنحو 30 كم . ويكتب يحيى وعبد الرحمن ابن خلدون الاسم بالتاء المربوطة فى الاخير : تاسالة .

تاكرارت (تاجرارت تاقرارت) : اسم قديم لتلمسان وهو فى الاصل اسم للمدينة التي شيدها يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين ، غربي اكادير وقد بنى بها مسجدا زينه بعده يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة الزيانية بصومعة وما زال هذا المسجد وصومعته موجودين الى الآن .

تمزغران (= مزغران) : ميناء يقع فى الجنوب الغربي لمدينة مستغانيم على بعد 4 كم منها .

تنس : قال ياقوت الحموي (« معجم البلدان » ، ج 2 ، ص 48) : « تنس بفتحتين والتخفيف والسين المهملة » . أما النطق العامي بالجزائر فهو بتاء ساكنة تتبعها نون مفتوحة فسين ساكنة . والنسبة بالعامية بتاء مفتوحة تليها نون ساكنة . أما فى الفصحى فالتاء والنون مفتوحتان .

وتنس من اقدم مدن المغرب الأوسط وهي واقعة على شاطيء البحر الابيض المتوسط على بعد 204 كم غربي العاصمة الجزائرية و 161 كم شرقي مدينة مستغانم وقد أسس المدينة الحالية سنة 272 هـ / 875 م – 876 م بعض البحارة من مسلمي الاندلس وقد الحقت المدينة على التوالي بممتلكات الدولة الفاطمية ثم الدولة الحمادية ، فالدولة المرابطية، فالدولة الموحدية الى أن أصبحت تابعة لدولة بني عبد الواد .

الجريد : منطقة صحراوية فى أقصى جنوب القطر التونسي الحالي .

الجزائر : كان القدامى يسمونها « جزائر بني مزغنة » . أما التنسي فسماها « الجزائر » فقط . وهي ستأخذ مكان تلمسان فيما بعد فتصبح عاصمة المغرب الاوسط الذي سيحمل اسمها ايضا .

رهيو : براء مفتوحة هاء مكسورة تليها ياء للمد فواو ساكنة حسبما شكلها كاتب نسخة «أ» . أما نطقها المحلي اليوم فهو براء ساكنة تليها هاء مكسورة ومعدودة وتختم بواو ساكنة . ويصب نهر رهيو فى نهر شلف . وهناك ايضا مدينة صغيرة تسمى حاليا « بوادي رهيو » وهي واقعة بولاية مستغانم على بعد 30 كم غربي مدينة الاصنام .

الزاب : منطقة سهلية واقعة بين جبال أولاد نايل غربا وجبال الاوراس شرقا وأشهر مدنها بسكرة وطولقة .

الزان (جبال) : تقع جبال الزان غرب مدينة بجاية فى الناحية الشرقية من سلسلة جبال جرجرة (= جبال زواوة) ، وتغطيها غابات الزان وهو شجر يشبه البلوط .

سبتة : مرفأ واقع على مضيق جبل طارق وهو يطل على البحر الابيض المتوسط ، وقد لعبت المدينة دورا هاما فى تاريخ المغرب والاندلس .

سجلماسة : مدينة قديمة كانت واقعة فى ناحية تافيلالت على بعد 310 كم فى الجنوب الشرقي من مدينة فاس على تخوم الصحراء .

وقد كانت محطة تجارية هامة فى الطريق الواصل بين تلمسان والسودان كما كانت موضع نزاع بين الدولة الزيانية والدولة المرينية .

وقد تخربت المدينة فى القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي .

سكاك (= اسكاك) نهر صغير يمر شرق تلمسان ويصب فى نهر يسر الذي يصب بدوره فى نهر تافنة .

شلف : نهر من اطول الانهار الجزائرية ، يمر بالاصنام ويصب شرقي مستغانيم .

العباد : قرية على بعد كيلومترين شرقي تلمسان ، دفن فيها المتصوف المشهور أبو مدين شعيب وعدد من العلماء والصالحين والملوك .

عنابة (= بلد العناب = بونة) : والاسم الاول هو أشهر أسماء هذه المدينة الواقعة على شاطيء البحر شرقي الجزائر بين بجاية والحدود التونسية .

عياض (جبل) : باسم قبيلة عياض : قال يحيى بن خلدون (« البغية » ، ج 2 ، ص 22) : « جبل عياض من كدر بجاية » وهو واقع شمال الحضنة .

قسنطينة : مدينة قديمة مشهورة فى شرق الجزائر وقد تكرر ذكرها عند التنسي وغيره من مؤرخي الدولة الزيانية والدولة الحفصية أيضا اذ انها لعبت دورا هاما فى تاريخ هذه الدولة الاخيرة .

مازونة : مدينة صغيرة على بعد نحو 60 كم غربي مدينة الاصنام ، اشتهرت فى العصور السابقة بنشاط ثقافي كبير ، وكانت مقر بايات الولاية الغربية فى فترة من فترات العهد العثماني .

متيجة : سهل من أخصب سهول الجزائر يحيط بالجزائر العاصمة طوله نحو 100 كم وعرضه نحو 20 كم .

المدية : مدينة تقع على بعد 80 كم جنوب الجزائر العاصمة ، وهي أهم مدن ولاية تيطري . و « لمدية » (من دون الف) أصل كلمة المدية ، وقال ابن خلدون (« العبر » ، ج 6 ، ص 356) : « لمدية قبيل من بطون صنهاجة سميت البلد بهم » . وما زال ساكن المدية يقال له « لمداني » نسبة الى لمديـة .

مستغانيم : مدينة قديمة تكرر ذكرها عند التنسي وغيره من المؤرخين والرحالة القدامى وهي واقعة على شاطيء البحر على بعد 90 كم شرق وهران . وتعتبر حاليا من أهم مدن القطر الجزائري . وتكتب اليوم مستغانم من دون ياء بعد النون .

ملوية : نهر يقع فى شرق المغرب الاقصى الحالي ويصب فى البحر الابيض المتوسط . وكان فى أغلب الاوقات الحد الفاصل بين مملكة بني عبد الواد ومملكة بني مرين .

مليانة : مدينة قديمة ، تكرر ذكرها عند التنسي وغيره من المؤرخين القدامى وهي واقعة على بعد نحو 130 كم غربي الجزائر العاصمة ونحو 70 كم جنوب شرشال .

ندرومة : مدينة واقعة فى الشمال الغربي من تلمسان فى أحد الطرق الواصلة بين هنين وعاصمة بني زيان وتبعد عنها بـ 60 كم .

هنين : ميناء تلمسان المشهور . ويقع شمال ندرومة على بعد 35 كم منها : وغرب مصب نهر تافنة . ولم يبق منه الا بعض الاطلال وبنيت مكانه حاليا مدينة صغيرة تحمل اسم هنين أيضا .

هوارة : منطقة جبلية واقعة فى الجنوب الشرقي لمدينة مستغانيم .

واركلا (= وارجلا) : مدينة واقعة فى الصحراء الشرقية من الجزائر على بعد 210 كم فى الجنوب الشرقي من مدينة غرداية . وتكتب اليوم ورقلـة .

وانشريس : سلسلة جبال مشهورة فى وسط الجزائر جنـوب وادي شلف .

وجـدة : مدينة قديمة على بعد 80 كم غربي تلمسان ، كانت تابعة لملكة بني عبد الواد . وهي اليوم فى المغرب الأقصى على الحدود الجزائرية ـ المغربيـة .

وطا حمزة : اسم قديم لناحية واقعة غرب مدينة بجاية وجنوب جبال جرجرة حيث تقع اليوم مدينة البويرة ، وقد سميت هذه الناحية بهذا

الاسم نسبة الى حمزة بن علي وهو من أبناء سليمان أخي ادريس مؤسس الدولة الادريسية بالمغرب الأقصى ، وقد قال التنسي (« نظم الدر » ، نسخة «أ» ، ورقة (130و) : و « حمزة الذي ينسب اليه وطا حمزة هو ابن علي ... صاحب تنس » . وكان يقطنها من عرب بني هلال ، بنو يزيد وهم بطن من زغبة . قال ابن خلدون (« العبر ، ج 6 ، ص 86) عن استيطانهم الناحية ، « أقطعهم الموحدون فى أرض حمزة من أوطان بجاية مما يلي بلاد رياح والاثابج ... »

وهران : لعب ميناء وهران الواقع على بعد نحو 150 كم فى الغرب الشمالي من تلمسان دورا هاما فى العلاقات التجارية مع الاندلس والاقطار الاوروبية وذلك الى جانب هنين ميناء تلمسان الشهير .

يسر : نهر صغير يمر شرقي تلمسان على بعد نحو 40 كم منها ، وهو يصب فى نهر تافنة .

جدول ملوك الدولة الزيانية

من يغمراسن مؤسس الدولــة

الى محمد المتوكل معاصر محمد التنسي

اسم السلطان	بداية ملكه	نهاية ملكــه	ملاحظـات
ـ يغمراسن بن زيان	633هـ / 2136م	681هـ / 1283م	
ـ أبو سعيد عثمان الاول	681هـ / 1283م	703هـ / 1303م	
ـ أبو زيان محمد الاول	703هـ / 1303م	707هـ / 1308م	
ـ أبو حمو موسى الاول	707هـ / 1308م	718هـ / 1318م	
ـ أبــو تاشفــين عبــد الرحمن الاول	718 هـ / 1318م	737هـ / 1337م	737 هـ : استيلاء السلطـــان أبــى الحســن المرينــي عــلى تلمســـان واندثار الدولــة الزيانيـــة .

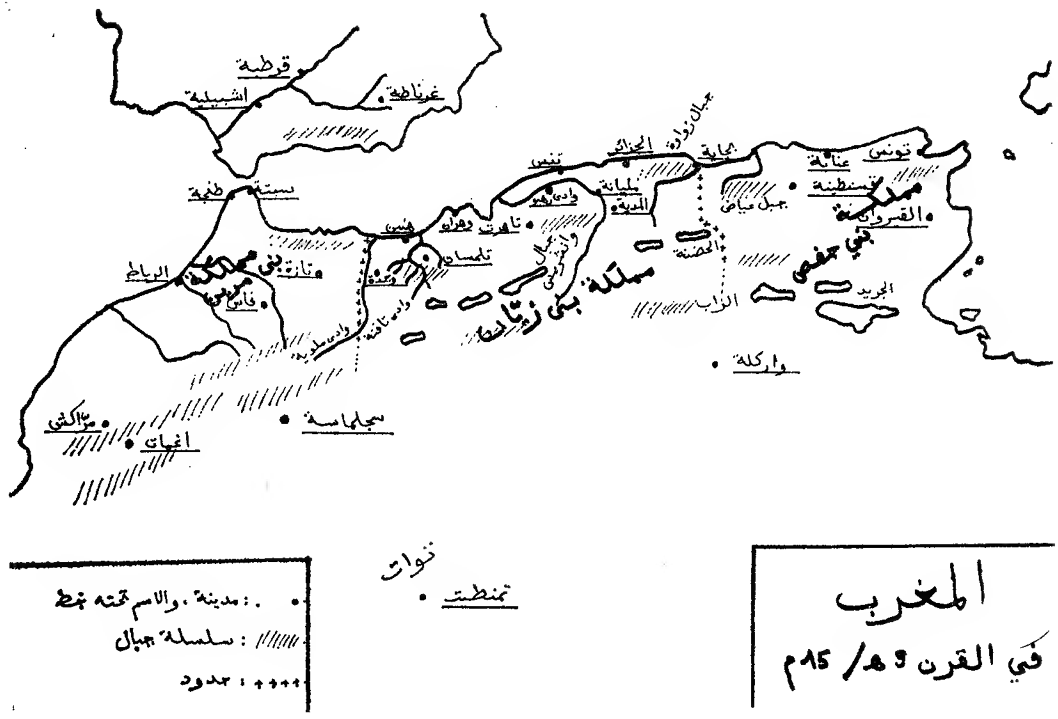
ـ الحكم المريني بالمغرب الأوسط

ـ أبو سعيد عثمان الثاني وأخوه أبو ثابت	749هـ / 1348م	753هـ / 1352م	حكم هذان الملكان في آن واحــد . ـ 753 هـ : استيلاء السلطان أبي عنان على تلمسان واندثار الدولة الزيانية .

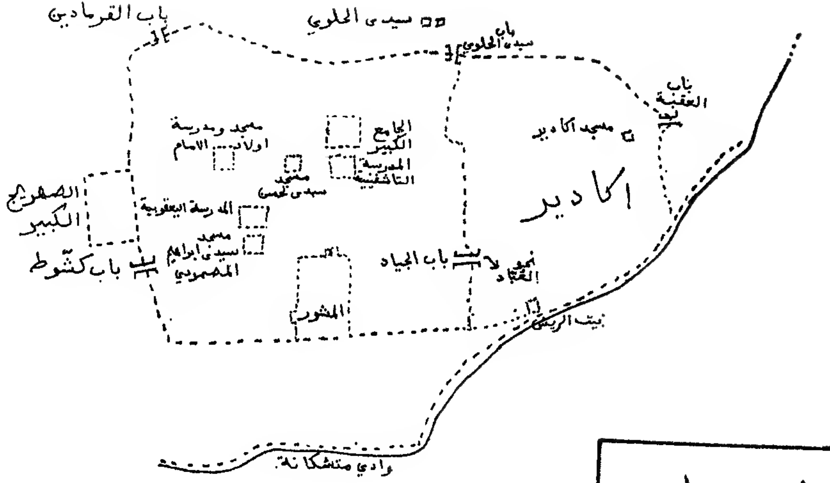
ـ الحكم المريني بالمغرب الأوسط

ـ أبو حمو موسى الثاني	760هـ / 1359م	791هـ / 1389م	
ـ أبو تاشفــين عبــــد الرحمن الثاني	791هـ / 1389م	795هـ / 1393م	
ـ أبو ثابت يوسف	795هـ / 1393م	795هـ / 1393م	
ـ أبو الحجاج يوسف « ابن الزابية »	795هـ / 1393م	796هـ / 1394م	

ـ ابو زيان محمد الثاني	796هـ / 1394م	801هـ / 1399م	
ـ ابو محمد عبـد الله الاول	801هـ / 1399م	804هـ / 1401م	
ـ ابو عبد الله محمد « ابن خولة »	804هـ / 1401م	813هـ / 1411م	
ـ عبد الرحمن بن محمد	813هـ / 1411م	814هـ / 1411م	
ـ سعيد بن ابي حمو	814هـ / 1411م	814هـ / 1411م	
ـ ابو مالك عبد الواحد	814هـ / 1411م	827هـ / 1424م	ـ فى المرة الاولى
ـ ابو عبد الله محمد « ابن الحمراء »	827هـ / 1424م	831هـ / 1428م	ـ فى المرة الاولى
ـ ابو مالك عبد الواحد	831هـ / 1428م	833هـ / 1430م	ـ فى المرة الثانيـة
ـ أبو عبد الله محمد « ابن الحمراء »	833هـ / 1430م	834هـ / 1430م	ـ فى المرة الثانيـة
ـ ابو العباس احمد العاقل	834هـ / 1430م	866هـ / 1462م	ـ ثار فى اثناء ملك الامـير محمـد المستعـين بالله ، وهو ابن السلطان المتوكـل ، وقـد ادرجه التنسي بين ملوك بني زيان مع انه لم يصل الـى الحكـم .
ـ ابو ثابت محمد المتوكل	866هـ / 1462م	873هـ / 1468 م	؟ ـ المعـــروف بـ « بوقلموس » ، ولا نعرف على وجه التحقيـق تاريـخ نهاية حكمـه .


المغرب
في القرن 9 هـ/ 15م
• : مدينة، والاسم تحته خط
////// : سلسلة جبال
++++ : حدود
قرطبة
اشبيلية
غرناطة
سبتة
طنجة
الرباط
تازة
فاس
مراكش
اغمات
سجلماسة
تلمسان
وهران
تاهرت
تنس
مليانة
المدية
الجزائر
بجاية
جبال زواوة
الحضنة
الزاب
جبل عياض
قسنطينة
عنابة
تونس
القيروان
الجريد
واركلة
تمنطت
توات
مملكة بني مرين
مملكة بني زيان
مملكة بني حفص

مخطط تلمسان
في القرن التاسع الهجري



كشاف اسماء الأشخاص والقبائل والدول

ــ أ ــ

ـ ب ـ

ـ خ ـ

ـ د ـ

ـ ت ـ

ـ ث ـ

– س –

– ش –

- ص -

- ط -

- ع -

ـ ك ـ

ـ ل ـ

ـ م ـ

كشاف أسماء البلدان والأماكن والأنهار

ـ ا ـ

ـ ت ـ

- ث -

- ج -

- ح -

– ن –

– هـ –

– و –

– ي –

كشاف أسماء الشعراء

كشـاف القـوافي

كشاف عناوين الكتب والمقالات والمجلات

ا ـ عناوين الكتب والمقالات باللغة العربيــة

ـ ا ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ج ـ

ـ د ـ

ـ ذ ـ

- ض -

- ع -

- ف -

- ق -

- ك -

ـ ل ـ

ـ م ـ

- ن -

- و -

ب ــ عناوين الكتب والمقالات باللغات الاجنبية :

L'Art religieux musulman

Catalogue des manuscrits arabes conservés dans les principales bibliothèques algériennes : Médersa de Tlemcen

Un Collier de perles

Complément de l'histoire des Beni Zeiyan...

Description de l'Afrique

Deux récits de voyage

Les documents arabes aux archives de la couronne d'Aragon...

L'Espagne catalane et le Maghreb

Essai sur l'écriture maghrébine

Geschichte der Arabishen litteratur

Ghuzz

Histoire des Beni-Zeiyan

Le Jebel Mahseur

Le Monuments arabes de Tlemcen

Note sur le Coran royal du XIVe siècle

Oujda et l'Amalat

Tlemcen ancienne capitale...

Supplément aux dictionnaires arabes

ج ــ عناوين المجلات :

الأصالة 18 ــ 46 ــ 54 ــ 65

البحث العلمي 134

الثقافة 47

البيبليـــوغــرافيـــا

1 ـ المصادر والمراجع باللغة العربية

ـ ابن أبي زرع (علي) .
الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس .
فاس ، 1343 هـ .

ـ ابن الاحمر (اسماعيل) .
روضة النسرين فى دولة بني مرين .
الرباط ، 1382 هـ / 1962 م .

ـ ابن الخطيب القسنطيني .
انظـر
ابن قنفـــد .

ـ ابن خلدون (عبد الرحمن)
التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، تح . محمد بن تاويت الطنجي .
القاهرة ، 1370 هـ / 1951 م .

ـ ابن خلدون (عبد الرحمن) .
كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ، فى ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر .
بيروت ، 1956 ـ 1959 م 7 ج .

ـ ابن خلدون (يحيى) .
بغية الرواد فى ذكر الملوك من بني عبد الواد .
مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم 2117 .

– ابن خلدون (يحيى)
بغية الرواد فى ذكر الملــــوك من بني عبد الواد ، حققه وترجمه الى الفرنسية الفريد بيل .
الجزائر ، 1321 – 1332 هـ / 1903 – 1913 م . 3 ج .
(انظر ايضا المصادر والمراجع باللغات الاجنبية) .

– ابن زيدون (ابو الوليد)
ديوان ، تح . كرم البستاني .
بيروت ، دار صادر ودار بيروت ، 1384 هـ / 1964 م .

– ابن سودة (عبد السلام) .
دليل مؤرخ المغرب الاقصى ، الطبعة الثانية ، جزآن .
الدار البيضاء ، 1960 .

– ابن القاضي (احمد بن محمد) .
درة الحجال فى غرة أسماء الرجال ، تح . س . علوش ، جزآن .
الرباط ، 1934 – 1936 م .

– ابن قنفد القسنطيني (أحمد بن الحسن) .
الفارسية فى مباديء الدولة الحفصية ، تح . محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي .
تونس ، 1968 .

– ابن المرزوق الخطيب (محمد) .
المسند الصحيح الحسن فى محاسن مولانا ابي الحسن ، مخطوط نشر قسما منه وترجمه الى الفرنسية ليفي بروفنسال .
انظر المصادر والمراجع باللغات « الاجنبية » .

– ابن مريم (محمد) .
البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، تح . محمد بن أبي شنب .
الجزائر ، 1326 هـ / 1908 م .

– ابن منظور (جمال الدين) .
لسان العرب ، 15 ج .
بيروت ، 1374 هـ – 1376 م / 1955 – 1956 م .

ـ أبو حمو موسى .
واسطة السلوك فى سياسة الملوك .
تونس ، 1279 هـ .

ـ أبو شامة المقدسي .
كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تح . محمد حلمي أحمد .
القاهرة ، 1962 .

ـ أبو نواس (الحسن بن هانيء)
ديـــوان
بيروت ، دار صادر ودار بيروت ، 1382 هـ / 1962 م .

ـ أحمد بابا التنبكتي . ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج . ـ فـــاس ، 1317 هـ .

ـ البكري (أبو عبد الله) .
المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المســـالك والممالك ، تح . دي سلان .
الجزائر ، 1857 .

ـ بوعياد (محمود) .
البستان فى ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان وقيمته التوثيقية .
فى « الاصالة » ، عدد 26 ، 1395 هـ / 1975 م . ص 260 ـ 269 .

ـ » » .
رحالة مصري يزور الجزائر فى القرن التاسع .
فى « الاصالة » ع . 24 ، مارس ـ أفريل 1975 ، ص 124 ـ 135 .

ـ » » .
مخطوطات لم تكتشف : « زهر البستان فى دولة بني زيان »
فى الثقافة ، عدد 13 ، 1973 م ، ص 55 ـ 66 .

ـ » »
من آثارنا المغمورة : « بغية الرواد فى أخبار بني عبد الواد » ، لأبي زكريا يحيى بن خلدون
فى « الاصالة » ، عدد 13 ، مارس ـ أفريل 1973 ، ص 213 ـ 222 .

– بيريس (هنري) .
شرح ديوان كثير بن عبد الرحمن الخزاعي المشهور بكثير عزة ، جزآن .
الجزائر ، 1982 .

– التجاني (أبو محمد عبد الله) .
رحلة التجاني ، تح . حسن حسني عبد الوهاب .
تونس ، 1378 هـ / 1958 م .

– الثعلبي (احمد)
قصص الانبياء المسمى عرائس المجالس .
بيروت ، المكتبة الثقافية ، د . ت .

– الجزائر . وزارة الاخبار .
المساجد فى الجزائر . النص لوزارة الاخبار بمشاركة [رشيد] بورويبة و [رشيد] الدكالي .
الجزائر ، 1970 .

– الجزائر ، وزارة الاعلام والثقافة .
تلمســـــان .
الجزائر ، 1971 .

– الجيلالي (عبد الرحمن) .
تاريخ الجزائر العام .
الجزائر ، 1373 – 1375 هـ / 1953 – 1955 م . جــزآن .

– حاجيات (عبد الحميد) .
أبو حمو موسى الزياني ، حياته وآثاره .
الجزائر ، 1394 هـ / 1974 م .

– الحفناوي (محمد) .
تعريف الخلف برجال السلف .
الجزائر ، 1324 هـ / 1906 م . جزآن .

– الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ، تح . محمد بن ابي شنب .
الجزائر ، 1339 هـ / 1920 م .

– الزركلي (خير الدين) .
الاعلام ، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمربين والمستشرقين . 11 ج .
د . م . ن ، د . ت . 13 مجلد .

ـ زمامة (عبد القادر) .
معالم واعلام من فاس القديمة .
فى البحث العلمي ، ج 13 ، يناير 1968 . ص 85 ـ 92 .

ـ زهر البستان فى دولة بني زيان لمؤلف مجهول .
مخطوط بمكتبة جون رايلندس بمانشيستير فى بريطانيا (رقم 283) .

ـ سالم (السيد عبد العزيز) .
المغرب الكبير ، ج 2 ، العصر الاسلامي .
القاهرة ، 1966 .

ـ السخاوي (محمد بن عبد الرحمن) .
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع .
بيروت ، د . ت . 12 ج .

ـ السيوطي (جلال الدين) .
شرح شواهد المغني
دمشق ، 1386 هـ / 1966 م .

ـ السيوطي (جلال الدين) .
المزهر فى علوم اللغة وانواعها ، جزآن .
القاهرة ، 1378 هـ / 1958 م .

ـ الطبري (محمد بن جرير) .
تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، تح . محمود محمد شاكر واحمد محمد شاكر
القاهرة ، 1960 . 15 ج .

ـ عبد الباسط بن خليل .
الروض الباسم فى حوادث العمر والتراجم مخطوط .
ونشر منه الفقرات الخاصة بافريقية والمغرب الاوسط وترجمها الى الفرنسية ليون برانشفيك .
انظر المصادر والمراجع باللغة الاجنبية .

ـ عبد الباقي (محمد فؤاد) .
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
القاهرة ، 1287 هـ .

– علوش (ي . س) والرجراجي (عبد الله) .
فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى الخزانة العامة برباط الفتح ، القسم الثاني ، جزآن .
الرباط ، 1954 – 1958 .

– الفيروز ابادي (محمد الدين) .
القاموس المحيط ، الطبعة الرابعة ، 4 ج .
القاهرة ، 1357 هـ / 1938 م .

– الكتاني (عبد الحي) .
فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، جزآن .
فاس ، 1346 – 1347 هـ .

– الكتاني (محمد بن جعفر) .
سلوة الانفاس ، ومحادثة الاكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس.
فاس ، 1316 هـ . 3 ج .

– المراكشي (عبد الواحد) .
المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تح . محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي .
القاهرة ، 1368 هـ / 1949 م .

– المسعودي (علي) .
مروج الذهب ومعادن الجوهر . الطبعة 2 ، 4 ج .
بيروت ، 1393 هـ / 1973 م .

– مسلم النيسابوري (الامام) .
صحيح مسلم بشرح النووي ، 18 ج .
د . م . 1349 هـ .

– المغيلي (محمد بن عبد الكريم) .
أسئلة الاسقياء وأجوبة المغيلي ، تح . عبد القادر زبادية .
الجزائر ، 1974 .

– المغيلي (محمد عبد الكريم) .
مصباح الارواح فى أصول الفلاح ، تح . رابح بونار .
الجزائر ، 1968 .

ـ المقري (أحمد) .
ازهار الرياض فى اخبار عياض ، تح . مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، 3 ج .
القاهرة ، 1939 ـ 1942 م .

ـ المقري (احمد) .
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، تح . احسان عباس ، 8 ج .
بيروت ، 1388 هـ / 1968 م .

ـ الميلي (مبارك بن محمد) .
تاريخ الجزائر فى القديم والحديث ، 3 ج .
الجزائر ، 1963 ـ 1964 .

ـ الناصري السلاوي (أحمد) .
الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تح . جعفر الناصري ومحمد الناصري ، 9 ج .
الدار البيضاء ، 1945 ـ 1956 .

ـ نويهض (عادل) .
معجم اعلام الجزائر .
بيروت ، 1971 .

ـ الوزان (الحسن محمد) .
وصف افريقية .
انظر فى المصادر والمراجع باللغات الاجنبية :

ـ الونشريسي (أحمد) .
المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوي علمـــاء افريقية والاندلس والمغرب .
فاس ، 1315 هـ . 12 ج .

ـ ياقوت الحموي .
معجم البلدان .
القاهرة ، 1323 ـ 1323 هـ / 1906 ـ 1907 م . 10 ج .

2 ـ المصادر والمراجع باللغات الاجنبية :

BIBLIOGRAPHIE EN LANGUES ETRANGERES

— AHMED-BIOUD (Abdelghani). — (*Catalogue des manuscrits arabes de la Bliblioth̀èque Nationale d'Alger* : Supplément manuscrit).

— ALGERIE. Ministère de l'Information. *Tlemcen.* Alger, 1971.

— BARGES (J.-J.-L.). — *Complément de l'histoire des Béni-Zeiyan, rois de Tlemcen.* Paris, 1887.

— BARGES (J.-J.-L.) — *Mémoire sur les relations commerciales de Tlemcen avec le Soudan sous le règne des Béni-Zeiyan. In :* Rev. de l'Orient de l'Afrique et des Colonies, 1853, p. 337 et sq.

— BARGES (J.-J.-L.). — *Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom.* Paris, 1859.

— BEL (Alfred). — *Tlemcen et ses environs : Guide illustré du touriste.* Toulouse, s.d.

— BLOCHET (E.). — *Catalogue des manuscrits arabes des nouvelles acquisitions :* 1884-1924, [de la Bibliothèque Nationale de Paris]. Paris, 1925.

— BOUROUIBA (Rachid). — *L'Art religieux musulman en Algérie.* Alger, 1973.

— BROCKELMANN (Carl). — *Geschichte der Arabishen litteratur,* 2 tomes. Leyden, 1943-49, 2 tomes. Supplementband. Leyden, 1937-1942, 3 tomes.

— BROSSELARD (Charles). — *Au sujet de la coudée royale. In :* Revue Africaine, 1859, p. 66-68.

— BROSSELARD (Charles). — *Les Inscriptions arabes de Tlemcen. In :* Revue Africaine, 1859-1862 .

— BRUNSCHVIC (Robert). — *Deux récits de voyages inédits en Afrique du Nord au XV^e siècle : Abdalbasit B. HALIL et ADORNE.* Paris, 1936.

— CATTENOZ (H.G.). — *Tables de concordance des ères chrétienne et hégirienne,* 3ème éd. Rabat, s.d.

— COUR (Auguste). — *Catalogue des manuscrits arabes conservés dans les principales bibliothèques algériennes : Médersa de Tlemcen.* Alger, 1907.

— DOZY (R.). — *Supplément aux dictionnaires arabes.* Leyde-Paris, 1927. 2 tomes.

— DUROURCQ (Charles-Emmanuel). — *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIII^e et XIV^e siècles.* Paris, 1966 .

— ELIE de la PRIMAUDAIE (F.). — *Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique :* 1506-1574. Alger, 1875.

— *Encyclopédie de l'Islam,* 1ère et 2ème édit. Leyde-Paris, 1913-1938 puis 1960, notamment articles : *Abdelwâdides, Abû Hammû, Abu Tashfin, Abû Zayyan, Al-Tanasi, Ghuzz, Tlemcen.*

— FAGNAN (Emile). — *Catalogue des manuscrits arabes, turcs et persans de la Bibliothèque-Musée d'Alger.* Catalogue général, t. XVIII. Paris, 1893.

— HATOUN (Alice). — *Un Collier de perles.* Alger, s.d.

— HOUDAS (O.). — *Essai sur l'écriture maghrébine. In :* Nouveaux mélanges orientaux... publiés à l'occasion du septième Congrès international des orientalistes... Vienne, 1886, p. 85-118. Paris, 1886.

— IBN AL AHMAR . . *Histoire des Beni Merin, rois de Fâs, intitulée Rawdât en-nisrîn...,* éd. et trad. annotée avec appendices par Gh. BOUALI et G. MARCAIS. Paris, 1917.

— IBN KHALDOUN (Abderrahmane). — *Histoire des Berbères et des musulmans de l'Afrique septentrionale,* trad. DE SLANE, nouvelle édit. de Casanova. Paris, 1925-1956. 4 tomes.

— IBN KHALDOUN (Abou Zakarya Yah'ia). — *Histoire des Béni Abd El Wâd, rois de Tlemcen...,* édit. et trad. en français et annotée par A .BEL. Alger, 1903-1913. 2 tomes.

— IBN MARYEM (Ech-Chérif El Mélity). — *El Bostan ou jardin des biographies des saints et savants de Tlemcen,* trad. et ann. par F. Provenzali. Alger, 1910.

— JANIER (Emile). — *Bibliographie des publications qui ont été faites sur Tlemcen et sa région. In :* Revue Africaine, 1949, p. 314-334. Supplément à la Bibliographie des publications qui ont été faites sur Tlemcen et sa région. *In :* Revue Africaine, 1951, p. 400-413.

— JEAN-LEON L'AFRICAIN. — *Description de l'Afrique,* trad. A. EPAULARD. Paris, 1956. 2 tomes.

— LEVI-PROVENCAL (E.). — *Les Manuscrits arabes de Rabat.* Paris, 1921.

— LEVI-PROVENCAL (E.). — *Les Historiens des Chorfa : essai sur la littérature historique et biographique au Maroc du* 16ᵉ *au* 20ᵉ *siècles.* Paris, 1922.

— LEVI-PROVENCAL (E.). — *Note sur un Coran royal du* 14ᵉ *siècle. In :* Hespéris, 1921, 1er trim., p. 83-86.

— LEVI-PROVENCAL (E.) — *Un Nouveau texte d'histoire mérinide, le Musnad d'Ibn Marzuk. In :* Hespéris, 1925, p. 1-82.

— MARCAIS (Georges). — *Les Arabes en Berbérie.* Paris, 1913.

— MARCAIS (Georges). — *Le Makhzen des Béni Abd-El-Wâd à Tlemcen. In : Bul. de la soc. de Géogr. d'Oran,* 1940, p. 1-11.

— MARCAIS (Georges). — *Manuel d'art musulman : l'Architecture.* Paris, 1926-1927. 2 tomes.

— MARCAIS (Georges). — *Remarques sur les médersas funéraires en Berbérie : à propos de la Tachfiniya de Tlemcen. In :* Mélanges Gaudefroy-Demombynes, p. 259-278. Le Caire, 1937.

— MARCAIS (Georges). — *Tlemcen.* Paris, 1950.

— MARCAIS (William) et MARCAIS (Georges). .. *Les Monuments arabes de Tlemcen.* Paris, 1903.

— MARMOL CARAVAJAL. — *L'Afrique,* trad. française de Perrot d'ABLANCOURT. Paris, 1667. 3 tomes.

— **MAS LATRIE (L. de). — *Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen-Age.* Paris,** 1865.

— MAMUEL (G.). — *Une Enigme : le jebel Mahseur. In :* Bulletin de la Société d'histoire du Maroc, n° 4-5, 1972, p. 21-36.

— SLANE (Mc Guckin de). — *Bibliothèque Nationale : Département des manuscrits : Catalogue des manuscrits arabes.* Paris, 1883-1895.

— *Symposium international de la civilisation musulmane : Bordeaux 1956 : Classissisme et déclin culturel dans l'histoire de l'Islam. Actes du symposium...* Paris, 1957.

— ET-TENNESSY (Mohamed). — *Histoire des Beni-Zeiyan, rois de Tlemcen,* trad. de J.J.L. BARGES. Paris, 1852.

— *Tlemcen et sa région.* Bordeaux, 1954.

— UDINA-MARTORELL (F.). — *Les Documents arabes aux archives de la couronne d'Aragon à Barcelone. In :* Actes du premier Congrès d'études des cultures méditerranéennes. Malte, 1972.

— VOINOT (L.). — *Oujda et l'Amalat.* Oran, 1922.

محتويات الكتاب

القسم الثاني

الباب السابع فى بيان شرف بني زيان وتتبع دولهم الى دولة مولانا المتوكل فخر الزمان

القسم الثالث

Nous avons d'abord consacré une première partie à l'auteur et à son œuvre, puis à l'étude et à l'analyse de Nazm ad-durr et en particulier au long chapitre consacré à l'histoire de la dynastie zianide.

— **L'édition critique de la partie historique** :

Pour établir le texte de ce chapitre concernant l'histoire des Bani-Zayyan, nous nous sommes basés sur plusieurs copies manuscrites :

— d'abord sur un exemplaire de luxe appartenant aujourd'hui à une famille de Tlemcen, dont la copie fut exécutée du vivant de l'auteur. Nous avons pris pour base cette copie entièrement vocalisée et d'une belle écriture maghrébine andalou-tlemcénienne, et ne contenant que de rares erreurs. Ni le nom du copiste ni la date d'exécution de la copie, n'y sont mentionnés, quelques feuillets du début de l'ouvrage ainsi que ceux contenant le colophon ne figurant plus dans le manuscrit.

— nous l'avons comparé à deux autres manuscrits que nous avons sélectionnés parmi d'autres copies conservées dans des bibliothèques marocaines, et provenant toutes les deux de la Bibliothèque générale de Rabat (cotes D 369 et D 444). Si la première est dépourvue de mentions relatives à l'exécution de la copie, la seconde datée de 885 de l'Hégire fut exécutée par un élève de l'auteur.

En plus de ces 3 copies sur lesquelles nous nous sommes appuyées, nous avons eu recours, mais rarement, à d'autres manuscrits conservés dans des bibliothèques d'Algérie, de France et du Maroc.

Dans l'apparat critique, seules les leçons pouvant être utiles aux différents lecteurs potentiels, furent retenues. Nous avons ainsi rejeté les variantes purement graphiques et les fautes des copistes qui ne présentent pas d'intérêt pour les lecteurs. Par les annotations nombreuses et variées, notre seul souci était, non de commenter les événements ou d'expliquer les mots obscurs, mais de rendre le texte compréhensif. Nous n'avons pas hésité quand ce fut nécessaire, à entrer dans des indications à caractère géographique, historique, ou philologique. Le souci de faciliter l'utilisaton de cet ouvrage historique nous a conduit à ajouter, un plan, une carte, des tableaux et plusieurs index.

A la fin de cette présentation, nous tenons à remercier les Conservateurs de la Bibliothèque générale de Rabat, le Proviseur du lycée de Tlemcen, l'Administrateur général de la Bibliothèque Nationale de France qui ont bien voulu mettre à notre disposition des reprographies du manuscrit que nous publions.

Alger, le 30 mars 1975

Mahmoud BOUAYED

musulman. Ses connaissances étendues dans les sciences du fiqh, lui valurent une réputation de jurisconsulte à qui les problèmes les plus ardus étaient soumis.

Mais son penchant pour les belles-lettres et l'histoire, ne peut être considéré comme un phénomène isolé dans ce siècle dominé par l'enseignement religieux. L'apparition dans la capitale zianide au siècle précédent d'un Yahia ibn Khaldoun auteur de « **Bughyat arruwad fi dhikr al-muluk min Bani 'abdl-wad** », consacrée à l'histoire des rois zianides et où les préocupations littéraires tiennent une grande place, puis celle au siècle suivant toujours dans la même ville d'AT-TANASI suivie au 10ème siècle - 16ème siècle d'Al-Maqqari, auteur de **Nafh at-tib...**, colossale entreprise, considérée à juste titre, comme la principale source de l'histoire politique mais surtout littéraire de l'Occident musulman (Maghreb et Espagne), témoignent de la permanence de la culture littéraire dans la société tlemcénienne.

Parmi les œuvres attribuées à AT-TANASI citons :

— **At-tiraz fi charh zhabt al-kharraz** : ouvrage consacré à l'orthographe du Coran, encore manuscrit,

— **Rah el-arwah fima qâlahu al-mawla Abu-Hammu...** : recueil de poèmes écrits par le roi zianide Abu Hammu ou ayant trait à ce souverain, ouvrage considéré comme perdu,

— et surtout **Nazm ad-dur w'l-'lqyan fi bayan charaf Banî Zayyan** demeuré jusqu'à ce jour inédit et dont nous publions la partie historique.

— **L'Histoire des Zianides** :

Dans son ouvrage **Naz ad-Durr**, gros recueil historico-littéraire écrit en hommage au roi al-Mutawakkil, l'auteur réunit un grand nombre de pièces en prose et en poésie, classées par thèmes. L'ensemble est divisé en deux parties : la première est consacrée à l'histoire et la deuxième à la littérature.

Désirant prouver que les Zianides sont des churafa (descendants du Prophète Muhammad par sa fille Fatima az-Zahra), l'auteur passe en revue l'histoire des prétendus ascendants des Zianides, à commencer par celle des Quraych, tribu mekkoise de Muhammad et en passant en revue ensuite les vies des plus illustres de ses descendants. Un long chapitre est concacré aux Idrissides avant celui relatif à l'histoire des rois Zianides depuis la fondation de la dynastie jusqu'à al-Mutawakkil contemporain d'AT-TANASSI, qui s'empara du trône de Tlemcen en 866 H/1462.

C'est ce fragment traduit naguère en grande partie par l'abbé J.J.L. - Bargès sous le titre : **Histoire des Beni Zeiyan, rois de Tlemcen** (Paris, 1852) dont nous vons établi le texte et que nous avons annoté.

PRESENTATION

Nous devons à l'historien Mohamed ibn Abdallah ibn Abd Jalil AT-TANASI, mort à Tlemcen en 899 de l'Hégire 1494 de l'ère chrétienne, la seule histoire existante et relative au troisième et dernier siècle (9ème siècle de l'Hégire - 15ème siècle de l'ére chrétienne) de la vie de la dynastie zianide (appelée aussi abdelwwadite), qui a présidé aux destinées du Maghreb central, en même temps que celle des Mérinides de Fès et celle des Hafsides de Tunis. Ces trois dynasties s'étaient partagé dans la première moitié du 7ème siècle - 13ème siècle, l'héritage almohade. Si les deux frères Abderrahman et Yahia IBN KHALDOUN nous ont légué deux histoires détaillées de l'âge d'or de la dynastie fondée à Tlemcen par Yaghmorassan ibn Zayyan, celle d'AT-TANASI consiste en un résumé bien construit pour l'époque, de la vie des souverains zianides successifs, à compter du fondateur, jusqu'à l'époque de l'auteur au milieu de la deuxième moitié du neuvième siècle. La dynastie tlemcénienne affaiblie par les fréquentes attaques des rois de Fès et de Tunis et par la déviation des routes du trafic commercial international entre l'intérieur de l'Afrique et les pays méditerranéens qui passaient par les terres zianides, et rongées aussi par les luttes intestines, n'avait plus à la date où s'achève l'histoire d'AT-TANASI, qu'une cinquantaine d'années à vivre.

AT-TANASI et son œuvre :

Dans une société où la culture était dominée par les sciences religieuses et le mysticisme, l'historien des Bani-zayyan s'est distingué par son penchant pour la littérature et l'histoire. Sa principale œuvre (Nazm ad-dur...) est un imposant recueil littéraire où l'histoire des Béni-Zayyan rois de Tlemcen, constitue la partie la plus importante et la plus originale.

Comme tous ses illustres maîtres dont Muhammad ibn Marzuq al-Hafidh, Ahmad Ibn Zaghu, Mohammed ibn an-Najjar, Quassim al-'Uqbânî et comme ses élèves AT-TANASI fut connu lui aussi dans tout le Maghreb et aussi jusqu'au Machriq, par son immense savoir dans le domaine religieux. Sa connaissance poussée de la science du hadidh lui valut le titre de « hafidh », appellation qui ne fut attribuée qu'à un nombre restreint de savants religieux dans l'ensemble du monde

HISTOIRE

DES BANI-ZAYYAN ROIS DE TLEMCEN

EXTRAIT DE L'OUVRAGE

NAZM AD-DURR W'L-ʿIQYAN FI CHARAF BANI ZAYYAN
de Muhammad Ibn Abdallah AT-TANASSI (mort en 899h/1494)

Texte établi et annoté par

MAHMOUD AGHA BOUAYED

Cet ouvrage a été publié avec le soutien du Ministere de la Culture,
à l'occasion de la manifestation
TLEMCEN CAPITALE DE LA CULTURE ISLAMIQUE 2011

ENAG EDITIONS

طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية - الجزائر
2011
Achevé d'imprimer sur les presses
ENAG, Réghaïa
- Algérie -
Bp 75 Z.I. Réghaïa Tél: (021) 84 85 98 / 84 86 11

HISTOIRE DES BANI-ZAYYAN ROIS DE TLEMCEN

EXTRAIT DE L'OUVRAGE

NAZM AD-DURR W'L-ʿIQYAN FI CHARAF BANI ZAYYAN

de Muhammad Ibn Abdallah AT-TANASSI (mort en 899h/1494)

Texte établi et annoté par

Mahmoud Agha BOUAYED



ENAG EDITIONS